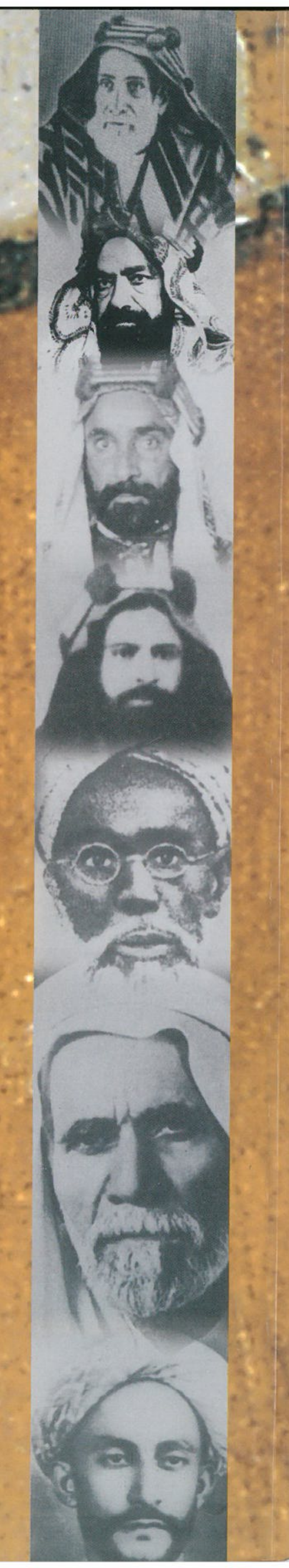
مضبطة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين 1919 ـ 1930





جمع وتحقيق

مبارك الخاطر



* دراسات خليجية

- 11 -

مضبطة المشروع الأول

للتعليم الحديث في البحرين

1919 - 1930

جمع وتحقيق

مبارك الخاطر

البحرين 2000

مضبطة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين

تحقيق واستقراء

مبارك الخاطر

الطبعة الأولى ٢٠٠١

* * *

تحية وتقدير وشكر وثناء

لسعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة

وزير العدل والشئون الإسلامية رئيس مركز الوثائق التاريخية في البحرين لدعمه الاساسي في إخراج هذا المؤلف.

ثم الشكر موصول للاستاذ أ. د. إبراهيم عبدالله غلوم لمعاونته في إخراج هذا الكتاب.

* * *

رقم الإيداع بمكتب حماية حقوق المؤلف: ٦٢٦ / ٢٠٠١م
رقم الإيداع في إدارة المكتبات العامة: ٣٠١٦ / ٢٠٠١ م
رقم الناشر الدولي ISBN: 7_10_04_99901



* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

مضبطة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين

1919 ـ 1930

ـ جلسات التأسيس ـ

تحقيق واستقراء

مبارك الخاطر

البحرين 2000

المضبطة / تحقيق واستقراء / مبارك الخاطر / البحرين 2000

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

الجلسات الثمان التأسيسية

بما فيها الجلسة التمهيدية

المضبطة / تحقيق واستقراء / مبارك الخاطر / البحرين 2000



المقدمة

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

محتوى المقدمة

1 ـ النشأة الأولى

2 ـ الجلسة التمهيدية

3 ـ نص افتتاحية الجلسة التمهيدية

4 ـ الجلسة الأولى

5 ـ الجلسة الثالثة

6 ـ الجلسة الرابعة

7 ـ الجلسة الخامسة

8 ـ إرساءات مهمة

النشـــأة الأولـــي: -

لم تخل البحرين من تعليم على مر عصورها الحضارية....

منـذُ تبيـــان دلمـــون ثـــم حتـــى

أن تحـــدى بهـــا إبن ســـاوى النجـومـــا

فقد كانت ترفل في بحبوحة من علم علمائها وتعليم مدارسها التي كانت تسير على نهج التعليم الإسلامي القديم، ذلك الذي أصبحت طرق التلقي فيه لا تساير المتغيرات الحضارية التي عمت البلاد العربية آنذاك، وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى. وهي حرب فاصلة، وكالعادة فبعد أية حرب فاصلة يأتي شيء من التغيير فيكون جذرياً أو خلاف ذلك حسب قرب المناطق وبعدها عن ساحة الحرب. فكيف إذا كانت تلك الساحة هي أوروبا مهد الحضارة العالمية الحديثة.

لقد كان للبحرين حظ من ذلك التغيير تمثل في الأنظمة التعليمية والادارية والصحية التي أخذت بها البحرين ابتداء من انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة.

فأول تلك الأنظمة.. نظام التعليم الحديث - آنذاك - وميزة هذا النظام انه لم يكن مفروضاً على البلاد من الخارج بل انه كان تطلعاً من تطلعات مثقفيها المصلحين، وأمنية من أمنيات آدبائها وشعرائها آنذاك، الذين عرفت بهم البحرين في المحافل الثقافية والأدبية في البلاد العربية والعالمية منذ أوائل القرن العشرين.

إن نظام التعليم الحديث - آنذاك - في البحرين لم يأت ارتجالاً ولا ضربة لازب، إنما تأسس له مشروع أقام نظاماً ادارياً، وآخر تعليمياً، وبقي في مخاض النشأة الأولى لأكثر من عام... خضع خلالها للدراسة والتمحيص وسجلت ذلك حيثيات في محاضر إنتظمتها مضبطة جلساته الأولى.

ونحن في هذه المقدمة الموجزة لن نتوخى الإحاطة بمسيرة التعليم في هذه البلاد خلال أكثر من ثمانين عاماً. فلسنا معنيين هنا بذلك. إنما هدفنا هو إعطاء نبذة عن النشأة الأولى للتعليم الحديث في البحرين من خلال تقديم بعض وثائقه المهمة سواء كانت كتابات أو صوراً. خاصة إذا كانت وثائق تنشر لأول مرة.

الجلسة التمهيدية : -

تاريخ التعليم في البحرين يبدأ بضحى اليوم الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٣٨هـ الموافق ٥/ ديسمبر/١٩١٩م حين انعقدت الجلسة التمهيدية لمشروع التعليم الحديث. آنذاك. في البحرين بدارة الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة بالمحرق.

ان قصة هذا التعليم تبدأ حين فكر رهط صالح من أبناء هذه البلاد وتنادوا إلى اجتماع تمهيدي يعقد في المحرق برئاسة الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد آنذاك، ولقد حضر كل الداعين والمدعوين إلى هذا الاجتماع، ولم يتخلف منهم أحد، وخرجوا منه بنتائج.. منها انهم اسموه (جلسة تمهيدية) سجلوا محضره الأول كأول محضر في مضبطة مشروع التعليم الحديث في البحربن.

وفيما يلي نص افتتاحية الجلسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة التمهيدية تحت رئآسة الشيخ حمد بن عيسى وبداره الرحيبة

الحمد لله ولي التوفيق والهداية والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الحائزين قصبات السبق في ميادين الدراية.

(أما بعد فإن مما من الله علينا الاهتمام بتأسيس مدرسة دينية فتوجهت همم حكام البحرين وأعيانها إلى ذلك، وعقدوا جلسة تمهيدية

في دار ولي العهد حضرة الشيخ حمد (نجل الملك العظيم الامام)، وذلك في في يوم ١٣ شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٨ حضرها أخيه الشيخ محمد والشيخ ابراهيم بن محمد ونخبة من أعيان البلاد وهم الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني، والحاج شاهين بن صقر الجلاهمة، وعبدالرحمن بن محمد الزياني، وعلي بن عبدالله، وسلمان بن حسين المطر، ويوسف كانو[1]، ويوسف عبدالرحمن فخرو[2]، وعبدالرحمن الوزان، وعبدالعزيز القصيبي... وكاتب هذه السطور[3]. هذا ما جاء في نص افتتاحية الجلسة التمهيدية.

ولقد كان لفكر المثقفين الاصلاحيين في البحرين آنذاك دخل كبير في تبني هذا المشروع التعليمي الحيوي، فقائمة المؤسسين تحفل بأسماء مصلحين اجتماعيين أمثال الشيخ الشاعر ابراهيم بن محمد الخليفة والشاعر محمد بن عيسى الخليفة (والمجاهد) الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني، فقد تنادوا هم وزملاؤهم ممن ذكروا في مقدمة الجلسة التمهيدية إلى الإجتماع الأول في جو عاصف من معارضة بعض العلماء والمشايخ الذين لهم وزن في البلاد، حيث كتبوا إلى حاكم البلاد يطلبون منه إلغاء هذا المشروع، بل أنهم دعو لالغائه من فوق أعواد المنابر، مما كان سبباً في تأجيل اتمام الجلسة التمهيدية إلى وقت آخر.. لذلك جاء البندان السادس والسابع من هذه الجلسة بما يلي: -

١ ـ عند اتمام الخطاب [4] بدت على وجوه الحاضرين سيما البشر والانشراح وتكلم غير واحد في تحبيذ هذا العمل، وطلب الاسراع بما هو غاية الأمل لكل من له مسكة من عقل.

---

(١) هو الشاعر قاسم محمد الشيراوي.

(٢) كذا في النص.

(٣) كذا في النص.

(٤) يعني خطاب الافتتاح لرئيس الجلسة.

٢ ـ وفي أثناء تلك المحادثة قال أحد الحاضرين (ان هذا العمل بلا شك ولا ريب هو من أجل الأعمال التي يجب الاهتمام بها، ولكن ويا للأسف أن بعض طلبة العلم علق بذهنه شيء من الوهم حمله إلى أن يكتب لحضرة الملك المعظم ما يشوه وجه الحقيقة، فلهذا نؤخر الجلسة لجلسة أخرى، ونسعى في إزالة سوء التفاهم، وبذلك سيكون إن شاء الله تعالى عملنا على أساس متين)..

الجلسة الأولى: ـ

لقد رد المؤسسون لمشروع التعليم على أولئك المعارضين رداً عملياً بأن دعوا مرة أخرى لجلستهم التي وعدوا بها في الجلسة التمهيدية، وبتوسع كبير ذلك بأنهم دعوا خمسين وجيهاً من أعيان البلاد لحضورها فحضرها سبعة وأربعون عيناً كان على رأسهم القاضي الرئيس قاسم بن مهزع.

لقد أسموا جلستهم هذه (الجلسة الأولى) وعقدوها صباح الاثنين الثالث عشر من ربيع الثاني عام ١٣٣٨هـ برئاسة الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة وبداره بالمحرق. وفي بدايتها قام أمين سر الجلسة بتسجيل أسماء الحاضرين في دفتر الاكتتاب لجمع المال للمشروع الذي أعد مسبقاً لهذا الغرض.

وانهم لكذلك إذا وصل مندوب من قبل حاكم البلاد يحمل براءة تأسيس المشروع وناولها رئيس الجلسة.

وفيما يلي نص افتتاحية الجلسة، ونص مرسوم التأسيس: ـ

الجلسة الأولى تحت رئاسة الشهم الهمام جناب الشيخ عبدالله بداره الرحيبة وذلك يوم الاثنين ١٣ ربيع الثاني ١٣٣٨هـ، وبعد انتظام عقد الجلسة بأعيان البحرين الذين حررت أسمائهم [1] في دفتر الإعانة دخل مندوب الملك المعظم حاملاً بيده مرسومه الكريم لنجله المحترم رئيس اللجنة

---

(١) كذا في النص. والصواب اسماؤهم.

فتناوله بيد الاجلال والتعظيم، وفض ختامه وأمر أن يتلوه على مسامع الحاضرين فتناوله الفاضل يوسف كانو (١) وهذه صورته.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عيسى بن علي الخليفة إلى حضرة الاجلال الكرام الذوات المجتمعين فيما يرضى رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فإني أنهي إليكم ابتهاجي العظيم وشكري الجزيل على اجتماعكم واتفاقكم في سبيل هذا العمل الخيري الجليل سائلاً المولى جل شأنه أن يوفق الجميع لما فيه رضاه يوم لقاه إنه سميع مجيب والسلام عليكم حرر في ١٣ ربيع الثاني/ ١٣٣٨هـ.

فشكر الحاضرون تعطف الملك المعظم ودعوا له بدوام التأييد.

هذا أهم ما جاء في الجلسة الأولى التي كانت في معظمها بعد ذلك جلسة لتباري الخطباء في تأييد المشروع. ثم تأتي الجلسة الثانية لتخصص لانتخاب رئيس وأعضاء إدارة المشروع حيث دعيت الإدارة باسم (الادارة الخيرية).

الجلسة الثالثة:.

ثم تأتي الجلسة بتاريخ ١٨ ربيع الثاني ١٣٣٨هـ فيكون محضرها قصيراً جداً إذ تألف من ثلاثة قرارات أهمها قرار كان له شأن كبير فقد أقر فيه نظام التعليم في مدرسة الهداية التي هي نواة مشروع التعليم في البحرين. وأما النظام نفسه فقد أعده مستشار التعليم الأستاذ عبدالله صدقة دحلان، ووافقت عليه (الإدارة الخيرية).

أما القرار الثاني- في تلك الجلسة- من حيث الأهمية فهو يتعلق بالمذاكرة في موضع إقامة بناء مدرسة الهداية وصفته.

---

(١) كذا في النص. والصواب اسماؤهم.

وفيما يلي نص الفقرة الثانية من الجلسة الثالثة التي جاء فيها القرار:.

(ثم شرع الكاتب في قراءة[1] نظام المدرسة حسبما تقرر فتلى مادة مادة وحصلت المباحثة في بعض المواد ثم حصل الاتفاق على تقرير هذا النظام وجعله أساساً.

لمدرسة الهداية الخليفية، وأن تسجل جميع مواده في هذي الدفتر ليكون العمل في إدارة المدرسة على مقتضاه، ثم ختمت الجلسة وقرر يوم الاثنين ٢٠ ربيع الثاني موعداً للاجتماع لأجل المذاكرة في موضع المدرسة وصفة بنائها والله الموفق).

الجلسة الرابعة: ـ

وبعد يومين انعقدت الجلسة الرابعة في موعدها المحدد في الجلسة السابقة وحضرها مستشار التعليم فكان بها من القرارات ما لا يتسع لهذه المقدمة التاريخية الموجزة آن تحصره، غير أن أهم تلك القرارات كان كالتالي: ـ

١ ـ قرار بالموافقة على شكل ختم المدرسة الرسمي، وعلى هيئة وصورة ايصال الاستلام الخاص بالإدارة الخيرية، والأمر بطبع الأخير؟

٢ ـ قرار بتأجيل المذاكرة في أمر كاتب مساعد لأمين سر الإدارة الخيرية.

٣ ـ قرار بشراء مكتبة للمدرسة.

٤ ـ قرار بتعيين موقع بناء مدرسة الهداية وأن يكون ما بين مدرسة السيد علي بن ابراهيم الزياني، وأرض شاهين بن صقر الجلاهمة.

مدرسة الهداية الحالي، كما سيأتي.

٥ ـ قرار بالمشروع في بناء المدرسة.

٦ ـ قرار بصنع أثاث المدرسة.

وفيما يلي نص افتتاح الجلسة الرابعة وموجز بنصوص قراراتها المهمة:

---

(١) كذا في النص، والصواب، قراءة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة الرابعة بدار حضرة الشيخ عبدالله تحت رئاسة الشيخ ابراهيم يوم الاثنين في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨هـ الساعة أربع إلا ربع بحضور المستشار السيد عبدالله دحلان.

١٠ ـ تقرر رسم الختم على الصورة المقدمة من حضرة المستشار وكذلك قرر طبع اعلان الاستلام على الصورة المقدمة من المشار إليه.

دارت المذاكرة في الكاتب فتقرر تأخير المذاكرة إلى الجلسة التي بعدها. ثم شرف الجلسة حضرة الرئيس الأول.

ثم دارت المذاكرة في أمر المكتبة فتقرر أخذها في هذين اليومين.

ثم دارت المذاكرة في الجهة الذي تؤسس فيها المدرسة فتقرر بأكثرية الأصوات في الجهة الجنوبية.

ثم دارت المذاكرة في تعيين الموقع من الجهة الجنوبية فتقرر أن الموقع ما بين مدرسة علي بن ابراهيم الزياني وأرض شاهين بن صقر.

ثم دارت المذاكرة في صفة بناء المدرسة وأبوابها وأخشابها فتقرر أن يكون البناء على أكمل طراز معتاد في البلاد..

ثم تقرر أن يشرع في العمل من حين تعيين المحل فيسند إلى بعض أعضاء الإدارة شري الأحجار والجص والأخشاب.

ثم تقرر أن يصنع كرسي ومنضدة من أشكال الكراسي التي تصنع للتلاميذ في المدارس الراقية.

الجلسة الخامسة : ـ

أما الجلسة الخامسة للإدارة الخيرية فقد انعقدت بتاريخ ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٨هـ وقد استخلصنا منها القرارات التالية: ـ

١ ـ قرار باستلام بعض التبرعات.

٢ ـ قرار بتعيين السيد حسين كاتباً.

٣ ـ قرار بإعداد نظام الإدارة، ونظام المدرسة.

٤ ـ قرار بأكثرية الأصوات بأن تبنى مدرسة الهداية في الجهة الشمالية من المحرق، خلافاً لأمر مستشار التعليم.

٥ ـ تلاوة نظام الإدارة الخيرية للتعليم حيث أقر وسجل في مضبطة محاضر جلسات الإدارة.

وفيما يلي نص افتتاحية الجلسة الخامسة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة الخامسة بدارة الشيخ عبدالله وتحت رئاسته، وحضور المستشار وجميع الأعضاء في يوم السبت ٢٥ ربيع الثاني ١٣٣٨، افتتحت الجلسة في الساعة الرابعة والربع.

ارساءات مهمة : ـ

وحين نصل إلى خاتمة مطافنا مع جلسات النشأة الأولى للتعليم في البحرين لا بد هنا من ذكر ثلاث ارساءات مهمة تمت خلال تلك النشأة: ـ

أولهــا : ـ اعداد نظام الإدارة الخيرية ويتألف من عشرين مادة، كل مادة فيه تتجزأ إلى عدة بنود.. مثل ما جاء في المادتين الأولى والثانية من ذلك النظام.

الأولى: تشكل الإدارة من رئيس أول ورئيس ثاني وكاتب وأعضاء مستشارين.

والثانية تنص على ما يلي (وظائف الإدارة) هي: -

(١) تقرير نظامات المدرسة (٢) التفكر في طرق جمع المال بالمحبة والرضى (٣) حفظ المال وتنميتة بالطرق الشرعية لا بالطرق الاحتيالية.

وثانيها: اعداد نظام للتعليم وضعه مستشار التعليم الأستاذ عبدالله صدقه دحلان وهو يتألف من ثمانين مادة.. وقال عنه القاضي الرئيس قاسم بن مهزع في تصديقه عليه بتاريخ ١٣٣٨/٢هـ ما يلي: -

(أما بعد فإني نظرت في هذا السفر العظيم وما تضمنه من معالم الاصلاح والمصلح الذي هما النهج القويم، فأول مادة من ذلك المرقوم إلى ختام المواد الثمانين كلها معالم أخلاقية وتهذيبية واصلاحية ودينية وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم)..

أما ثالثها: - فهو ارساء حجر الأساس لمبنى مدرسة الهداية الحالي صباح يوم الاثنين الرابع من شهر ربيع الأول عام ١٣٣٩هـ حيث سجل قلم كاتب الإدارة الشيخ محمد صالح يوسف كل فعاليات حفل ذلك الارساء، فقال عنه في الفقرة الخامسة من ذلك الوصف: -

وفي الساعة الثالثة وصل جلالة الملك الشيخ عيسى بن علي وفي معيته الملوكية صاحب السمو ولي العهد الشيخ حمد ونجله الثاني الفاضل صاحب السمو الشيخ محمد فاستقبله الحضور بما يليق بجلالته من الاجلال فقابلهم حفظه الله بما عهد به من البشر والحفاوة والترحاب، واقبل على نجله رئيس الإدارة الشيخ عبدالله وقال (سنضع الحجر الأول في أساس المدرسة أولاً وبعد ذلك نقصد السرادق للجلوس وسماع الخطب) فقال له: - على أمرك يا مولاي فتقدم جلالة الملك إلى حيث يوضع الأساس ووضع يده المباركة على الحجر الاساس وأمر بتمكينه الارض وناوله البناء قليلاً من الاسمنت فوضعه بين

الحجرين وهذا الحجر الأثري في أساس سور المدرسة الجنوبية من ناحيته الغربية على بعد ذراعين من زاوية السور)

ثم قصد جلالته السرّادق للجلوس وتبعه الجميع وبعد أن استراح هنيهة وأديرت فناجين القهوة)

هذا عن القسم التأسيسي في محاضر مضبطة مشروع التعليم الحديث في البحرين.. وهو يتكون من محاضر ثمان من جلسات مجلس المشروع التي هي الجلسات التأسيسية المهمة في مضبطته أما ما تلاها من عشرات الجلسات فلم تكن لترقى في الأهمية إليها.

لذلك وبسبب مرور بضع سنين على نشر محضري الجلستين الأولى والثانية من المضبطة.. وكان ذلك أواخر عام - ١٩٩٤ - فقد رأيت أنه يتحتم عليّ المبادرة بإصدار تلك الجلسات الثمان التأسيسية المهمة بين دفتي مطبوع.. وذلك تعجيلاً للاستفادة منها، ومنعاً لما سيطرأ من تأخير في إصدار بقيتها بسبب ما ستأخذه تلك البقية من وقت.. ربما يكون طويلاً بدافع التحقيق والاستقراء اللذين هما ركنان أساسيان لمنهج اعتمدناه للكشف عن المناخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي المصاحب للزمن الذي سجلت فيه محاضر تلك الجلسات الثمان.

ذلك المنهج أو بعضه يجده القارئ أو مثله في كثير مما أصدرناه من مؤلفات.. وخاصة في سلسلة أعلام الخليج العربي.. كـ (ابن مهزع) و(الخيري) و(الناخي) وآخرين.. وهو منهج أيضاً يكشف عن جزئيات إنثربلوجية من حياة وحركة إنسان البحرين تبعاً لقوة وضعف تلك الحركة.

غير أننا هنا وبالذات سنتوسع شيئاً ما في تطبيق ذلك المنهج.. فمشروع التعليم الحديث في البحرين تأسس آنذاك بمدينة المحرق.. وهي يومئذٍ عاصمة البلاد.. يأتيها الناس ويروحون من وإلى كل جانب وغالبهم خليجيون.. وهي منذ نشأتها الجديدة في حدود

١٨٠٠م على أنقاض المحرق القديمة.. محرق المناذرة وعبد القيس.. وخاصة على هضبتها.. ومنذ ذلك الحين وهي ذات سفائن غوص وسفر كبيرة وكثيرة.. وذات أسواق تغطي كل حاجات أعمال البحر والزراعة حيث أصبح بها مكاسب كثيرة وثراء ملحوظ.. وفي مجتمع يتسم بالطيبة المتوارثة ذات الأخلاق الوثوقية الآمنة.

ونظراً لعلاقة هذه المضبطة بالمناخ الثقافي والأدبي والتعليمي وهو ما يمكن أن يطلق عليه مسمى الحركة الفكرية والأدبية في البحرين آنذاك.. مثل انتشار الفكر الإسلامي الإصلاحي الجديد الذي دعا إليه شباب البحرين الذين درسوا في الأزهر الشريف وجامعة عليكرة في الهند أولئك الذين اعتنقوا آراء السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي وأضرابهم في مصر والشام والعراق.. فلا بد من إطلالة قصيرة فالتعليم في البحرين كما هو معلوم كان قديماً وخاصة بعد الفتح الإسلامي للبحرين على يد العلاء بن الحضرمي.. الصحابي

كان بواسطة الكتاتيب والمدارس الدينية وبقي الحال حتى أواخر القرن التاسع عشر حين وصل المنصرون البروتستانت إلي جزر البحرين عام - ١٨٩٣ - حيث أسسوا تعليماً حديثاً في المنامة عام - ١٨٩٩م - قوامه مدرسة واحدة للإناث تدعى (جوزة البلوط).. ثم ألحقوها بمدرسة واحدة للذكور عام - ١٩٠٧ - ثم لحقت الجالية الإيرانية بالمنامة فأسست مدرسة خاصة لأبنائها عام - ١٩١٣م - دُعيت مدرسة الاتحاد، أو العجم.

هذا في مجال التعليم الحديث.. أما في مجال الثقافة فقد كان المثقفون في البحرين إذاك يقرؤون العروة الوثقى والمقتطف والهلال والمنار التي يحصلون عليها إما في منتدى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة في المحرق أو في مكتبة المنصرين بالمنامة.. وكان مما يقرؤونه في تلك الصحف مثل: (نقد كتاب التمدن الإسلامي لجرجي زيدان) أو مثل: (شيخ البحرين - وهو آنذاك الشيخ عيسى بن علي الخليفة - والأهالي يرفضون إحصاء سفن الغوص والبحارة وما إليها خوفاً من أن تفرض عليهم الدولة الإنجليزية ضرائب لتجارة الغوص كما فعلت في الملايو).

هذا شيء مما كان يقرؤه مثقفو البحرين على مستوى الصحافة آنذاك. أما ما حدث من انعكاسات حول تأسيس مشروع التعليم الحديث في البحرين الذي نحن بصدد تحقيق واستقراء مضبطة مجلسه.. تلك الانعكاسات التي أفرزت بعض مواقف معارضة لتأسيس ذلك المشروع.. ذكرنا أهمها في كتابنا (القاضي الرئيس/ قاسم بن مهزع) في الطبعتين الأولى والثانية بين صفحتي ـ ١٥٠ و١٥٧ ـ مطبعة حكومة البحرين ـ ١٩٨٦م ـ أما ما كتبناه ونشرناه عن هذا الموضوع في السبعينات من القرن العشرين.. حيث جئنا بأهم ذلك في كتابنا (الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين من ١٨٧٥ إلى ١٩٧٥ فيمكن أن يلحظه القارئ بين صفحتي ٣٤ و٣٨ –

ومنذ بدايات التعليم الحديث الخاص بالمسيحيين البروتستانت أواخر القرن التاسع عشر فإن هؤلاء المنصرين وصلوا إلى البحرين عام ١٨٩٣م وظلوا حوالي ستة أعوام في التطبيب والإرشاد الصحي.. بهدف استدراج المسلمين في البحرين إلى المسيحية، وحين وجدوا العمل المسيحي عبر التطبيب بطيئاً، قاموا بإنشاء مدرسة للإناث قبل الذكور بأعوام، وهدفهم من ذلك واضح، فالعمل عن طريق المرأة وخاصة الجاهلة بدينها يكون أسهل كثيراً لتزويدها بالعقيدة المسيحية..

في وقت لم يكن لعامة شباب البحرين وخاصة النساء متاع من الثقافة الإسلامية التي لم تكن آنذاك مشاعة بالقدر المطلوب أمام حركة تمسيح مدعومة من الدول الأوربية وأمريكا، اللهم إلا أولئك البحرينيين الذين كانوا يرتادون المساجد والمدارس الدينية القليلة، فيستمعون إلى وعاظها أو المآتم الحسينية، فيأخذون جرعات من قرائها، أو ما يستفيد منه مداوموا الحضور إلى حلقات التصوف في كل من المحرق والمنامة. كانت الحالة التعليمية مزرية، والأمية منتشرة مستشرية وإلى ذلك أشار رئيس مشروع التعليم النظامي الحديث الذي نحن بصدد تحقيق واستقراء مضبطة مجلسه..وكان ذلك في جلسته التمهيدية، حيث قال على لسان أمين سر المجلس ما يلي:

(.. ثم ناوله خطابه الكريم ـ أي الرئيس ـ إلى كاتب هذه السطور ـ أي أمين السر ـ فتلاه بالنيابة عنه على الحاضرين. ولقد تأثروا منه أيما تأثر وإنه ليحتوي على تشخيص حالة البلاد، وما وصلت إليه من الجهل والانحطاط، وعلى وجوب تلافي الأمر بتأسيس معاهد العلم الذي به حياة الأمم ورقي البلاد).

ومع كل هذا فلم تكن البحرين خالية على مدى العصور من التعليم الأهلي والإسلامي ولا من مدارسه ولا من المتعلمين، وحين جاء التعليم البروتستانتي المسيحي كانت مدارس ذلك التعليم موجودة بنظامها الإسلامي الدقيق الذي وجد مسجلاً وموثقاً في وثائق تملكها وإيقافاتها. كان طلبتها يدرسون مع العقيدة الإسلامية اللغة العربية والحساب والمواريث والفلك والشعر والأدب.. فمن كان يضبط حسابات الغوص والتمور والتجارات الأخرى غير ماسكي دفاتر الحسابات.. ومن يوثق فروض المواريث ويقسمها بين الورثة.. ومن لكتابة الصكوك وحجج التمليك والمناقلة والهبات.. ومن للقضاء وعقود الاتفاق وغيرها من شؤون الحياة غير متعلمي هذه المدارس والمساجد آنذاك. وهل كان أهل البحرين ينتظرون المسيحيين البروتستانت أواخر القرن التاسع عشر ليعلموهم رجالاً ونساء وأطفالاً القراءة والكتابة.. وهم وأجدادهم منذ القديم قد أسسوا المدارس الأهلية وحبسوا عليها العقارات والأطيان والبساتين لتغذيتها مادياً عبر نظام وثائقي متعارف عليه آنذاك من أجل أن تستمر تلك المدارس والمساجد والمآتم في تأدية رسالتها.

وهل كان متعلمو البحرين ومثقفوها آنذاك وفي مقدمتهم الشيخ الشاعر إبراهيم بن محمد الخليفة لينتظروا ليؤسسوا منتدى الشيخ إبراهيم الأدبي في المحرق قبل أكثر من عقد من السنين قبل مجيء البروتستانت إلى البحرين.

فإلى نصوص المضبطة بتحقيقها واستقرائها. والله من وراء القصد.

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

الجلسة التمهيدية

المضبطة / تحقيق واستقراء / مبارك الخاطر / البحرين 2000



محتوى الجلسة التمهيدية

مضبطة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين ١٩١٩ - ١٩٣٠م

الجلسة التمهيدية

الآن ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين وفي أرخبيل صغير بالخليج العربي.. يتمتع أولادنا بنعمة التعليم الحديث وفوائده العظيمة وفي غمرة ذلك لا نكاد نذكر أوائل الرجال المثقفين الذين استشرفوا المستقبل ـ قبل أربعة أرباع القرن فاكتشفوا (أوائل القرن العشرين أن بلادهم البحرين محتاجة إلى نشر التعليم الحديث ـ آنذاك ـ فيها.

فكان أن التقى عشرة منهم في اجتماع تمهيدي لهذا الغرض حيث خطب فيهم رئيس اجتماعهم خطاباً مؤثراً عن حالة البحرين التعليمية السيئة ـ آنذاك ـ ولقد جاءت مضبطة اجتماعهم التمهيدية بنص عن ذلك الخطاب قالت فيه: (لقد تأثروا منه أيما تأثير، وأنه ليحتوي على تشخيص حالة البلاد، وما وصلت إليه من الجهل والانحطاط، وعلى وجوب تلافي الأمر بتأسيس معاهد العلم الذي فيه حياة الأمم ورقي البلاد).

ولقد استطاع أولئك الرجال ومؤيدوهم، وبدعم من حاكمهم الشيخ الجليل عيسى بن علي آل خليفة تأسيس مشروعهم التعليمي وتنفيذه بتكوين إدارة له دعيت بـ (الإدارة الخيرية) ابتداء من عام ١٩١٩ لغاية ١٩٢٩م.

مشروع التعليم الأول في البحرين

البداية وكيفية المجيء

تلك كانت مقدمة لا بد لإيضاح حال التعليم في البحرين قبل مجيء مشروع التعليم الحديث فيها كبديل لما سبقه، لقد قام ذلك المشروع على أكتاف رجال وجدوا أن بلادهم في أمس الحاجة إلى الإسراع في تأسيس ونشر نظام تعليم حديث أرادوا تنفيذه من خلال إنشاء مدرسة قالوا عنها:

إنها مدرسة دينية[1] ولكنها في الحقيقة لا كالمدارس الدينية المنتشرة في ربوع البحــرين.. بل هي تجربة أولى لمدارس نظامية حديثة ذات منهج مستوحى ـ آنذاك ـ من نظام التعليم الحديث في البلاد العربية كمصر والشام والعراق. وبلاد أخرى كالهند ذلك النظام الذي اقتبسته تلك البلدان عن النظام التعليمي في أوروبا.

تلك كانت مقدمة لا بد منها لإيضاح حال التعليم في البحرين قبل مجيء مشروع التعليم الحديث فيها كبديل لما سبقه، لقد قام ذلك المشروع على أكتاف رجال وجدوا أن بلادهم في أمس الحاجة إلى الإسراع في تأسيس ونشر نظام تعليم حديث أرادوا تنفيذه من خلال إنشاء مدرسة قالوا عنها: إنها مدرسة دينية[1] ولكنها في الحقيقة لا كالمدارس الدينية المنتشرة في ربوع البحرين آنذاك بل هي تجربة أولى لمدارس نظامية حديثة ذات منهج مستوحى ـ آنذاك ـ من نظام التعليم الحديث في البلاد العربية كمصر والشام والعراق. وبلاد أخرى كالهند ذلك النظام الذي اقتبسته تلك البلدان عن النظام التعليمي في أوروبا.

كان القائمون على تأسيس مشروع التعليم الحديث في البحرين قبل أربعة أرباع القرن رجالاً يمثلون أهم القطاعات المختلفة من شعب البحرين. كانوا تجاراً وعلماء وأدباء وشعراء وقعت غالبيتهم تحت تأثير ما قرأوه من صحف ومجلات وكتب حديثة آنذاك كانت تحمل لهم ما يحدث من تطورات ثقافية واجتماعية واقتصادية شاهدوها عن كثب خلال أسفارهم في الهند والبلاد العربية.

إن مما يسترعى النظر في مشروع التعليم الحديث في البحرين إنه جاء خلاصة للتجارب التعليمية الأولى الحديثة في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية فقد استفاد القائمون على أمره من تلك التجارب التي سبقتهم فهم علموا بها غاية العلم إذا رأوا عن كثب كالمدرسة النظامية التركية في الإحساء أواخر القرن التاسع عشر [2].

والمدرسة المباركية في الكويت المؤسسة عام ١٩١٢م وتجارب تعليمية أخرى شبه نظامية كالمدارس الكتابية بساحل عمان آنذاك وكالمدرسة التيمية بالشارقة ١٩٢١م والأحمدية في دبي وأبوظبي ومدرسة ابن خلف في أبوظبي [3] وما آلت إليه تلك المدارس الكُتابية من

مصير حيث فشلت في التطور لعدم الأخذ بمعطياته وبذلك لم يكتب لأكثرها البقاء.

فلم تكن غير محاولات فردية مشكورة.. أخرجت جيلاً متعلماً حسب امكانياتها.. جيلاً ساهم في ايصال المعرفة إلى الأجيال الحاضرة.

لقد أراد أصحاب مشروع التعليم الحديث في البحرين أن ينجوا بمشروعهم من مزالق التجارب التعليمية التي سبقته.. هذا المشروع الذي قالت عنه ديباجة مضبطة جلساته ما يلي: فقد نادى حفظه الله (٤) (أي رئيس الجلسة) بحي على الخير العمل أعيان بلاده الكمل فلبوا دعوته فرحين ولإشاراته مطيعين، وقرروا يوم الاثنين ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨هـ موعداً لاجتماعهم للاكتتاب في المشروع العظيم..

ثم جاء في أثناء البند السادس من الجلسة الأولى المؤرخة في ١٣ ربيع الأول ١٣٣٨هـ ما يلي: (وهذا الشيخ قاسم (٥) يبين فضل المساعدة في هذا المشروع)..

ثم جاء في أثناء البند نفسه: (عندما أتم الشيخ ابراهيم (٦) خطابه ارتفع ضجيج الحاضرين بالثناء على خطاب الرئيس ووعدوا بالقيام بمساعدة هذا المشروع).

إذاً فهو مشروع جماعي وليس فردياً تميز بالمشاركة الشعبية ذات الرؤية المستقبلية النافذة كما سيتبين ذلك من مسيرة التحضير للمشروع.

لم يكن التفكير في إنشاء مشروع التعليم الحديث في البحرين ضربة لازب أو وليد خواطر مرت بذهن أحد الداعين إلى تأسيسه من رجال البحرين وأعيانها من أولئك الذين لآرائهم وزن مهم عند حكومة الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البلاد آنذاك فتهيأت الظروف طوعياً لتنفيذه.. فالموضوع أصعب من ذلك وأعقد، والرياح ما كانت مؤاتية لإبحاره بيسر، وخاصة في مجال التعليم، فالبلاد كما قلنا تعج بالمدارس الأهلية الإسلامية وقد ألف الناس في البحرين وفي الخليج نظامها التعليمي المجاني وأغلبهم غير مستعد نفسياً لتقبل التعليم الحديث آنذاك..

فكيف بالمساهمة في تمويله.. قنعوا من ذلك التعليم الأهلي بما يوفر لهم من تعليم ديني

ولغوي وحساب ومسك دفاتر وشيء من علم الفلك التعبدي (٦) وشيء من علم الربننة في البحار.

غير أنه كانت هناك ثلة كبيرة من أعيان البلاد وحكامها وتجارها تتمتع بتعليم جيد وثقافة واسعة حسب معطيات زمانها ومكانها..

جاء ذلك نتيجة ظروف خاصة بهم ويمكن إتاحتها بالعوامل التالية:

أولاً: عناية آبائهم بهم تربوياً وتعليمياً سواء في البحرين أو بأخذهم في أسفارهم التجارية والسياحية إلى الهند ومصر والعراق وإلحاقهم بمعاهد تلك البلدان المتطورة تعليمياً.

ثانياً: تخرج غالبيتهم على يد علماء ومشايخ البحرين أواخر القرن التاسع عشر وتمكنهم من مطالعة كتب وصحف تلك الحقبة مقابل اشتراكهم فيها.

ثالثاً: انخراط أكثرهم مثل آبائهم في ممارسة التجارة ومنها تجارة اللؤلؤ والأصداف الرائجة آنذاك ومداومتهم للأسفار خارج البحرين مما أكسبهم معارف مختلفة.

أضف إلى ذلك ما كان يشيعه منتدى الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة المؤسس بمدينة المحرق أواخر القرن التاسع عشر من مناخ ثقافي وأدبي مكين من خلال مقره وعبر مراسلات صاحبه الثقافية والأدبية مع مفكري البلاد العربية آنذاك كالشيخ رشيد رضا وأمين الريحاني واليازجي والبستاني وأمثالهم. حيث تأثرت ثلة مؤسسي مشروع التعليم الحديث في البحرين بهذا المناخ الثقافي فانعكس على تصرفاتها من أجل إنهاض البحرين وطنياً وتعليمياً.

لقد مرت هذه الثلة بتجارب ثقافية وتعليمية ووطنية عركتها عركاً على المسارين الداخلي والخارجي. فحاول رموزها إسماع صوت البحرين خارجياً وعالمياً فنجحوا أولاً في تأسيس بعضهم للمجاس الاستشاري الأول في البحرين عام ١٩١١م. وثم في تأسيس

بعضهم لنادي إقبال الليلي في المنامة عام ١٩١٣م والنادي الإسلامي فيها في نفس العام، ومشاركتهم في مساعدة بعض البلاد العربية مثل قيامهم فعلياً بتدبير إعانة للشقيقة ليبيا عام ١٩١١م أثناء تعرضها للغزو الإيطالي(٧).

كل هذه العوامل وأخرى مساعدة لا يسعنا في هذه المقدمة ذكرها أهلت مؤسسي مشروع التعليم الحديث في البحرين للقيام بتنفيذ مشروعهم. ومع ذلك لم يكن الطريق أمامهم ممهداً بل واكب ذلك معوقات كثيرة من أهمها وقوف قلة من علماء ومشايخ المدارس الإسلامية ـ من التي ذكرناها مسبقاً في هذه المقدمة ـ أمام تنفيذ المشروع. وهي ظاهرة ليست بغريبة في البحرين والخليج قبل أكثر من ثلاثة أرباع القرن ويمكن ردها إلى عوامل عدة من أهمها تخوف المعارضين من إنشاء المدارس علي النمط الأوروبي في المنهج الذي يعتقدون أنه لا يتفق مع عقيدة أهل البحرين وسلوكياتهم الإسلامية، والخوف من أن هذا النمط من التعليم الحديث سيلغي دور المدارس الأهلية الإسلامية في البلاد وهو ما لم يدر بخلد مؤسسي المشروع ، بل بالعكس من ذلك فقد جاءوا بمشروعهم التعليمي لتطوير التعليم الأهلي الإسلامي في البحرين وقد أفصحوا عن نيتهم في ذلك بأن وصفوا أول مدرسة سينشئونها في مشروعهم بأنها مدرسة دينية.. جاء ذلك في خطاب رئيس أول جلسة من جلسات مشروع التعليم الحديث في البحرين حيث قال في عرض خطابه: (حيث وفق الله للاجتماع قصد التعاون والتعاضد في أمر المدرسة الدينية التي عزمنا علي إنشائها في بلدتنا البحرين).

وكما هو معلوم ومتعارف عليه من أن التعليم الأهلي الإسلامي في البحرين عبر مدارسة الصغيرة وكما أسلفنا في سياق هذه المقدمة من أنه كان النظام التعليمي السائد في البلاد فكيف جاء النظام التعليمي الجديد كبديل جديد ومتكامل يحل محل ذلك التعليم القديم. هذا ما سنترك لمضبطة جلسات مشروع التعليم الحديث في البحرين الإفصاح عنه بالتفاصيل الكافية.

مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين

ديباجة المضبطة

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله الذي وفق من شاء عباده للقيام بواجب الإصلاح، وتوج مساعي المخلصين بالنجاح والفلاح.

أحمده على جليل نعمه وأشكره على سوابغ كرمه، وأصلي وأسلم على إمام المصلحين وقائد الغر المحجلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطاهرين المطهرين وصحابته الهادين المهتدين والمقتفين آثارهم في إرشاد الخلق ونشر الدعوة إلى يوم الدين.

أما بعد فهذا طرس معدة سطوره لأن ترصع بدرر نتائج الاجتماعات المنعقدة لترتيب شؤون مدرسة الهداية الخليفية والتي عزم على تأسيسها بمساعدة أعيان قومه جناب الشهم الهمام الشيخ عبدالله نجل الملك المعظم الإمام حاكم مدينة البحرين صاحب الفضل الجلي والخلق السني حضرة الشيخ عيسى بن علي لا زالت رايات دولتهم بالعز خافقة وعيون الآمال لفيوض مكارمهم دافقة فقد نادي حفظه الله بحي على خير العمل أعيان بلاده الكُمّل فلبوا دعوته فرحين ولإشارته مطيعين وقرروا يوم الاثنين في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ هـ موعداً لاجتماعهم للاكتتاب في هذا المشروع العظيم بدار رئيسهم نجل ملكهم الكريم وفعلاً توافدوا صبيحة ذلك اليوم إلى داره أفراداً وجماعات، وما حانت الساعة المضروبة لعقد الجلسة إلا وقد استكملت الوفود وأخذ كل مجلسه محيطين برئيسهم المحبوب إحاطة الهالة بالقمر. وجرى نظام الجلسة على ما سيحرر في هذا السجل ويسطر).

التعريف بالمضبطة: -

إلى هنا وينتهي نص ديباجة جلسات مشروع التعليم الحديث في البحرين والذي دعته الديباجة نفسها (بالسجل). إن نص الديباجة هذا يأتي في الورقة الأولى من المضبطة التي تصل جلساتها إلى ما فوق المائة جلسة وعدم الجزم بعدد هذه الجلسات راجع إلى نقصان أوراق المضبطة الأصلية التي وقعت في يدي.. حيث أخذت نسخة منها وأرجعت الأصل إلى صاحبها المرحوم الشيخ عبدالرحمن الزياني.

أما الديباجة التي نحن بصدد الحديث عنها فهي تعلن عن وجود سجل خاص قد أعد لتسجل فيه نتائج الاجتماعات الخاصة بترتيب شؤون مدرسة الهداية الخليفية التي عزم الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة بمساعدة أعيان قومه علي تأسيسها بمدينة المحرق العاصمة آنذاك. وأنه دعى أولئك الأعيان فلبوا دعوته من أجل الاجتماع للاكتتاب لتنفيذ إقامة المشروع التعليمي الأول في البحرين والذي دعته الديباجة بـ (المشروع العظيم).

ونعود إلى السجل (المضبطة) الذي ذكرته الديباجة لنراه مجموعة من الأوراق يشبك بعضها بعضاً بقليل من الغراء وتبدو كأنها منزوعة من دفتر كبير جداً وهيئتها تكشف أنها نزعت من السجل الأصلي للجلسات فأصبحت تبدو ولا غلاف يحتويها لذا فقد أصبحت ورقة الديباجة منها أول أوراق المضبطة وبتصفحنا لأوراقها وتدقيقنا لها تبين أنها تمتعت في بدايتها بخط أنيق ومقبول وحظيت بصياغة جيدة على مستوى ذلك العهد. ولم تسم المضبطة بوضوح الشخص المنوط به وظيفة ضبط الجلسات وتحريرها أو القيام بتنفيذ أوامرها.

وأول ما ورد من تسمية لهذه الوظيفة ما جاء في الفقرة الثانية من الجلسة التمهيدية لمجلس مشروع التعليم الحديث في البحرين حيث سجل فيها لأول مرة أسماء المعينين أعضاء في ذلك المجلس.. وجاء فيها عرضاً ذكر كاتب الجلسة التمهيدية.. بقوله عن نفسه.. (وكاتب هذه السطور). وقوله في الفقرة الخامسة من الجلسة نفسها.

ثم ناول (أي رئيس الجلسة) خطابه الكريم إلى كاتب هذه السطور فتلاه بالنيابة عن الحاضرين).

وباستقرائنا لكل جلسات المضبطة وجدنا أنها تكاد تخلو من اسم صريح لأول ضابط

لجلساتها فكان علينا أن نسأل عن ذلك بعض أبناء وإخوان أعضاء المجلس المقربين ومنهم الشيخ عبدالرحمن الزياني، والأستاذ المحامي المرحوم أحمد الشيراوي، والمرحوم محمد بن صقر الزياني وثلة ممن عاصروا نشأة التعليم الحديث في البحرين فأجمعوا على أن الذي تولى ضبط جلسات المجلس خلال جلساته العشر الأولى هو الشاعر قاسم محمد الشيراوي الذي هو في نفس الوقت كان أمين - شخصي للشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وقد شغل ذلك المنصب منذ عام ١٩١٠م أي قبل ظهور مشروع التعليم الحديث في البحرين ببضع سنين.

وباستقرائنا لصيغ نصوص الجلسات بالمضبطة وخاصة في الأعوام العشر الأولى من تكوين المجلس وجدنا أن هناك اثنين من الشخصيات المثقفة قد تعاقبا على ضبط جلسات المجلس:

الأول: الشاعر قاسم بن محمد الشيراوي وقد تميز ضبطه للجلسات بالجودة، وإن ركن في بعض الجلسات الأولى منها إلى الصياغات السجعية وخاصة في ديباجة المضبطة إلا أنه تخلص منها. كذلك فإنه تميز بجودة خطه وسلاسة تعبيره.. ولقد اعتبره أعضاء المجلس عضواً أصيلاً فيه وكانوا يقدرون فيه حسه الوطني وغيرته على بلاده وخبرته في ممارسة مثل هذه الأعمال الإدارية وهو يعد من مستشاري الأمير الشيخ عيسى بن علي آل خليفة حاكم البحرين آنذاك.

وكان للإنجليز في البحرين بإدارة الميجر ديلي تحفظ على استشاراته وتصرفاته الوطنية. وقد توفى رحمه الله عام ١٩٥٠م.

الثاني: الشيخ محمد صالح يوسف خنجي وقد تولى ضبط جلسات المجلس بعد ترك قاسم الشيراوي العمل فيه. وقد كانا يعملان معاً في المشروع منذ تأسيسه عام ١٩١٩م ولما تحولت إدارة المشروع إلى الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين تحول إليها الشيخ محمد صالح وأدارها ونجح في إدارتها نجاحاً مذهلاً، وتعدت أنشطته من إدارية إلى تعليمية إلى إعلامية فكان إدارياً ومدرساً، ومكاتباً للصحافة العربية من أجل إظهار نظام التعليم في البحرين إظهاراً مشرفاً وقد توفي رحمه الله عام ١٩٦٧م.

إن الحديث عن الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين قد يطول ويتشعب فأنشطة هذه الإدارة في تسيير نظامه شغلت مساحة زمنية تقدر بعقد من السنين أي من عام ١٩١٩م حتى ١٩٣٠م حيث سميت بإدارة المعارف ودعي رئيسها الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة وزيراً للمعارف فأصبح أول وزير معارف في الخليج العربي.. ولسنا هنا الآن في حاجة للحديث عن الإدارة الخيرية وحدها ما دمنا في مواصلة الكتابة عن مضبطة جلسات مجلس مشروع التعليم الأول في البحرين. فقد احتوت الجلسات المسجلة في المضبطة على كل ما يتعلق بالتعليم في البحرين من أحداث كبيرة أو صغيرة أو حتى كل ما لا يخطر على بال في مجال التعليم سواء كان للذكور أو الإناث بما فيها الفعاليات الثقافية والرياضية. ويكفي أن نعرف أن مجلس مشروع التعليم الحديث في البحرين أقر في جلسته الخامسة المؤرخة في ربيع الثاني ١٣٣٨هـ الموافق ١٦ يناير ١٩٢٠م نظام الإدارة الخيرية وأوصى بالعمل به حالاً.. فقد جاء في البند (٤) من الجلسة الخامسة في المضبطة ما يلي:

(ثم تلى نظام الإدارة الذي جرت المذاكرة فيه في الجلسة السابقة وعدل فيها بعض المواد فقرر مع ما حصل فيه من تعديل العمل بمقتضاه، وأن يحرر في هذا الدفتر). (أي سجل الجلسات).. من أجل ذلك سنوقف هنا الحديث عن الإدارة الخيرية لننتقل إلى الجلسة التمهيدية في المضبطة.

مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين

الجلسة التمهيدية

نص..

الجلسة التمهيدية تحت رئاسة الشيخ حمد وبداره الرحيبة.

الحمد لله ولي التوفيق والهداية، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه الحائزين قصبات السبق في ميادين الدراية.

أما بعد فإن ممّا من الله علينا الاهتمام بتأسيس مدرسة دينية فتوجهت همم حكام البحرين وأعيانها إلى ذلك وعقدوا الجلسة تمهيدية في دار ولي العهد حضره الشيخ حمد نجل الملك المعظم الإمام وذلك في يوم ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٨هـ. وحضرها حضرة أخيه الشيخ محمد، والشيخ إبراهيم بن محمد، ونخبة من أعيان البلاد هم: الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني، والحاج شاهين بن صقر الجلاهمة، وعبدالرحمن بن محمد الزياني، وعلي بن عبدالله، وسلمان بن حسين مطر، ويوسف كانو، ويوسف عبدالرحمن فخرو وعبدالرحمن الوزان وعبدالعزيز القصيبي، وكاتب هذه السطور.

ولما كمل انتظامهم شرّف الجلسة حضرة الرئيس وافتتحها بالحمد والصلاة، ثم أفاد الحاضرين أن القصد من هذا الاجتماع هو المذاكرة في انتخاب هيئة إدارة تقوم بأعمال المدرسة فشكره الحاضرون علي هذه الهمة الشماء والمنة العظمى.

ثم ناول خطابه الكريم إلى كاتب هذه السطور فتلاه بالنيابة عن الحاضرين، ولقد تأثروا منه أيما تأثير، وإنه ليحتوي على تشخيص حالة البلاد، وعلى تلافي الأمر بتأسيس معاهد العلم الذي به حياة الأمم ورقي البلاد.

- عند اتمام الخطاب بدت علي وجوه الحاضرين سيما البشر والانشراح، وتكلم غير واحد في تحبيذ هذا العمل وطلب الإسراع بما هو غاية الأمل لكل من له مسكة من العقل.

- في أثناء تلك المحادثة قال أحد الحاضرين إن هذا العمل بلا شك ولا ريب هو من أجل الأعمال التي يجب الاهتمام بها، ولكن ياللأسف كل الأسف أن بعض طلبة العلم علق بذهنه شيء من الوهم حمله إلى أن يكتب لحضرة الملك المعظم ما يشوه وجه الحقيقة. فلهذا نؤخر هذه الجلسة إلى

جلسة أخرى ونسعى في إزالة سوء التفاهم، وبذلك سيكون إن شاء الله تعالى عملنا على أساس مكين وختمت الجلسة بالدعاء للملك المعظم الإمام وأنجاله النجباء الكرام وأنصرف الحاضرون)، انتهى النص.

هذا كل نص الجلسة التمهيدية لمجلس مشروع التعليم الحديث في البحرين بحذافيره.. وهي كما تظهر قصيرة وموجزة وقد عقدت بمجلس ولي عهد البحرين آنذاك. الشيخ حمد بن عيسى بن علي آل خليفة الواقع بوسط مدينة المحرق قرب المسجد الجامع المعروف الآن بجامع الشيخ حمد.. وعقدت الجلسة صباح الاثنين من يوم ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٨هـ الموافق ٤ يناير ١٩٢٠م برئاسة ولي العهد.

وتتألف مضبطة الجلسة من ٥ بنود تسبقها جملة استفتاحية. أما البند الأول فيشير إلى اهتمام حكام البحرين وشعبها بتأسيس مدرسة دينية من أجل ذلك عقدت الجلسة التمهيدية.

ويشير البند الأول والثاني إلى حضور الشاعر الوائلي الشيخ محمد بن عيسى بن علي آل خليفة شقيق رئيس المشروع، ولم يأت البند على ذكر رئيس المشروع الذي لم يحضر الجلسة [1] مبكراً ولكنه حضر بعد قليل وادار الجلسة.

كذلك فقد حضر الجلسة كل من دعي إليها من أعيان البلاد وزعمائها وعددهم تسعة. وقد افتتح الرئيس الجلسة وأشار كما ذكر في النص إلى: (أن القصد من هذا الاجتماع هو المذاكرة في انتخاب هيئة إدارية تقوم بإدارة أعمال المدرسة)، وهو أول إشارة إلى نية رئيس المجلس لتكوين إدارة تنفيذية له وهي ما عرفت بعد ذلك (بالإدارة الخيرية) للتعليم في البحرين.

ويذكر البند الرابع من مضبطة هذه الجلسة أن خطاب الرئيس لقي تجاوباً كبيراً جداً وتحدث كثير من حاضري الجلسة في تأييده وتحبيذ ما جاء فيه وطالبوا بالإسراع في تنفيذ ذلك.

أما البند الخامس والأخير من الجلسة فيشير إلى أن التأييد الاجماعي الذي حصل عليه الخطاب الأول لرئيس مشروع التعليم الحديث في البحرين لم يمنع حاضري الجلسة التمهيدية من إبداء رأيهم فيما يعترض المشروع من معوقات فقد أبدى أحد الأعضاء الحاضرين من مؤيدي المشروع أسفه الشديد لما علم به من أن بعض علماء الدين.. ويشار إليهم - آنذاك - بطلبة العلم قدموا رسالة إلى حاكم البلاد بما يشوه حقيقة المشروع.. وقد طلب هذا العضو تأجيل الجلسة إلى جلسة أخرى ليسعى أعضاء المجلس في إزالة سوء الفهم تجاه مشروعهم قائلاً: (وبذلك سيكون إن شاء الله تعالى عملنا على أساس مكين) ويظهر أن المجلس قد أخذ برأي هذا العضو وختم جلسته التمهيدية.. فقد جاء في نفس البند ما يلي:

(وختمت الجلسة بالدعاء للملك المعظم.. وانصرف الحاضرون).

أما من هو ذلك العضو الذي أخذ المجلس برأيه وأجل جلسته.. وهل ذلك التأجيل جاء بأمر الرئيس إن كان حاضراً أو نائبه إن كان الرئيس قد غادر الجلسة قبل اختتامها فذلك ما لم يوضحه البند الأخير من مضبطة تلك الجلسة.

إن ما ذكره البند الأخير من الجلسة التمهيدية من قرا ر المجلس بإيقاف جلسته تلك والقيام بإزالة سوء التفاهم بينه وبين معارضي مشروعه التعليمي أو بعضه لأمر مهم كظاهرة معاناة عاشها الطرفان المتباينا النظرة حول التربية والتعليم منذ محاولة أصحاب مشروع التعليم الحديث في البحرين إخراج مشروعهم إلى حيز الوجود. ولقد بدأ المشروع في وسط أَلِفَ مناخ التعليم الأهلي الإسلامي في البحرين الذي توطدت أركانه عبر مدارسه الدينية ومساجده وكتاتيبه.

وكانت قمة مراحله تلك المدارس الصغيرة بمقارها القديمة المنتشرة في غالب نواحي البحرين. إلا أنه يمكن اتخاذ المدارس الست الدينية الموجودة في المحرق - آنذاك - نموذجاً مميزاً وربما متطوراً عن بقيتها. وكلها تتمتع بنظام تعليمي إسلامي. وإن مدارس هذا النظام كانت تتمتع بالاستقلالية في مقارها ومساجدها وشؤونها المالية ولها حجج وصكوك تبين ريعها من أوقافها سواء كانت عقارية أو زراعية وتأتيها الصدقات والهبات من بعض الموسرين.

غير أنه كان مما يعتور هذا النظام من خلل هو عدم تنظيم ذلك إدارياً وخلوه من الإشراف عليه من قبل الحاكم.. واستقلال كل صاحب مدرسة أو شيخها الأول بشؤونها.. هذا قبل أن تظهر إدارتا الأوقاف في البحرين إلى الوجود وحين ظهرتا عام ١٩٢٨م خضعت هذه المدارس والمساجد لإشرافها.

لذلك فحين ظهر مشروع التعليم الحديث في البحرين عام ١٩١٩م إلى الوجود كان لهذه المدارس والمساجد دورها الأساسي في نشر التعليم في البلاد وإن كان جزئياً إلا أنه كان في بعض النواحي مجزياً بالعلوم الدينية واللغة ومسك الدفاتر.. كما أسلفنا وهذا النظام قد يكون مجزياً أيضاً في البحرين ما قبل الحرب العالمية الأولى.. أما بعدها فإنه بحالته السابقة لن يلبي طموحات قادة الثقافة في البحرين. آنذاك.

ولقد قال معارضو إقامة مشروع التعليم الحديث رأيهم في كتاب رفعوه إلى الحاكم آنذاك كما أشار البند الخامس من الجلسة التمهيدية للمشروع، كذلك فإن معارضيه تحدثوا بمعارضتهم له إلى الناس وأظهروها مما سيجلي لنا بعض جوانبه أحد بنود مضبطة الجلسة الأولى.

هـوامـش

(١) لقد أعطوا أول تجربة مدرسية في مشروعهم اسم مدرسة دينية لكي يشيعوا بين الناس آنذاك أنهم لم يخرجوا عن نظام المدارس الدينية المعروفة في البحرين آنذاك حتى يتجنبوا معارضة أصحاب تلك المدارس الذين ربما أفسدوا عليهم مشروعهم.

(٢) د. عبدالله السبيعي/ الحياة العلمية والثقافية والفكرية في المنطقة الشرقية/ عن المدرسة الرشيدية العثمانية بالإحساء المؤسسة عام ١٣١٩هـ ص٢٦.

(٣) د. محمد مرسي عبدالله/ دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها فصل/ التقدم الثقافي ص١٥١.

(٤) هو الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة الذي رأس مشروع التعليم الحديث وإدارته الخيرية ورافقه في تطوره حتى أصبح وزيراً للمعارف في البحرين وبقي كذلك حتى وفاته ١٩٦٦م.

(٥) كالمعرفة الإسلامية بمواقيت الصلاة والصيام والحج ومواقيت التداوي بالحجامة والفصد وغير ذلك.

(٦) رسالة السيد أحمد السنوسي الزعيم الليبي المؤرخة ١٩ رجب ١٣٣١هـ إلى السيد الحاج عبدالعزيز علي خنجي في البحرين.

(٧) وهو عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين.



* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

الجلسة ـ 1 ـ

* دراسات خليجية - 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 - 1930
* الجزء التأسيسيّ

محتوى الجلسة - 1 -

1 - الجلسة - ١ - نصّ

2 - تحقيق.. واستقراء

3 - ما بين الرئيس والأعضاء

4 - الهوامش

الجلسة الأولى / مقدمة

إن ما فاتنا أن نقوله في مقدمة الجلسة التمهيدية من هذا التحقيق، أنه من حسن الطالع أن يعثر كاتب هذا التحقيق على ملف مضبطة جلسات التعليم الحديث الأول في البحرين لا ليقتني هذه المضبطة أو يحفظها من التلف فهذا ما لم يستطعه بسبب أن المضبطة - كما قلنا مسبقاً في الحلقة الأولى - كانت في حوزة الشيخ عبدالرحمن الزياني الذي حرص أن لا يريها أحداً بعد اطلاع كاتب هذا التحقيق عليها حيث استطاع بالتي واللتيا أن ينسخ معظمها.

لقد وصل ملف المضبطة إلى الشيخ الزياني عن طريق أحد الأفراد الذين كانوا حاضرين يوم هدم دار وزير المعارف الأول الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة الكائنة في المحرق حيث قضى تصرف الجهة الهادمة أن يتناثر مخزون غرفة الوزير الخاصة بما تحتويه من كتب ومخطوطات ومن ضمنها مكاتبات وادبيات الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين. وكذلك كل الأدبيات الأخرى من شعر متبادل بين الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة من قبل ومن بعد أن صار وزيراً للمعارف في البحرين. وبين بعض شعراء منطقة الخليج العربي، وقد شمل الضياع أيضاً كماً كبيراً من رسائل متبادلة بين الشيخ عبدالله وموظفي السلك السياسي في البحرين والخليج العربي عبر مساحة زمنية قوامها أكثر من ستين عاماً، باعتبار أن الشيخ كان منذ شبابه متنفذاً رئيساً في حكومة أبيه الشيخ عيسى بن علي الخليفة سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، كان مرجع ذلك إلى ثقة والده فيه حيث اعتمده نائباً عنه في السفر إلى لندن لتهنئة الملك جورج الخامس بنصر الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.. وحمّله رسالة إلى الملك ضمنت أربع مطالب مهمة [1] ولقد تكلف بعض أعيان البحرين وتجارها بنفقة رحلة الشيخ عبدالله إلى لندن والعودة منها إلى البحرين تأييداً منهم لها عسى أن تحقق لهم آمالهم في الاستقلال الذاتي.

أما الحقبة الزمنية التي مارس فيها الشيخ عبدالله عمله التنفيذي في حكومة أبيه إلى قسمين:

الأولى: وزمنها الثلث الأول من هذا القرن العشرين الميلادي حيث مارس فيها الشيخ عبدالله عمله في حكومة أبيه متنفذاً في السياسة الخارجية والداخلية.

الثانية: وزمنها الثلث الثاني من هذا القرن حتى وفاته حيث تخلى في أولها عن التدخل في العمل السياسي في البحرين نتيجة اتفاقه مع ممثل دولة الحماية البريطانية في البلاد[٢] وبقي له العمل التنفيذي في الشئون الداخلية حيث أصبح رئيساً لبلدية المنامة، ثم وزيراً للمعارف حتى وفاته.

لذلك فكم هي بالغة تلك الخسارة التراثية بفقد وضياع مخزون دار الشيخ عبدالله من الأوراق الرسمية والكتب والمخطوطات والرسائل. لقد هدمت الدار قبل أكثر من عقدين من السنين، ولم يكن لأحد من المهتمين بالتراث في البحرين علم بذلك بما فيهم كاتب هذا التحقيق.. وحين وصل إلى سمعه شيء من هذا كان الوقت متأخراً فما وصل إلى الدار المهدومة إلا بعد أن قضى الأمر وفقد أهم ما هو أصيل وثمين اللهم إلا بعض أوراق بملف يحوي بعض رسائل الشيخ القاضي قاسم بن مهزع إلى الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وابنيه حمد وعبدالله.. وهي رسائل قضائية في صورة حيثيات وقليل من هذه الرسائل في شئون اجتماعية.

ويمثل ما ذكرت عن كيفية وصول بعض هذه المذخرات الورقية القليلة إلى يديّ فقد تكون وصلت أوراق أخرى مشابهة إلى أيدي آخرين بكيفيات مختلفة مثلما أكد لي الشيخ عبدالرحمن الزياني عن كيفية وصول ملف مضبطة الجلسات الأولى لمشروع التعليم الحديث في البحرين إليه.. كما ذكرت ذلك في مفتتح هذه المقدمة..

إذن فلا بد للمهتمين بالتراث الحديث في البحرين أن يحزموا أمرهم ويستقصوا أخبار تلك المذخرات من موجودات دار الشيخ عبدالله الخليفة وخاصة جيرانها. لقد سمعت وقتها أن افراداً من أهل المحرق لملموا شيئاً من بعض مذخرات تلك الدار، إلا أن وجودها الآن أو عدمه يتوقف على وعي من حصل عليها بقيمتها التراثية.

إلى هنا ونصل إلى نهاية مطافنا في هذه المقدمة حول التعريف بأول قائد لمسيرة التعليم الحديث في البحرين وبشيء موجز عن نشاطه، وكذلك بما أصاب تراث تلك المسيرة من فقد أو ضياع من جراء هدم دار ذلك القائد بلا شيء من الاهتمام والعناية.. نقول هذا استدراكاً لما لم نقله في مقدمة الجلسة الأولى من مضبطة جلسات مشروع التعليم الحديث في البحرين.. تلك الجلسة التي تميزت بطولها اللافت للنظر بين الجلسات الأخرى.

يتألف الهيكل العام للجلسة كما سيطرحه النص الذي سيأتي - بعد هذه المقدمة - من حيثية مفردة تأتي في مفتتح بنود قرارات الجلسة، وهي لا تفيد لا كمقدمة ولا كديباجة إنما جيء بها أولاً لأهميتها وجلال قدرها إذ هي تسجل نص المرسوم الأميري الصادر عام ١٩١٩ بالموافقة على تأسيس نظام التعليم الحديث الأول في البحرين. ولأهمية هذا الأمر فقد جاء هذا النص كتاج يزين هامة مضبطة الجلسة الأولى. وبذلك فقد ادرجت بعده جميع بنود الجلسة حسب أهمية حيثياتها بما في ذلك خطاب رئيس المجلس الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة الذي كان منوطاً به دائماً افتتاح جلسات المشروع - ثم ما تلاه من خطاب للشيخ القاضي الرئيس قاسم بن مهزع، وخطاب آخر للشيخ عبدالوهاب حجي الزياني النائب الثاني لرئيس المشروع. وما تبع ذلك من تلاوة قصيدة - بالمناسبة - للسيد حسن كانو ثم ما جاء في اختتام الجلسة من اعلان عن قيمة الهبة المالية التي تبرع بها الحاكم لدعم بناء أول مدرسة في مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين مما حفز همة المجتمعين في الجلسة من أعيان البحرين وتجارها على دعم المشروع كما سيأتي ذلك كله في نص قرار الجلسة التالية:

النص: -

الجلسة الأولى تحت رئاسة الشهم الهمام الشيخ عبدالله بداره الرحيبة، وذلك يوم الاثنين الموافق ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ (٣) وبعد انتظام عقد الجلسة بأعيان البحرين الذي حررت اسمائهم (٤) في دفتر الإعانة، دخل مندوب الملك المعظم حاملاً بيده مرسومه الكريم لنجله المحترم رئيس الجلسة، فتناوله بيد

الاجلال والتعظيم، وفضّ ختامه وأمر من يتلوه على مسامع الحاضرين، فتناوله الفاضل يوسف كانوه (٥) وهذا صورته..

بسم الله الرحمن الرحيم

من عيسى بن علي آل خليفة إلى حضرات الأجلاء الكرام الذوات المجتمعين فيما يرضى رب العالمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فانهى اليكم ابتهاجى العظيم وشكرى الجزيل على اجتماعكم واتفاقكم في سبيل هذا العمل الخيري الجليل سائلاً المولى جل شأنه أن يوفق الجميع فيما رضاه يوم لقاه أنه سميع مجيب والسلام عليكم.

حرر في ١٣ ربيع الثاني ١٣٣٨هـ.

فشكر الحاضرون تعطف الملك المعظم ودعوا له بالتأييد.

افتتح الجلسة الرئيس ثم ناول خطابه لحضرة الشيخ ابراهيم (٦) ليتلوه على السامعين وهذه صورته:

- افتتح اجتماعنا باسم الله العلي العظيم المحمود بنعمته، احمده حمداً يليق بجلاله وعظمته، وأصلى واسلم على خير بريته سيدنا محمد وعلى آله وصحابته.

- إخواني ارجو أن تكون هذه الساعة من اسعد الساعات وابرك الأوقات حيث وفق الله للاجتماع بقصد التعاون والتعاضد في أمر المدرسة الدينية التي عزمنا على انشائها في بلدتنا البحرين، مستمدين من المولى جل شأنه الاعانة والامداد انه كريم وجواد.

٣ - تأسيس المدرسة يهمنى كثيرا ويهم كل مسلم غيور على وطنه لأن حالة البلاد لا تخفى عل كل من حضر، فمع سروري العظيم بحضوركم واجتماعكم في هذا اليوم الكريم لا مانع من ان ابدى لكم مزيد استيائى واسفى مما وقع في الاجتماع الاول الذي صار تحت رعاية أخى الاكبر الشيخ حمد من المشاغبات والمعارضات التي قضت بتأخر الامر إلى هذا اليوم.

٤ ـ اقدم شكرى الفائق لحضرة اخى العزيز الشيخ حمد والخال العزيز الشيخ ابراهيم والشيخ عبدالوهاب(٧) وغيرهم من ذوى الغيرة الدينية والحمية الاسلامية على ما ابدوه من علو الهمة في خدمة هذا المشروع الجليل فشكر الله مساعيهم وبلغهم امانيهم. وبنوع خاص بالثناء والشكر هذا العلامة الفاضل حضرة قاضينا العادل الشيخ قاسم (٨) الذي قام في تأييدهم قيام، وانزل عن المشروع الشكوك والاوهام.

٥ ـ المدرسة تتوقف على المال والرجال، بل على الرجال متى توفقنا إلى اختيارهم توفقنا للحصول على المال ونيل جميع الآمال فعلينا ان نختارهم من ذوى الغيرة والدراية والخبرة الذين يضحون مصالحهم الخصوصية على المصالح العمومية، وقد وقع نظرى على أشخاص منكم سيذكر لكم حضرة القاضى اسمائهم(٩) ويوضح لكم الاعمال التي نريد منهم القيام بها ولكم الاختيار في الموافقة عليهم وعدمها. واملى قوى في قيام هؤلاء بما يسند اليهم اذا يسهل ذلك، وفي مقدرتهم على توالى الاجتماعات مع حضرة العلامة السيد عبدالله دحلان(١٠) لاجل ما يختارونه من النظام الذي حرره المذكور للمدرسة، ويباشروا العمل بمقتضى ما رسم من وظائف المديرين حيث ان السيد المذكور عجل على السفر:

تعلمون ان اخواننا اهل الكويت قد جمعوا إعانة لمدرستهم في أول الأمر نحواً من مائة وخمسين ألف إلى مئتين(١١)، ولا ريب أن أهالي البحرين ليسوا دونهم في الكرم، فالامل وطيد أن تكون إعانة مدرستنا اعظم، وقد سبق لاهل البحرين جمع اعانات كثيرة ظهروا فيها من علو الهمم ما استحقوا به الثناء الحسن. والاعانة هذه ستكون بحمد الله تعالى أكثر من سائر الاعانات السابقة، وهذا حضرة الشيخ قاسم يبين لكم فضل المساعدة في هذا المشروع. (ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل فانما يبخل على نفسه والله الغني وانتم الفقراء، وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم).

عندما اتم الشيخ ابراهيم خطابه ارتفع ضجيج الحاضرين بالثناء على حضرة الرئيس ووعدوا بالقيام بمساعدة هذا المشروع.

بعد ذلك تكلم حضرة الفاضل الشيخ قاسم بكلمات مؤثرة وتلا قوله تعالى: (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسناً).. الآية. ثم أفاض في تفسيرها وذكر القصص التي جرت مع الصحابة عند نزولها. ثم نادى وندد، واستنهض واستنجد وحث وحرض وصرح وعرض، واتى بكل ما يستحقه المقام من الاسهاب والاطناب في فضل العلم والتعلم، وتلا قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحييكم»..

عند ذلك اخذت الاريحية القوم وحدث كل نفسه بما يكتتب وما عليه في المشروع يجب. ولكنهم وجموا ومن الاقدام لهيبة الرئيس احجموا. عند ذلك قام أحد شعراء البحرين وهو خليل حسن كانوه[١٢]، وقدم للرئيس قصيدة تحتوى القصيدة على نحو اثنين[١٣] وثلاثين بيتا، ثم طلب ان يأمر الرئيس بعض من حضر بتلاوتها فوعده الرئيس بذلك حيث ان بلغرام[١٤] الجلسة يقضى بتأخير القصائد.

عند ذلك القى حضرة العالم الفاضل الشيخ عبدالوهاب بن حجى الزياني خطابه الذي اخذ بمجامع القلوب محتويا على التحريض في الاكتتاب، والثناء على الملك المحبوب وهذه صورته:

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله.

اما بعد فيا ايها الباسل الشهم الهمام يا نجل ملكنا المعظم الامام نقدم بين يديك نجوانا اليك ومثولنا بين يديك يزيد ثناء لا يحصر وعميم شكر به المحافل تعطر. ما منحتنا بالعناية على ما معنا من العناية السامية الالهية والاحساسات العالية السنية والهمة المؤيدة بالمقاصد الدينية، ثناء وشكرا من صميم ضمائرنا تعجز الالسن عن تعبيره فلا تبدى إلا قليلا من كثير، فسمعاً وطاعة لما امرت به وندبت اليه، فلقد دعوتنا الى ما امرنا به ربنا وحثنا عليه بقوله في كتابه الكريم:

(يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله ولرسوله اذا دعاكم لما يحييكم). اي إذا دعاكم ليعلمكم للعلم الذي هو سبب السعادة في حياتكم الدنيوية والاخروية، فقد

صرح لنا كتابنا الكريم الهادى الى صراط المستقيم بأن العلم هو الحياة الحقيقية، والجهل موت وحياة بهيمية.

فيا صاحب الهمم العالية والأخلاق السامية نقابل اشارتكم بالامتثال لامرك ونلبى دعوتك مستعدين بمساندة هذا المشروع بالمال والقيام بما يلزم له من الاعمال معلنين الارتياح والسرور لهذا العمل الخيري المبرور مستمدين من الله المعونة والنجاح والفوز بالسعادة والفلاح مبتهلين إلى الله أن يجمع كلمتنا في مصالحنا الدينية وشئوننا الدنيوية، وان يمتعنا بدوام ايام السعادة على والى امرنا وملكنا المعظم المبجل وسعاده انجاله الأماجد الفخام وذويه الافاضل الكرام، انه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

فلما أتم الخطاب تحرك القوم من اماكنهم وقاموا للاكتتاب، وجاء بدفتره احد الحجاب. وفي ذلك طلب يوسف احمد كانوه من ان يؤمر احد الحاضرين بتلاوة قصيدة ابن اخته، فلسعة الرئيس أمر بتلاوتها مع ان الوقت المقرر لم يحن، فتلاها الشاب محمد الملا عبدالله بصوته الرخيم، وقد بلغ احد ابياتها نحواً من ثلاثين.

ابتدأ الرئيس بالاكتتاب عن والده الملك المعظم بعشرين ألف روبية بعد ان اخذ رأى القوم في جعل الاكتتاب عن والده في البدء أو الختام فأجمعوا كلهم على تتويج الاكتتاب باسمه. ثم تتابع الناس للاكتتاب حسبما هو موضح في الدفتر المعدّ لإعانات المدرسة. ثمّ ختم الاكتتاب بشكر الموّفق جل وعلا.

قال الرئيس لمن حضر أفدتكم في السابق أن الأهم اختيار المديرين لهذا العمل، وأن نظري وقع على بعض أشخاص منكم نريد أن تتلى أسماؤهم.

الآن وتُتلا وظائفهم (كذا في النصّ) فمن وافقهم عليه قررنا توظيفه، قام يوسف كانوه لقراءة الأسماء فتلاها ما عدا اسمه فقال له الرئيس لما (كذا في النص) تركت اسمك. فاعتذر من قبول العضوية في الإدارة ثم تلا (كذا في النص) وظائف المديرين قاسم الجيراوي. وسأل الرئيس الحاضرين عن رأيهم في الذي ذكرت أسمائهم (كذا في النص) فأجابوا بأنهم أكفاء، وقد وافق نظركم الصواب والجميع ممنونين (كذا في النص) الرئيس يخاطب الذين اختارهم أرجوكم أن

تتفضلوا بقبول إدارة شئون المدرسة فقد وقع الاتفاق على اختياركم.

الشيخ إبراهيم بن محمد مخاطباً للشيخ عبدالله: إني أشكركم باسم أخواني المنتخبين على حسن ظنكم بنا وأشكر كل من حضر على ما أبدوه من الثقة بنا، ولكن القيام بخدمة الإدارة من مهام الأمور وفي ظني أنه لا يتم إلا إذا تفضل جنابكم بقبول رآسة الإدارة فاستحسن جميع الحاضرين هذا الطلب ورغبوا إليه في قبوله فاعتذر بكثرة انشغاله فلم يعذروه فقبل الرئاسة [1] بشرط أن لا يكلف الحضور إلا وقت فراغه فشكروه على ذلك. ثم إن بعض المنتخبين أبدى أعذار (كذا في النص) خفيفة لم تقبل منهم وبعضهم تعذر عن قبولها إلا إذا جعل صوته في الإدارة بستة أصوات عند ذلك كثر القيل والقال. وكاد يعتري نظام الجلسة الاختلال فأعلن الرئيس ختام الجلسة وانصرف الناس شاكرين وللكهم المحبوب داعين وبترتيب الجلسة معجبين.

كانت الجلسة على أكمل ترتيب وأحسن نظام بهمة الذي اختارهم حضرة الشيخ عبدالله لمساعدته في شئون التأسيس وهم الشيخ إبراهيم بن محمد [2] والشيخ عبدالوهاب الزياني، وعبدالرحمن بن محمد [3] ويوسف فخروه وقاسم الجيراوي، واستشارهم في ذلك حضرة المحترم السيد عبدالله دحلان، وكان الجميع قد عقدوا للاكتتاب في مساعدة هذا المشروع العظيم فجزاهم الله خير الجزاء وشكر مساعيهم آمين.

النتيجة

بلغ مجموع ما تبرع في هذا الاجتماع عدد ١٤٨٠٠ روبية من أعيان البلاد وعددهم ٤٧ شخصاً وتقرر أن يكون المديرون لشئون المدرسة الذوات الموضحة أسمائهم كذا في النص) تحت رئاسة الشيخ عبدالله.

الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة

عبدالرحمن بن محمد الزياني

عبدالعزيز بن حسن القصيبي

محمد بن راشد بن هندي

الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني

سلمان بن حسين بن مطر

يوسف بن راشد آل بن علي

عبدالله بن حسن الدوسري

شاهين بن صقر الجلاهمة

عبدالرحمن بن أحمد الوزان

قاسم محمد الجيراوي

التحقيق والاستقراء

هذا هو النص الحرفي لمحضر الجلسة الأولى التي انعقدت بدار الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة رئيس مشروع التعليم الحديث في البحرين ووزير المعارف فيها بعد ذلك حيث ظلت وزارته الوزارة الأولى في البحرين لمدة ستة واربعين عاما أي منذ أن تشكلت الإدارة الخيرية للتعليم الحديث عام ١٩١٩ حتي وفاته عام ١٩٦٦م.

وهي أيضاً أول وزارة معارف تشكلت في مناطق الخليج العربي وبقيت وحيدة فيه لا ينازعها منازع حتى خمسينيات القرن العشرين الميلادي وربما في ستينياته في بعض دوله. ولن ندخل الآن في تفاصيل نشأة وزارة المعارف في البحرين تلك التي كانت الإدارة الخيرية بمثابة ديوانها.. ولا في تفاصيل نشأة تلك الإدارة وستأتي تلك التفاصيل عندما نتكلم عن نظامها الذي وضعه المستشار السيد عبدالله صدقة دحلان كما أسلفنا واقره مجلس مشروع التعليم الحديث في البحرين. وسندخل في مجال قرارات الجلسة الأولى لنستقرئ ما سجله محضرها من وقائع الاجتماع الذي عقده أعضاء مجلس المشروع للمرة الثانية بعد جلستهم التمهيدية التي عقدت بدار ولي العهد آنذاك الشيخ حمد بن عيسى الخليفة والتي كادت مناقشاتها ستؤدي بالمشروع إلى حتفه لولا أن تداركه أصحابه فعقدوا هذه

الجلسة التي نحن بصدد استقراء حيثيات محضرها. وسنترك الحديث عما كاد ان يتعرض له المشروع من انهيار إلى حين وصولنا الحيثية الأولى من محضر الجلسة المتعلقة بخطاب رئيس المشروع امام هيئته التأسيسية.. نترك ذلك لنتحدث عما بدأت به مقدمة الجلسة الأولى من الحديث عن انتظام أعضاء الهيئة التأسيسية في سلك الجلسة أولئك الذين سجلت أسماؤهم من قبل دفتر الاعانة أي خلال شهر واحد من انقضاء الجلسة التمهيدية، ثم ما تحدثت به مقدمة الجلسة بعد ذلك عن وصول مندوب الحاكم الشيخ عيسى بن علي الخليفة ـ الذي كان يحلو لأهل البحرين أن يلقبوه بالملك[١٧] ـ إلى مقر الجلسة وما كان من تسليمه كتابا من الحاكم إلى رئيس المشروع به مرسوم موجه من الحاكم إلى الجمعية التأسيسية يقضي بإجازة مشروع التعليم الحديث في البحرين، كما أسلفنا في أواخر تقديمنا لهذه الجلسة..

وما جرى بعد ذلك من افتتاح الجلسة بخطاب رئيس المشروع الذي تلاه الشاعر ابراهيم بن محمد الخليفة نائب الأول للرئيس بتكليف من الرئيس نفسه. لقد جاء ذلك التكليف في مكانه المناسب بسبب أن الخطاب كان أيضاً قد كتبه الشاعر بتكليف من الرئيس نفسه.

خطاب الرئيس

وقبل أن نسمح لأنفسنا بأن تجوس خلال خطاب الرئيس لا بد لنا من وقفة نذكر فيها بأن هذه الجلسة قد حفلت بخطب وكلمات عديدة وقصيدة واحدة فقط. فبعد الانتهاء من خطاب الرئيس جاءت كلمة القاضي الرئيس قاسم بن مهزع ثم اعقبها خطاب من الشيخ المجاهد عبدالوهاب بن حجي الزياني ثم تلا ذلك قصيدة خليل حسن كانو وتلاها نيابة عنه المنشد محمد الملا عبدالله..

وحين نعود إلى خطاب رئيس المشروع نجده يحمل هموماً كبيرة.. منها احساس صاحبه بالعبء الملقى على عاتقه هو وزملائه في هذا العمل التعليمي الجديد. لكنه حاول في خطابه

تغطية تلك الهموم بجمل تفاؤلية تحمل كلمات طيبة بدأها باظهار غبطته وسروره بلقائه اعيان البلاد وتجارها المتنادين للقيام بمشروع التعليم الحديث في البحرين ودعمه مادياً ومعنوياً. ثم أبان عن فرحه باجتماعهم مركزاً على اريحياتهم في التعاون والتعاضد راداً كل ذلك إلى الله جل شأنه مستمداً منه العون في تأسيس مدرسة الهداية كنموذج أول لما سيقيمه المشروع من مدارس.

كذلك فإن من تلك الهموم كما أسلفنا ما أفصح به الرئيس عن مكنون نفسه حين خاطب الحاضرين مباشرة مؤكداً لهم ان انشاء المدرسة النموذج يهمه شخصياً ويتجاوز ذلك فيقول: تهم كل مسلم.. يقول ذلك وهو يضع نصب عينه محاولة الخروج بالبلاد تعليمياً من حالة الجمود والجهل بالمتغيرات الجارية التي بدأت رياحها تهب بسرعة بعيد عن الحرب العالمية الأولى.

ومع ما أبانه الرئيس في خطابه من السرور العظيم بالحضور الكبير من أعيان البحرين وتجارها في ذلك اليوم من أجل دعم المشروع إلا أنه أبدى استياءه وأسفه كما يقول: مما وقع في الاجتماع الأول.. وهو يعني الاجتماع التمهيدي للمشروع الذي انعقد في مجلس أخيه ولي العهد الشيخ حمد وتحت رعايته شخصياً.. وأبان الرئيس كيف كان للمناقشات المتعارضة التي وقعت في ذلك الاجتماع من دور تعويقي قضى بتأخر العمل في المشروع أو كاد أن يوقفه.

لقد ذكرنا طرفا من حادثة ظهور المعارضة لمشروع التعليم الحديث الأول في البحرين في نص الجلسة التمهيدية وفي التعقيب عليها، أما هذه الجلسة فتقول الفقرة الثالثة من محضرها على لسان رئيس المشروع انه أبدى مزيداً من استيائه مما وقع في الاجتماع الأول الذي كان تحت رعاية ورئاسة أخيه ولي العهد آنذاك.

أما الفقرة الرابعة من محضر الجلسة الأولى فتقول علي لسان رئيس المشروع: ان الرئيس قدم شكره الفائق لأخيه الشيخ حمد ولخاله الشيخ ابراهيم بن محمد والشيخ عبدالوهاب الزياني ولكل ذوي الغيرة الدينية.. وخاصة القاضي قاسم بن مهزع الذي

كشف الرئيس عن دوره (في الذب عن المشروع وإزالة الشكوك والأوهام عنه).. وحين تفاعلت احداث معارضة بعض أعيان البحرين وعلمائها للمشروع وأصبحت بعض منابر الجوامع في المنامة والمحرق والحد والرفاع مسرحاً لنقد المشروع أو تأييده مما اضطر الحاكم أن يكوِّن هيئتين واحدة من المؤيدين والأخرى من المعارضين ليتحاور الطرفان ويخرجا بنتيجة مثمرة. فناب عن المؤيدين كل من الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة والشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني والحاج شاهين بن صقر الجلاهمة..

وناب عن المعارضين كل من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الصحاف(١٨) والشيخ عيسى بن راشد بن عيسى(١٩)، والشيخ شرف أحمد اليماني(٢٠).

لقد كان هدف الحاكم أن يصل الطرفان إلى نتيجة مثمرة - كما أسلفنا - توقف المزيدات في موضوع مشروع التعليم الحديث في البحرين، ولكن الطرفين التقيا مرة واحدة بمنزل الشيخ الصحاف غير انهما لم يتفقا على شيء ومضى اسبوع واحد.. عند ذلك تدخل القاضي قاسم بن مهزع وكلَّم المعارضين واسكتهم بعد أن أفتى بإجازة المشروع وإباحة العمل فيه(٢١).

هذا ما أجمع عليه المرحومون - ان شاء الله - وهم الشيخ محمد بن عيسى الخليفة، والمحامي الاستاذ أحمد يوسف الشيراوي، والحاج أحمد حسن ابراهيم العطار، وقاسم بن محمد الدغاث الخليفة لكاتب هذا التحقيق إبَّان أواخر خمسينيات القرن العشرين الميلادي.. لذلك فإنه كان للشيخ قاسم المهزع دور أساسي في تثبيت دعائم مشروع التعليم الحديث في البحرين بحيث نوَّه عنه رئيس المشروع فقال في مفتتح الفقرة الرابعة من خطابه في الجلسة الأولى: -

(وبنوع خاص بالثناء والشكر لهذا العلامة الفاضل حضرة قاضينا العادل الشيخ قاسم الذي قام في تأييدهم أتم قيام وانزل عن المشروع الشكوك والأوهام).

ويستمر القاضي الرئيس في أداء دوره المتميز في مجلس المشروع مما حدا برئيسه أن يعهد إليه باعلان الأسماء التي ستدير المشروع بعد ان اختارهم أعضاء في هيئته التأسيسية التي كان قوامها (٤٧) فرداً، حيث اجتمعوا في جو عاصف من معارضة بعض علماء الدين ومشايخه. إلا أن هذا الأمر لم يمنعهم من إنجاز اختيارهم أعضاء إدارة المشروع التي أصبحت تدعى (الإدارة الخيرية) للتعليم الحديث في البحرين. أما المدة الزمنية الواقعة بين الجلستين التمهيدية والأولى فقد قضاها المؤسسون في اقناع الشخصيات البارزة في البلاد بجدوى المشروع وحجيته في وضع البلاد في مسار التقدم والارتقاء.

لقد أبان رئيس المشروع عن أمله القوى في قيام المنتخبين بما سيسند إليهم من أعمال في الإدارة الخيرية واثقا في مقدرتهم على متابعة اجتماعاتهم مع المستشار السيد عبدالله صدقة دحلان من أجل ما سيختارونه من مواد النظام التعليمي الذي أعده السيد المذكور لإدارة مدرسة الهداية. أما أسماء أعضاء مجلس الإدارة الخيرية المنتخبين فهي نفس أسماء العشرة الرجال التي ذكرت في الجلسة التمهيدية في محضرها الذي اثبناه في الحلقة الأولى من هذا البحث.

وحين نصل إلى الفقرة الخامسة من خطاب رئيس المشروع نجد الرئيس يركز على عاملين أساسيين في تأسيس أول مدرسة (نموذج) في مشروع التعليم الحديث في البحرين هما المال والرجال.. لكنه يرفع من أهمية الرجال خاصة إذا ما وفقت الجمعية العمومية للمشروع في اختيارهم . وقد أعطى الرئيس بعض مواصفات هؤلاء الرجال فوصفهم بأنهم: (من ذوى الغيرة والدراية والخبرة الذين يضحون مصالحهم الخصوصية على المصالح العمومية).

اما الفقرة السادسة من خطاب رئيس المشروع في افتتاح الجلسة الأولى التي نحن بصدد تحقيقها . فيكشف فيها عن يقينه التام بالاريحية التي يتميز بها البحرينيون في التنادي لدعم كل مشروع يعود بالنفع على بلادهم .. فيذكرهم أولاً أن اخوانهم من أعيان وتجار الكويت كانوا قد جمعوا . قبل سبع سنين من تأسيس مشروع التعليم الحديث في البحرين. من مائة وخمسين ألف إلى مائتي ألف روبية لمدرسة المباركية.. ولا يفوت الرئيس

هنا أن يبدي قناعته بأن أهل البحرين ليسوا دونهم في الكرم.. وهو يعني أهل الخير. ان قناعة الرئيس تلك كانت تأتي من معرفته الجيدة بما سبق لأهل البحرين من جمع اعانات كثيرة أظهروا فيها من علو وعظمة الايثار ما استحقوا به الثنآد الحسن.. سواء داخل البلاد مثل اعانتهم لمتضرري الطبعة الأولى من البحرينيين[٢٢]، أو خارجها مثل اعاناتهم لفقراء المسلمين في الهند. أو كاعانتهم للمقاومة الليبية من الاحتلال الايطالي عام ١٩١١ كما أشرنا إلى ذلك في الحلقة الأولى من هذا البحث.

نعود إلى الحديث عن استشهاد رئيس المشروع باريحية أهل الكويت حيال مدرستهم الأولى (المباركية) وتقديره للدعم المالي الذي جمعوه لها لنجد أن مؤرخي التعليم الحديث في الكويت يقصرون قيمة ما جمع من مال لبناء مدرستهم وتسيير الدراسة فيها حيث ذكر الاستاذ عبدالله الحاتم في كتابه (من هنا بدأت الكويت) ان ما اجتمع للمباركية في وقت قصير من حملة التبرعات على ما يزيد من ثمانين ألف روبية[٢٣] بينما ذكر الاستاذ صالح شهاب في كتابه التعليم في الكويت والخليج ان ما جمع للمباركية كان (٧٨٠٠٠) روبية اقتطع منه (١٦٠٠٠) روبية لبناء مقر المدرسة[٢٤].. أما الباقي فقد استثمره مؤسسو المدرسة خير استثمار بأن فرقوا بعضه قروضاً على بعض النواخذة الغوص في الكويت لاستثماره في بيع وشراء اللؤلؤ، والبعض الآخر اشتروا به سفينة غوص وبعض الدكاكين للاستفادة من ايجارها[٢٥] وهو عمل رائد ومحمود من أجل الاعتماد علي النفس.. وهو ما لم يتسن للادارة الخيرية للتعليم في البحرين القيام به لدعم ميزانية مدرسة الهداية الخليفية.

التمايز بين الهداية والمباركية

وبهذه المناسبة لن نترك الحديث يمر في التعقيب على ما ذكره رئيس المشروع عن المدرسة المباركية في الكويت دون أن نذكر ذلك التمايز بين المباركية والهداية في مجال تأسيسهما كنواتين للتعليم الحديث في الكويت والبحرين وكرائدتين لذلك التعليم في الخليج العربي كله. لقد كان التمايز بينها واضحاً، فالمباركية كان لها فضل السبق في الظهور لسبع سنوات خلت قبل تأسيس مدرسة الهداية إلا أن المباركية ظهرت كمدرسة لا كمشروع..

بمعنى أنها لم تقم كنواة لمشروع تعليمي.. كما هو الحال بالنسبة للهداية فلم تكن لها - في البدء - إدارة تأسيسية دعت إلى جمعية عمومية فتكونت من عشرات من المؤيدين لهذا النمط الحديث من التعليم فانبثقت من تلك الجمعية العمومية إدارة منتخبة لإدارة الهداية كنواة لمشروع.. لذلك لم يكن للمباركية قانون تعليمي يشمل لائحة داخلية لنظام التدريس أو للتنظيم الداخلي فيها.. كما أنها لم تعد لطلبتها - في أول مزاولتها لعملها - مقاعد دراسية بل كانو يجلسون على الأرض، ولم يكن بها طبيب مدرسي.. ولم يأت اشهارها - في البدء - بمرسوم أميري.. ولا تهيأ لها ذلك الحشد من المناصرين الداعمين الذي تهيأ - مع كل ما اسلفناه من ميزات - لمدرسة الهداية كنواة لمشروع عام.

لهذا لم يذكر مؤرخو التعليم الحديث في الكويت شيئاً تفصيلياً دقيقاً عن المدرسة المباركية مثل أن يكون لها مجلس إدارة يفترض أن تكون له اجتماعات دورية تصدر عنها محاضر ذات قرارات يمكن أن تضمنها مضبطة كما كان الحال مع الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين في نموذجه المتمثل في مدرسة الهداية بالمحرق.

كذلك لم تنل المدرسة المباركية في الكويت تلك العناية كالتي نالتها الهداية التي أصبحت معلماً تعليمياً من معالم البلاد العربية. فالمباركية انشئت كمدرسة عادية، وليس كنواة لمشروع تعليمي مستقبلي.

يقول عبدالله الحاتم في كتابه (من هنا بدأت الكويت): في سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) انشئت أول مدرسة نموذجية عرفت بالمدرسة المباركية وهذه أيضاً لا تختلف عن الكتاتيب إلا من حيث ضخامة البناء وتقسيم التعليم إلى فصول. أما التعليم فهو القراءة والكتابة والحساب. إنما أضيفت أسماء جديدة إلى هذه المواد. أما الأساتذة فمعظمهم من أصحاب تلك المدارس (يعني الكتاتيب) وسياسة الضرب بالعصا والفلقة والحبس في غرفة مظلمة. وسلسلة قوية تربط بها التلميذ وغير ذلك لم يتغير، وظلت هذه المدرسة على تلك الأوضاع إلى عام ١٩٣٧).

هذا ما قاله الحاتم وهو قريب مما ذكره الاستاذ صالح شهاب في كتابه (التعليم في الكويت والخليج) حيث قال: (وفي عام ١٩٢٠[٢٧] في عهد المرحوم أحمد الجابر الصباح استدعى الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وتباحث معه حول رفع مستوى التعليم المباركية بادخال بعض المواد الحديثة كالجغرافيا والتاريخ واللغة الإنكليزية).. وقال: وقد اجتمع (يعني يوسف القناعي) ببعض رجالات الكويت وطرح عليهم فكرة المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح .. إلا أن نفراً ممن ضمنهم هذا الاجتماع عارضوا فكرة التطوير وأصروا على أن تسير مناهج المدرسة المباركية كما هي[٢٨] يعني المناهج المشابهة لمنهج مدارس الكويت الصغيرة القديمة وكتا.

هذا ما اجتزأناه من تاريخ المدرسة المباركية في الكويت جئنا به لإعطاء القارئ فكرة عن تمايز مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق وأختها المباركية. فالهداية جاءت كنواة لمشروع تعليمي نفذ كمخطط لنشر التعليم الحديث في البحرين.. والمباركية جاءت وليدة فكرة عفوية طرحت في حفل مولد نبوي أقيم في مجلس الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وحضره عدد كبير من أعيان الكويت وتجارها.

من كل ما سبق يظهر أنه ليس هناك مقارنة متساوقة بين الهداية والمباركية فالأخيرة كانت - ومنذ نشأتها - تأخذ رسوماً على طلبتها.. وصلت بين عامي ١٩١١ و١٩١٥ إلى ١٨٣٢٠ روبية هندية.. بينما امتازت الهداية بأنها طبقت مجانية التعليم ولم تعرف خلافه حتى يومنا هذا..

ما بين الرئيس والأعضاء

نعود أيضا إلى الخطاب الافتتاحي لرئيس مشروع التعليم الحديث في البحرين في بدء الجلسة الأولى للمشروع لنجده لم يتطرق في خطابه حين استشهد بنشأة المدرسة المباركية في الكويت إلى شيء من التفاصيل عنها ملتزماً بخط سير بنود محضر الجلسة.. حتى أنه رفض السماح بتلاوة قصيدة لشاعر بحريني يدعى حسن كانو سجل فيها اعجابه بالمشروع ورئيسه والقائمين عليه إلا أن الرئيس أومأ إلى الشيخ عبدالوهاب الزياني بإلقاء خطابه

الذي كان ضمن بنود محضر الجلسة حيث جاء فيه قوله:

فقد صرح كتابنا الهادي إلى الصراط المستقيم بأن العلم هو الحياة.. والجهل موت وحياة بهيمية).. وقال فيه أيضاً مخاطباً رئيس المشروع: (فيا صاحب الهمم العالية والأخلاق السامية نقابل اشارتكم بالامتثال لامرك ونلبي دعوتك مستعدين بمساندة هذا المشروع والقيام بما يلزم له من الأعمال).

لقد كان لخطاب الشيخ عبدالوهاب الزياني تأثيره الكبير في نفوس المجتمعين. كما يقول محضر الجلسة - فقاموا للاكتتاب في سجل أعد لهذا الغرض.

وحين نصل إلى الفقرات قبل الأخير القصيرة من محضر الجلسة الأولى لمشروع التعليم الحديث في البحرين نجد أنه - لسعة صدر رئيس الجلسة - استجاب لطلب السيد أحمد يوسف كانو بأن تتلى قصيدة ابن أخته التي كتبها في تأييد المشروع والقائمين عليه.. فعهد يوسف إلى الشاب محمد الملا عبدالله بتلاوتها فتلاها بين يدي الرئيس والحاضرين نيابة عن صاحبها.

بعد ذلك أعلن الرئيس اكتتاب والده حاكم البلاد بمبلغ عشرين ألف روبية هندية. وفي ختام الجلسة أعاد الرئيس قوله السابق للحاضرين: ان أهم ما عقده في المشروع هو الاختيار الجيد في تعيين العاملين فيه وخاصة من أولئك الذين كان قد رشحهم بنفسه.

ثم يأخذ رئيس المشروع مرة أخرى في تكرار حرصه أن لا يأتي إلى الإدارة الخيرية إلا الحريصون على استمرار العمل في المشروع. ولقد ترك للمجتمعين من أعضاء المجلس الحق في ترشيح أعضاء الإدارة الخيرية من بينهم. ولما ظهر أن ذلك قد تم.. أوعز الرئيس إلى الحاج يوسف كانو تلاوة أسماء إداري الإدارة، وحين أتم يوسف ذلك لم يذكر اسمه.. وكان قد تقدم من بينهم.. محتجاً بعدم استطاعته أن يكون عاملاً في الإدارة.. وذلك لكثرة أعماله. أما وصف وظائف مديري الإدارة فقد تلاه قاسم محمد الشيراوي - كاتبها الأول آنذاك على مسامع أعضاء المجلس.. فلم يعترض أحد منهم على ذلك.. خاصة وأن

العمل في الإدارة تطوعي وليس تكليفي . ونتيجة لذلك أحب رئيس المجلس أن يؤكد ذلك الأمر فسأل بطريقة لبقة الأعضاء عن رأيهم في المرشحين للإدارة فأثنوا عليهم وقالوا بأنهم أكفاء فاعتبر الرئيس ذلك موافقة تامة منهم.

إلا أن بعض من انتخبوا للإدارة.. ممن لم يوق شح نفسه طلبوا أن يكون لهم أكثر من صوت في ابرام أو نقض قراراتها، وأن يكون أحدهم طلب أن يحتسب صوته لستة أصوات. إلا أن الرئيس تجاوز ذلك ولم يعره اهتماماً.. ولقطع الطريق على من طالب بأن يعتبر صوته بمثل أكثر من صوت خاطب الرئيس المنتخبين قائلاً: (.. أرجوكم أن تتفضلوا بقبول ادارة شؤون المدرسة فقد وقع الاتفاق عليكم..).

وتعقيباً على كلام الرئيس فقد تقدم الشيخ ابراهيم بن محمد الرئيس الثاني للمشروع نيابة عنه وعن زملائه المنتخبين للإدارة بشكر الرئيس الأول الشيخ عبدالله على ثقته وثقة أعضاء مجلس الشورى في الاداريين المنتخبين.. ولم يفت الشيخ ابراهيم أن يطلب من رئيس المشروع أن يتولى رئاسة اجتماعات الإدارة الخيرية إلا أن الرئيس رفض معللاً ذلك بعدم استطاعته قبول ذلك لانشغاله كما هو معروف آنذاك بإدارة ديوان والده حاكم البلاد، ورئاسته لمشروع التعليم كله وكذلك رئاسته لبلدية المنامة.

وحين علم منه الأعضاء المنتخبون ذلك شاع بينهم الهرج وسوء التفاهم وهوماً لم يحصل من قبل بين أعضاء المجلس مما حدى بالرئيس لفض الجلسة، وأبقى كلاً من الشيخين ابراهيم بن محمد الخليفة وعبدالوهاب بن حجي الزياني، والسادة يوسف عبدالرحمن فخرو، وعبدالرحمن بن محمد الزياني حيث عقد معهم اجتماعاً خاصاً بحضور مستشار التعليم عبدالله صدقة دحلان فقاموا بترتيب شكل جلسات الإدارة القادمة.. ووضعوا قوائم بأسماء أشخاص موسرين يدعون جماعات على فترات من أجل دعم ميزانية المشروع.

وهنا لا بد وقفة مع هذا التصرف الرشيد من قبل رئيس مجلس المشروع.. فإنه خوفاً من حدوث معوقات تحد من حركة تنفيذ عمل المشروع وخاصة في بداياته فقد تجاوز

الرئيس تذبذ آراء بعض أعضاء المجلس ـ كما مر بنا في الفقرة السابقة ـ واختار أربعة من أعضائه المؤسسين وأضاف إليهم المستشار الدحلان فاجتمع معهم عدة مرات خرجوا منها باختيار الأفراد الميسورين في مجتمع البحرين من أجل دعوتهم للتبرع لصالح نواة المشروع وهي مدرسة الهداية.. ذلك المشروع العظيم كما وصفته آخر جملة في نص محضر الجلسة الثانية. ومع أنه لم يرد في ذلك المحضر أي إشارة إلى عملية تبرع له إلا أنه جاء في ختام النص بيان بقيمة المبلغ المتحصل من المتبرعين لنواة المشروع.. فكان قدره ١٤٨٠٠ روبية.

الهــــوامـش

(١) أهم المطالب التي كانت تحملها الرسالة هي كالآتي:

أ. مساواة الشيخ عيسى بمن جاوره من الحكام العرب في ممارسة السلطة القضائية على كل رعاياه ما عدا البريطانيين ورعايا الدول الأوروبية.

ب. يجب أن يكون الشيخ عيسى هو وحده من يختار المناسبين لعضوية مجلس العرف ومحكمة السالفة.

ج. يجب الاسراع في تقديم المساعدة البريطانية للشيخ عيسى لكي يتمكن من إنشاء مرفأ في الزبارة.

د. أن يكون للشيخ عيسى الحق في الاتصال المباشر مع لندن إذا دعت الضرورة دون الحاجة إلى وسيط هو (السلطة البريطانية في الهند).

(٢) يقول الشيخ محمد بن عبدالله الخليفة رئيس النادي الأدبي بالمحرق في رسالة قصيرة بعث بها إلى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة رئيس النادي الفخري:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. بعد امره ان اخبركم بصورة الواقع اخبرك بان الوالد قد تنازل عن الامور السياسية مع «الباليوز» وعهدها الى اخيه حمد والله الموفق. وهذا ما لزم والله يحفظكم.

إبانة: الباليوز (المعتمد البريطاني في البحرين).

حمد (هو الشيخ حمد بن عيسى الخليفة ولي العهد آنذاك).

ولـــدك

محمــد بن عبــدالـلـه الخليفــة

تحـريـراً فى ٩ شـوال ١٣٣٩ ـ ١٩٢٠

(٣) موافق ٤ يناير ١٩٢٠م.

(٤) كذا في النص = والصواب / اسماؤهم

(٥) كذا في النص/ والصواب الآن/ كانو.

(٦) هو الشيخ ابراهيم بن محمد بن خليفة آل خليفة ١٨٥٠ ـ ١٩٣٣م شيخ الأدباء في البحرين أواخر القرن التاسع عشر أوائل القرن العشرين الميلادي عمل نائباً لرئيس الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين من ١٩١٩ ـ ١٩٣٠ صدر في ترجمة حياته واعماله ثلاثة كتب/ الأول للدكتور محمد جابر الأنصاري عام ١٩٦٨ والثاني لحفيدته مي محمد إبراهيم الخليفة عام ١٩٩٣م والثالث للدكتور مكي سرحان.

(٧) الشيخ الزعيم المجاهد عبدالوهاب بن حجي بن أحمد الزياني ولد بالمحرق حوالي عام ١٨٦٥ وتوفي منفياً في بمبي بالهند عام ١٩٢٥ لمزيد من المعلومات عنه راجه كتابنا «نابغة البحرين عبدالله الزائد» ص١٥٠، ١٥١، ١٩٨، ١٩٩.

(٨) القاضي الرئيس قاسم بن مهزع بن أحمد ولد عام ١٨٤٧ وتوفي عام ١٩٤١ ولمزيد من المعلومات راجع كتابنا (القاضي الرئيس قاسم بن مهزع).

(٩) كذا في النص/ والصواب أسماؤهم.

(١٠) هو السيد عبدالله صدقة دحلان من أفاضل الحجازيين هاجر من الحجاز إلى سنغافورة، ثم جاء إلى بومبي بالهند ومنها استقدمه مجلس معارف البحرين عام ١٩١٩ فجاء إليها وسكن بالمحرق وهو الذي وضع قانون التعليم لمدرسة الهداية وبعد عام غادر البحرين إلى اليمن ثم إلى سنغفوره فبومبي. راجع كتابنا القاضي قاسم بن مهزع ص ١٥٢.

(١١) روبية هندية وهي النقد السالك آنذاك في الخليج.

(١٢) كذا في النص/ والصواب الآن كانو.

(١٣) كذا في النص/ اثنين وثلاثين بيتاً.

(١٤) كذا في النص/ ويعني نظام الجلسة.

(١٥) كذا في النص ويعني أن ابياتها بلغت نحواً من ثلاثين بيتاً.

(١٦) كذا في النص/ والصواب = أسماؤهم.

(١٧) ويلقبونه أيضاً بالملك المعظم أو الهمام ويثبتون ذلك في رسائلهم إليه كرسائل القاضي الرئيس قاسم بن مهزع ص٢١١ من كتاب القاضي الرئيس قاسم بن مهزع/طبع الكويت - ١٩٧٥.

(١٨) راجع القاضي الرئيس مهزع ص ١٥٠.

(١٩) امام مسجد الشيخ حمد بن عيسى الخليفة بالمحرق.

(٢٠) امام وخطيب جامع الشيخ عيسى بن علي بالمحرق وعمل قاضياً للشيخ عيسى خاصة.

(٢١) ص ١٥٠، ١٥١ من القاضي الرئيس قاسم المهزع.

(٢٢) الاعصار الأول عام ١٨٩٦ والثاني عام ١٨٩٧ اللذان غرق فيهما كثير من سفن الغوص في البحرين. أما أعظم إعصار ضرب مغاصات اللؤلؤ في البحرين فكان ذلك الإعصار الذي ضرب البحرين خلال شهر سبتمبر من عام ١٩٢٥ وقدرت ضحاياه بأربعة آلاف فرد (مجموعة المؤلف).

(٢٣) الحاتم عبدالله (من هنا بدأت الكويت) ص٧٨ و٧٩.

(٢٤) أي بعد ٨ سنوات من نشأتها.

(٢٥) ص٤٠، ٤٢/ شهاب صالح/ تاريخ التعليم في الكويت والخليج.

(٢٦) ص٣١/ تاريخ التعليم في الكويت والخليج/ صالح جاسم شهاب

المصادر

١ ـ مضبطة الجلسات/ مجموعة المؤلف.

٢ ـ القاضي الرئيس قاسم بن مهزع/ طبع الكويت ١٩٧٥.

٣ ـ نابغة البحرين/ عبدالله الزائد/ ط٢ البحرين ١٩٨٨.

٤ ـ الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين طبع القاهرة ١٩٧٨.

٥ ـ تاريخ التعليم في الكويت والخليج ج١/ ١٩٨٤ للاستاذ صالح جاسم شهاب.

٦ ـ من هنا بدأت الكويت الطبعة الثانية/ الكويت ١٩٨٠ للاستاذ عبدالله الحاتم.

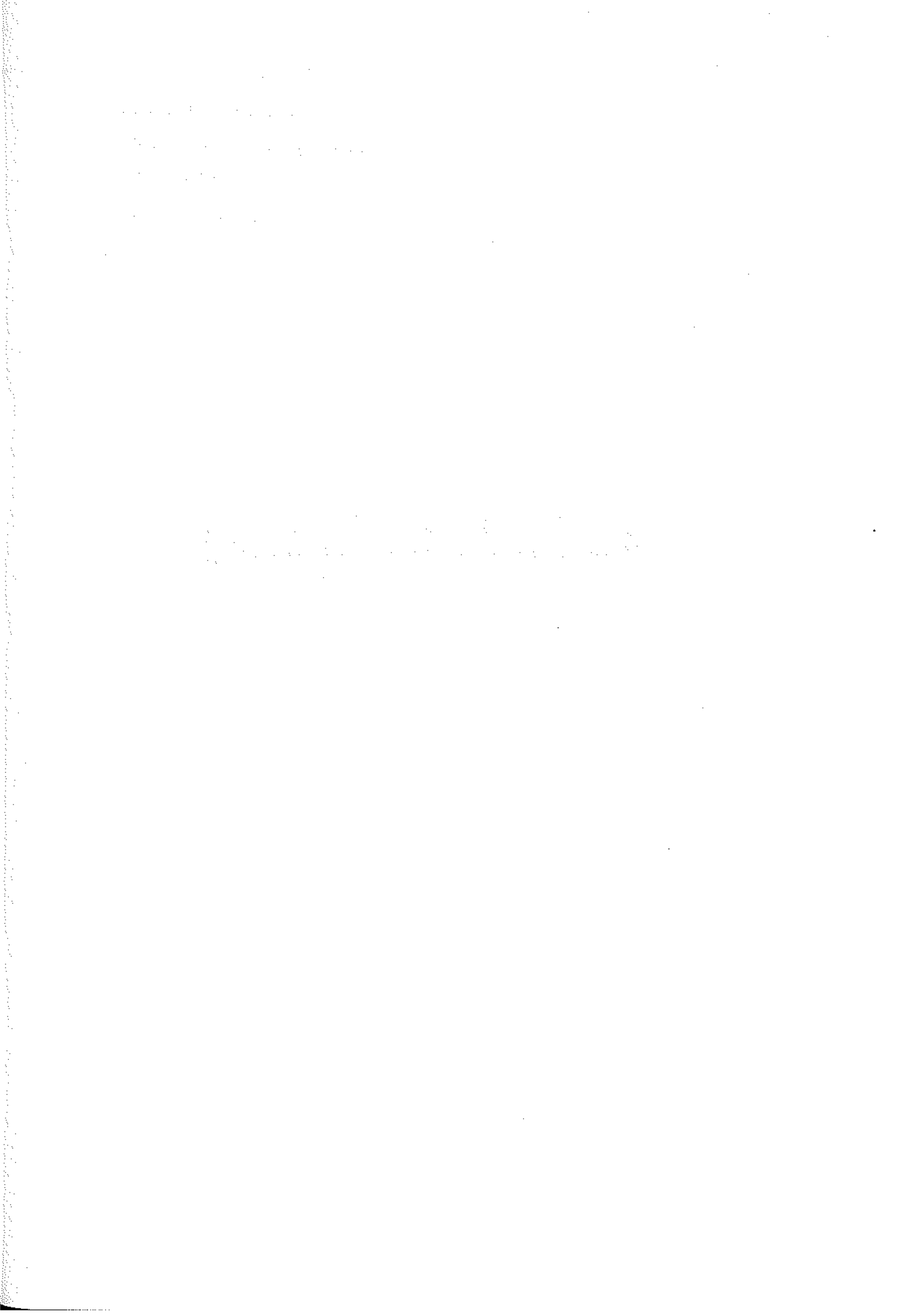
٧ ـ الشيخ عبدالعزيز الرشيد/ د. يعقوب يوسف الحجي/ طبع الكويت ١٩٩٣.

٨ ـ تاريخ الكويت/ الاستاذ عبدالعزيز الرشيد/ بيروت/ مطابع .

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

الجلسة ـ 2 ـ 3 ـ 4

المضبطة / تحقيق واستقراء / مبارك الخاطر / البحرين 2000



محتوي الجلسة - 2 - 3 - 4

الجلسة ـ ٢ ـ نص

بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة الثانية بدار حضرة الشيخ عبدالله يوم الأربعاء. ١٥ ربيع الثاني ١٣٣٨.

ف١. فحضر جميع أعضاء الإدارة الذين تم انتخابهم في جلسة الإعانة العمومية تحت رئاسة الشيخ عبدالله ووجود المستشار العلامة السيد عبدالله دحلان.

ف٢. فبدأت المذاكرة الساعة أربع ونصف صباحاً، وتليي نظام الإدارة جملة واحدة ، ثم ابتدأت المباحثة في كل مادة من مواده.

وحصل تعديل في بعض المواد، وتقرر أن يكون أساساً لنظام الإدارة فيحرر (فبهذي) [1] الدفتر ليجري العمل على مقتضاه، وكلما بدت زيادة مواد للعمل حررت في هذي الدفتر.

ف٣. بعد ذلك تقرر أن يكون الرئيس الأول للإدارة حضرة الشيخ عبدالله، حسبما تقرر في الجلسة العمومية، ثم جرى الانتخاب للرئيس الثاني فتقرر بالاجماع أن يكون الرئيس الثاني جناب الشيخ ابراهيم ، ثم جرى الانتخاب لأمين الصندوق فتقرر بالأكثرية أن يكون الحاج يوسف بن عبدالرحمن فخرو أميناً للصندوق.

ف٤. ثم جرى الانتخاب للكاتب فطالت المباحثة في ذلك، ثم تقرر أن يكون الكاتب في وقت الجلسات قاسم محمد الجيراوي وأن يكون كاتب الدفتر للواردات والمنصرفات، وكل أعمال الكتابة الخارجية عن وقت الجلسات شخصاً ذا كفائة [2] تعد له مشاهرة مناسبة.

فـ٥. ثم ختمت الجلسة في الساعة السابعة والدقيقة ثلاثين بعد أن قرروا يوم السبت ١٨ ربيع الثاني موعداً للاجتماع في الساعة الرابعة، وأن تكون المذاكرة فيه في الأهم وهو نظام المدرسة ليتوصل بذلك إلى التفكر في مركز المدرسة. والله ولي التوفيق.

عند وبأمره محمد بن راشد بن هندي/ سلمان بن حسين بن مطر/ عبدالوهاب بن حجي الزياني/ إبراهيم محمد الخليفة/ عبدالله بن عيسى [٣]/ عبدالرحمن بن أحمد الوزان/ عبدالرحمن بن محمد الزياني/ محمد بن صباح البنعلي/ عبدالله حسن الدوسري/ يوسف عبدالرحمن فخرو/ جاسم محمد الجيراوى.

تحقيق ـ واستقراء ـ

في الفقرة الأولى من نص حيثيات الجلسة الثالثة لمشروع التعليم الحديث في البحرين إشارة إلى عقد اجتماعها بدار سمو الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة بالمحرق، وبحضوره وحضور مستشار المشروع الأستاذ عبدالله صدقة دحلان.. وهي المرة الثانية التي يعلن فيها ـ عبر الجلسات ـ عن وجود ذلك المستشار، فقد ذكر في الجلسة الأولى التي أثبتناها وحققنا حيثيتها مسبقاً [٤] حيث اقتضى ذلك التحقيق أن نعرف تعريفاً موجزاً بالمستشار الدحلان، ونضيف هنا أن ذلك المستشار كان موجوداً بالمحرق في ضيافة الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة قبل انتخابه رئيساً ثانياً للمشروع، وقبل تكوين الهيئة التأسيسية له.. كان الأستاذ الدحلان دائماً ما يُرى في منتدى للشيخ ابراهيم قبل وبعد تعيينه مستشاراً للتعليم، وقد قيل يومها أنه كان للشيخ إبراهيم تأثيرٍ في تزكيته مستشاراً، فقد كان ذلك الاختيار في محله وكسباً مهماً لمشروع التعليم الحديث في البحرين [٥] لذا نرى ذلك المستشار موجوداً دائماً. كعنصر فاعل ـ في الجلسات الأولى للمشروع. ومع ذلك فقد كان ينوي ـ بسرعة ـ الذهاب إلى جنوب

شرق آسيا للعمل التطوعي في المجال الدعوي الإسلامي، فقد جاء في نهاية الفقرة الخامسة من محضر الجلسة الأولى إشارة من رئيس المشروع تقول:

(.. وفي مقدرتهم. (أي أعضاء مجلس المشروع). على الاجتماع من حضرة العلامة السيد عبدالله دحلان لأجل ما يختارونه من النظام الذي حرره المذكور للمدرسة، ويباشروا العمل بمقتضى ما رسم من وظائف المديرين، حيث إن السيد المذكور عجل على السفر).

وحين غادر المستشار الدحلان البحرين منتصف منتصف عام ١٩٢٠ إلى جنوب شرق آسيا واستقر في كولمبو ـ سيرلنكا ـ كانت التأسيسات الإدارية الأولى للمشروع على وشك الاستكمال تنظيماً يرفد نظام الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين الذي وضعه المستشار.

ولم تكن مغادرة الدحلان البحرين عن رضى من قادة المشروع، ولكن رغبة منهم في عدم الوقوف أمامه في عمله الدعوي والتعليمي الإسلاميين سمحوا له بالمغادرة. غير أن غياب الدحلان لم يقف عثرة في اتصاله بقادة المشروع، فقد كانت هناك رسائل متبادلة بينه وبينهم، تحمل فيما تحمل مشروعهم التعليمي الحضاري، وهمَّ العمل الخيري التطوعي في الدعوة إلى الله ونشر العلم، مثلما كان بين ذلك المستشار وبين رئيس المشروع، ورئيسه الثاني، الشيخ إبراهيم، ونائبه الشيخ عبدالوهاب الزياني (٦). وليس بغريب هنا إذا قلنا إن مشروع التعليم النظامي الحديث الذي تأسس في البحرين في العقد الثاني من القرن العشرين كان مشروعها الحضاري ـ آنذاك ـ للقرن العشرين.

فأي مشروع هذا الذي كان قد تخطى بالبحرين تعليمياً ـ عتبة القرن التاسع عشر وزجها في فلك التعليم الحضاري الحديث أوائل القرن العشرين. فعلى الصعيد الداخلي أيقظ بإشعاعه أعين النُّوَّم من مثقفي البحرين وعلمائها، وحرَّك الراكد من

هممهم، مما جعل بعضهم يؤسس مدارس صغيرة خاصة علها تنافس المشروع. وقد كان، وتجيرت تلك المدارس لا لمنافسته وإنما لصالحه فقد كان الكبير منها والصغير تقوم مقام مدارسه صيفاً في تدريس أهم مواد تعليمه. وبذلك فقد كان مشروع نظام التعليم الحديث في البحرين الدافع الأول وراء ظهور التعليم الخاص المبكر في البحرين والخليج العربي (٧).

لقدكان لذلك المشروع الدور البارز في إدخال فنون الرياضة البدنية الحديثة إلى البحرين ابتداء من عام ١٩٢٢ ومنها الفرقة الكشفية البحرينية التي تأسست عام ١٩٢٧.

أما في مجال الثقافة فلا تسل، فالمشروع كان يكاد ذا شقين تعليمي وثقافي، فبسببه ظهر المسرح البحريني في ربوع مدارسه ابتداء من عام ١٩٢٧، ومنه انبثق تعليم الفتاة عام ١٩٢٨.

وبسببه أيضاً تعجل ظهور فترة نشوء المرحلة الثانية من المؤسسات الثقافية فتأسس النادي الأدبي بالمحرق عام ١٩٢٠ وظهر المنتدى الإسلامي بالمنامة عام ١٩٢٨ (٨).

كذلك فقد استطاع ذلك المشروع أن يحجم التعليم البروتستانتي التنصيري في البحرين، الذي كان متفرداً بوظيفته تلك منذ عام ١٨٩٢م وأن ينافسه يوقفه كمتفرد بالساحة التعليمية الحديثة. لقد أعطى هذا المشروع الحضاري للبحرين تعليمها الخاص بهويتها وصبغتها العربيتين الاسلاميتين.

هذا بعض ما جرى على الساحة المحلية، أما على الساحة الخارجية فأي مشروع هذا الذي يهتم له أصدقاء قادته في كل من الهند والعراق ومصر، ويضع قادته أولئك علاقاتهم العلمية والتجارية والثقافية وأموالهم في خدمته. إن أعداداً كثيرة من مراسلات أولئك القادة مع أصدقائهم أولئك في مثل تلك الأقطار التي ذكرناها لتشي وتكشف عن مكانة جليلة سامية للمشروع في نفوس مؤسسيه (٩).

يقول المستشار الدحلان في رسالة له من كولمبو - سيرلنكا إلى الرئيس الثاني للمشروع الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة المؤرخة في ١٩٢٠/١٢/٨م:

وصلني تلغراف من المهراجا - في كراجي يفيد أنه وصله كتابي المتضمن. وأنه أرسل البنائين والمهندس، وأن التفصيل في البريد... فسررت بعنايته.. جل الأمل أن تحصل فرصة فأصل إلى كراجي. لمعاينة ما تم من الأخشاب، وأن تحصل لي بشارة منكم عن إتمام المدرسة».

هذا نموذج متواضع، ونماذج أخرى أوسع وأهم. فأمين الريحاني يكتب آنذاك عن مشروع نظام التعليم الحديث في البحرين، وروفائيل بطي، وساطع الحصري من العراق يكتبان يراسلان بعض قادته، ويحذو حذوهم (محمد علي الطاهر صاحب جريدة الشورى)، ومحب الدين الخطيب صاحب الفتح من مصر [١٠].

ذلك كان عن الفقرة الأولى من الجلسة الثامنة في مضبطة جلسات المشروع. أما الفقرة الثانية من تلك الجلسة فيحرص ضابط الجلسات على أن يحدد وقت بداية أعمالها فيقول: بدأت المذاكرة في الساعة أربع ونصف صباحاً) وهو ما يقارب الساعة التاسعة زوالية، وبعد تكرار ومداولة واستقراء مواد نظام التعليم مادة مادة قرروا إثبات ذلك النظام بتسجيله في ثبت خاص. وقد توصل أعضاء المجلس إلى نتيجة استشرافية نيرة، وهي قرارهم بترك الباب مفتوحاً لما سيطرأ من إضافة بعض مواد أخرى إلى ذلك النظام حيث قالوا عن ذلك: (.. وكلما زادت مواد للعمل حررت في هذا الدفتر).

وحين نصل في تحقيقنا للجلسة الثانية من مضبطة التعليم الحديث في البحرين إلى الفقرة الثالثة منها نجد بها أن مجلس المشروع أكد بصورة نهائية مصادقته على رئاسة

سمو الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة للمشروع، كما صادق أيضاً على انتخاب الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة رئيساً ثانياً له، وانتخاب السيد يوسف عبدالرحمن فخرو أميناً لصندوقه. جاءت هذه المصادقات بالأكثرية كما تقول الفقرة الثالثة من هذه الجلسة.

ونجد في الفقرة الرابعة من الجلسة الثانية قرارين: الأول يقضي بترسيم الشاعر قاسم محمد الشيراوي ضابطاً لجسات المجلس، والثاني يقضي بتعيين كاتب خاص للأعمال الإدارية بالمشروع. وفي الحقيقة فقد كان الأستاذ قاسم محمد الشيراوي بحكم كونه أميناً لسر وأعمال الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة رئيس المشروع هو القائم بالأعمال الإدارية المهيئة لمشروع التعليم الحديث في البحرين، ومنها التدابير الأولى لعقد الاجتماع الأول لهيئته التأسيسية، ومن ثم جلسات المجلس التي كانت حثيثه ومتتابعة، ولم يصرفه شيء عن العمل بالمشروع ضبطاً وإدارة إلا النفي عن بلاده عام ١٩٢١. حيث حل محله الأستاذ الشيخ محمد صالح يوسف، الذي أصبح ـ فيما بعد ـ كاتباً في إدارة المشروع تنفيذاً لقرار مجلسه كما جاء في الفقرة الرابعة من الجلسة الثانية.

أما الفقرة الخامسة فيها فتتحدث عن ختامها الذي يأتي بتوصية بأن تكون جلسة المجلس الثالثة مكرسة لمناقشة مواد نظام مدرسة الهداية ـ نواة المشروع ـ الذي هو بمثابة لائحة داخلية لإدارة سير التعليم فيها، هذه اللائحة التي أطلق عليها (نظام المدرسة) هي أيضاً من وضع المستشار عبدالله صدقة دحلان.

ويبقى ما تميزت به الجلسة الثانية هذه من كونها اختتمت بتواقيع أعضاء مجلس المشروع لأول مرة. وبذلك تكون أول جلسة ظهرت فيها تلك التواقيع.

الجلسة الثالثة (نص)

بسم الله الرحمن الرحيم

ف١. بدار الشيخ عبدالله تحت رئاسة الشيخ إبراهيم يوم السبت ١٨ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨. الساعة أربع إلا عشر دقائق.

ف٢. افتتحت الجلسة وقُرأ (١) جميع ما هو محرر في هذي❖ الدفتر ووقع موقع الاستحسان من جميع الحاضرين، وفي الساعة الرابعة والنصف تشرفت الجلسة بحضور الرئيس الأول، وما تخلف في هذه الجلسة إلا الحاج شاهين بن صقر الجلاهمة، وعبدالله بن حسن الدوسري، ولعل ذلك لأعذار يبدونها فيما بعد.

ف٣. ثم شرع الكاتب في قرائة (٢) نظام المدرسة حسبما تقرر فتُلي مادة مادة وحصلت المباحثة في بعض المواد. ثم حصل الاتفاق على تقرير هذا النظام وجعله أساساً لمدرسة الهداية الخليفية، وأن تسجل جميع مواده في هذي الدفتر ليكون العمل في إدارة المدرسة على مقتضاه، ثم ختمت الجلسة وقرر يوم الاثنين ٢٠ ربيع الثاني موعداً للإجتماع لأجل المذاكرة في موضع المدرسة وصفة بنائها والله ولي التوفيق)

❖ - كذا في النص والصواب - هذا

عند وبأمره:-

محمد بن راشد بن هندي/ سلمان بن حسين بن مطر/ عبدالوهاب بن حجي الزياني/ إبراهيم بن محمد الخليفة/ عبدالله بن عيسى/ محمد بن صباح البنعلي/ عبدالله بن حسن الدوسري/ عبدالرحمن بن أحمد الوزان/ يوسف عبدالرحمن فخرو/ عبدالرحمن بن محمد الزياني/ جاسم محمد الجيراوي.

تحقيق واستقراء

ذلك نص الجلسة الثالثة وهو يتألف من ثلاث فقرات.. الأولى وبها ذكر تحديد مقر الجلسة ورئيسها، وتحديد توقيت انعقادها بالتوقيت الغروبي الموافق زوالياً الساعة التاسعة من صباح السبت ٩ يناير ١٩٢٠م.

أما الفقرة الثانية من تلك الجلسة فتقرر افتتاحها بقراءة جميع ما تحرر في دفتر الاجتماعات، وخاصة عن الجلسة السابقة. ولدقة ضابط الجلسة فقد سجل قدوم رئيس المشروع - رئيس اجتماعات مجلسه - متأخراً نصف ساعة عن بدء الاجتماع، وإن الذي رئس الجلسة قبل مجيئه هو الرئيس الثاني للمشروع. كذلك يشير تقرير الجلسة إلى عضوين من أعضاء المجلس كانا قد تخلفا عن حضور الجلسة. لكن ضابط الجلسة لا يفوته بعد ذلك أن يجعلهما يوقعان بالموافقة على قرارات لم يشهدا جلستها، وهو ما حصل فعلاً بدليل نص الجلسة الثالثة هذه.. وقد يحصل مثل هذا التصرف من أجل المصلحة العامة.. قبل أن يوقع المتخلفون عن أي جلسة ماضية على قراراتها أثناء حضورهم الجلسة الحالية، أو أن يأمر رئيس الجلسة ضابطها بحمل دفتر القرارات إلى مواقع الأعضاء المتخلفين ليوقعوا.

وحين لا يُلتمس العذر لتخلف بعض أعضاء المجلس عن اجتماعاته التي كانت أوقاتها جد متقاربة بحيث أنها كانت تتم ثلاث مرات في الأسبوع، كما تمثل ذلك في الجلسات من الأولى إلى السادسة، فإن أكثر أعضاء المجلس يعيشون بمدينة المحرق فقد يُلتمس له العذر في تخلفه مثل العضو عبداله بن حسن الدوسري فإنه يعيش ببلدة البديع التي تبعد عن المحرق قرابة ١٥ ميلاً بعضها يقع في البحر مما يحتاج عبوره آنذاك إلى زورق شراعي.. يحمله هو وأتانه لنقله من سيف المقر إلى مقر الاجتماع.

ذاك موجز استقرائي للفقرة الثانية من الجلسة الثالثة - أما في الفقرة الثالثة منها فهناك حديث عن شروع كاتب المجلس في سرد مواد اللائحة الداخلية لنظام مدرسة الهداية. ويظهر من ذكر الكاتب في هذه الفقرة من الجلسة لأول مرة، حيث لم يعلن

من قبل في الجلسات السابقة، إن ما تقرر في الجلسة الثانية من استحداث وظيفة كاتب لأعمال المدرسة ـ لا لضبط الجلسات ـ قد تنفَّذ وجيء به ليمارس عمله ابتداء من الجلسة الثالثة هذه.

كذلك فمما أفصحت عنه الفقرة الثالثة من الجلسة الثالثة هو تسمية المدرسة ـ نواة المشروع ـ باسم مدرسة الهداية الخليفية وهو ما لم يرد من قبل كمسمى للمدرسة النواة في مشروع التعليم الحديث في البحرين في كل تقارير الجلسات السابقة، إذ كان يطلق على هذه النواة اسم (المدرسة) فقط. ولقد شمل هذا المسمى بعد ذلك كل مدارس الذكور في البحرين، فرأينا الهداية في المنامة ومثلها في الحد والأخرى في الرفاع، حتى إذا افتتح المشروع باكورة مدرسة للإناث عام ١٩٢٨سماها (خديجة الكبرى) وسمى أختها بالمنامة (عائشة أم المؤمنين) بعد ذلك تعددت أسماء المدارس ذكوراً وإناثاً.

أما ختام الفقرة الثالثة من الجلسة الثالثة فقد نص على توصية لإدارة مدرسة الهداية (النواة) بتنفيذ نظام اللائحة الداخلية في إدارة المدرسة، وأوصى بتحديد يوم الاثنين ٢٠ ربيع الثاني ١٣٣٨هـ الموافق ١١ يناير ١٩٢٠م موعداً لجلسة أخرى يناقش فيها المجلس انتقاء الموقع الجديد الذي سيشيد فيه المبنى الجديد لمدرسة الهداية.

الجلسة الرابعة / نص

بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة الرابعة بدار الشيخ عبدالله تحت رئاسة الشيخ إبراهيم يوم الاثنين في ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ الساعة أربع وربع بحضور المستشار السيد عبدالله دحلان [١].

فـ١ . افتتحت الجلسة بحضور جميع الأعضاء إلا عبدالله بن حسن الدوسري. وأبدى الحاج شاهين بن صقر عذره، ثم حضر عبدالله بن حسن

وأبدى عذره، وقبل عذرهما، ثم دارت المذاكرة في صورة ختم المدرسة، وصورة إعلام الاستلام، فتقرر رسم الختم على صورة المقدمة من المشار إليه، ودارت المذاكرة في أمر الكاتب فتقرر تأخير المذاكرة إلى الجلسة التي بعدها، ثم شرَّف الجلسة حضرة الرئيس الأول.

ف٢. ثم دارت المذاكرة في مركز الإدارة والاهتمام بإكماله، فوعد حضرة الشيخ عبدالله بذلك في هذين اليومين.

ف٣. ثم دارت المذاكرة في أمر المكتبة فتقرر أخذها في هذين اليومين. ثم دارت المذاكرة في الجهة التي تؤسس فيها المدرسة فتقرر بأكثرية الأصوات أن تؤسس في الجهة الجنوبية.

ف٤. ثم دارت المذاكرة في تعيين الموقع من الجهة الجنوبية، فتقرر أن يكون ما بين مدرسة علي بن إبراهيم الزياني وأرض شاهين بن صقر.

ف٥. ثم دارت المذاكرة في صفة بناء المدرسة وأبوابها وأخشابها فتقرر أن يكون البناء على أكمل طراز معتاد في البلاد، وأن تكون أخشاب الأبواب والفتحات من الساج والشكل المقطع، وأن يكون خشب السقف من ألواح (الفيني)، وأن تجعل المدرسة في وسط الأرض يحيط بها من الجهات الأربع رحبات أربع، وفي وسطها رحبة. وأن يكون عدد غرف التلاميذ ثمان، كل غرفة تسع خمسة وعشرون تلميذاً، وأن تحتوي على مركز للإدارة، ولأجل الاختبارات السنوية، وعلى غرف صغار للمعلمين والخدم وغرفة للناظر، وللصلاة إن لم يكن بجانب المدرسة مسجد.

ف٦. ثم تقرر أن يُشرع في العمل من حين تعيين المحل فيسند إلى بعض أعضاء الإدارة شرى الأحجار والجص والأخشاب.

ف٧. ثم تقرر أن يصنع كرسي ومنضدة من أشكال الكراسي التي تصنع

للتلامذة في المدارس الراقية.

ثم عيّن يوم السبت الموافق ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ لأجل المذاكرة في إتمام المواد التي لم تقرر والله ولي التوفيق.

عبدالله بن عيسى

عند وبأمره

١ ـ شاهين بن صقر الجلاهمة.
٢ ـ محمد بن راشد بن هندي.
٣ ـ عبدالله بن حسن الدوسري.
٤ ـ عبدالوهاب بن حجي الزياني.
٥ ـ يوسف عبدالرحمن فخروه.
٦ ـ ابراهيم بن محمد الخليفة / عبدالله بن عيسى.
٧ ـ عبدالرحمن أحمد الوزان.
٨ ـ سلمان بن حسين مطر / جاسم محمد الجيراوي.
٩ ـ محمد بن صباح البنعلي.

تحقيق.. واستقراء

يتألف محضر الجلسة الرابعة من مضبطة مشروع التعليم الحديث في البحرين من سبع فقرات، يكاد يتكون المشهد العام لها من قرارات ذات شقين، يتعلق الأول بإعداد مركز إدارة المشروع، وما يتعلق به من أدوات كتابية، مثل الختم الرسمي لمدرسة (النواة) وكشوف الدفع وإيصالات الاستلام، واعداد مكتبة المدرسة، وكذلك ما يتعلق بموقع المبنى الجديد الذي سيشاد لها مجدداً. أما ما يتعلق بالشق الثاني من المشهد العام لمحضر الجلسة الرابعة فهو مداولة المجلس من إعداد مواد مبنى المدرسة الجديد.

تلك فكرة عن شقي المشهد العام لتلك الجلسة التي انعقدت في وقتها الموصى به في الجلسة السابقة، ففي الفقرة الأولى منها يأتي تسجيل حضور أعضاء المجلس بمن فيهم رئيسه، وكذلك استعراض الرسم التشكيلي للختم الرسمي للمدرسة مع صورة ما سيكون عليه إيصالا الدفع والاستلام الخاصات بها، وكل من التشكيلين والختم والإيصالين من تصميم مستشار المشروع الأستاذ عبدالله صدقة دحلان. وتختتم الفقرة الأولى من الجلسة الرابعة محضرها بذكر مداولة جرت في المجلس بشأن كاتب آخر للإدارة أيضاً يرجى تعينه لكن ذلك يتقرر تأجيله إلى جلسة أخرى.

الموقع المؤقت للمدرسة

وفي الفقرة الثانية من هذه الجلسة تداول أعضاء المجلس وضع مركز إدارة المشروع، وكان قد بدئ ببنائه كمرفق ملحق بمبنى مدرسة الهداية المؤقت بجنوب مدينة المحرق. كان المبنى في الأصل مدرسة إسلامية أسسها المحسن التاجر علي بن ابراهيم الزياني عام ١٩١٥م وحبسها وقفاً على تدريس العلوم ومنها القرآن الكريم واستخرج لها وثيقة مصدقة من قاضي المحرق الشيخ عيسى بن راشد بن أحمد، وموثقة من حاكم البلاد آنذاك سمو الشيخ عيسى بن علي الخليفة. وقد جاء في نص الوقفية ما يلي:

(.. فالداعي لتحرر هذه الورقة الشرعية المعتبرة المرعية هو أن جناب الرجل المكرم الحاج علي بن ابراهيم الزياني قد أوقف وحبس لله الكريم المدرسة المعلومة التي بناها في المحرق أحد أعمال البحرين على أن تدرس فيها العلوم ويعلم فيها القرآن وتكون مأوى للفقراء والعلماء وطلبة العلم، ويجرى عليهم من الإطعام والإنفاق و(حب) الماء [٢] للشرب على حسب إمكان واستطاعة الولد محمد حفظه الله

ببذل ما أمكنه من الطعام لمن يسكن المذكورة. وللفقراء والمساكين الذين لا سكنى لهم الجلوس في المدرسة، إن لم يكن بها مدرس أو معلم للقرآن، وقفاً صحيحاً شرعياً معتبراً مرعياً مشتملاً على جميع مصححات الوقف المذكور من اختصاصنا إلى الله تعالى. وصار حقاً من حقوق الباري جل وعلا..) حرر في اليوم الحادي عشر من ربيع الأول ١٣٣٨هـ.

هذا هو نص وقفية المدرسة، ويظهر فيه أن الموقف لها لم يحبس على عين الوقف وقفاً آخر يبرر ريعاً لاستمرار أداة رسالة المدرسة التعليمية والخيرية. فقد جاءت وثيقة وقفيتها هذه خالية من ذلك سوى وضع المدرسة والإنفاق عليها تحت رعاية ونظارة ابن الموقف. وهذا أمر ليس مألوفاً كثيراً فيما عهدناه من عُرّف في أمر الوقف الأهلي وخاصة فيما يتعلق بمدارس التعليم ومؤسساته سواء كانت إسلامية أو خيرية، لا في البحرين فحسب بل في العالم الإسلامي. فلقد اطلعنا على كثير من الوثائق الوقفية لمثل تلك المدارس فما وجدنا أكثرها إلا وقد أوقف عليها أو حبس على (عينها) أوقافاً أخرى تدر ريوعاً للإنفاق عليها على القائمين بأمر التعليم فيها، وذلك من أجل استمرارها في أداء رسالتها، مثلما كان الحال بمدارس التعليم الأهلي الإسلامي في البحرين على مر العصور [٣].

غير أن مجلس مشروع التعليم الحديث في البحرين آنذاك لا يعنيه شيء من مسألة وقفية مدرسة الحاج علي بن محمد الزياني، إنما كان ما يعنيه منها هو كونه قد اختارها لتكون مبنى المدرسة (النواة) للمشروع لصلاحية مبناها آنذاك ليكون مدرسة نظامية..

أما عن كيفية حصول المجلس على المدرسة ففي ذلك قولان كانت نتيجتهما واحدة، فأحدهما يقول أن مُوقفها كان هو الذي تقدم إلى المجلس بمبادرة أريحية في قبول

مدرسته كمقر لمدرسة الهداية الخليفية المزمع إقامة مبناها الأساسي في مكان رحب من مدينة المحرق، وهذا ما نقلته عن أستاذي الشيخ محمد صالح يوسف خنجي (٤) الذي عمل في شبابه كاتباً أول للإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين وضابطاً لجلسات مجلسها بعد الأستاذ قاسم محمد الشيراوي (٥).

أما القول الآخر فهو ما جاء في نصي جلستي المجلس رقم ٤٣ و٤٤ عن طلبه من الحاج علي بن ابراهيم الزياني أن يجعل من مبنى مدرسته الوقف مقراً لمدرسة الهداية الخليفية.. فوافق على ذلك.. يقول النص الأول في سياق محضر الجلسة ٤٣ بتاريخ ١٧ صفر ١٣٣٩هـ :

(.. وعهد إلى العضو المحترم عبدالرحمن بن محمد الزياني النظر في تحصيل بيت لسكناه (أي مدير المدرسة) (٦) وعهد إلى المذكور وإلى حضرة عبدالله بن حسن الدوسري أن يخاطبا علي بن إبراهيم الزياني في جعل المدرسة محلاً للتعليم فيه إلى كمال تشييد المدرسة) (٧).

ويقول النص الثاني في هذا الصدد في سياق محضر الجلسة ٤٤ المؤرخة في ٢٠ صفر ١٣٣٩هـ بالفقرة الثالثة منها ما يلي:

(.. أفاد الرئيس بوصول كتاب من العضو المحترم عبدالرحمن بن محمد الزياني يذكر فيه أن تفاوض مع الحاج علي بن إبراهيم الزياني بخصوص جعل مدرسته محلاً لتعليم تلاميذ مدرسة الهداية قبل خلاص مدرستها وأن المذكور أجاب مع الممنونية) (٨).

وخلاصة الأمر فقد تضافرت جهود رجال المجلس المخلصة ومُوقف المدرسة، وهو من رجال البحرين المحسنين، على التعاون في ظهور مدرسة الهداية (النواة) أول مدرسة للتعليم النظامي الحديث في البحرين. لقد كانت مدرسة المحسن إبراهيم الزياني على

موعد مع ظهور مشروع التعليم هذا. ولم يكن تبرع مُوقفها بها ليقف عند حد العامين أو الثلاثة التي قضتها مبنى مؤقتاً لمدرسة الهداية للذكور، بل أن هذه المدرسة أصبحت بعد ذلك النواة الأولى لمقر أول مدرسة للإناث تفتتحها في البحرين الإدارة الخيرية للتعليم الحديث عام ١٩٢٨ وهي ليست الأولى فحسب بل في الخليج العربي والجزيرة العربية (٩).

موقع المدرسة الجديد

ذلك ما حاولنا استقراءه من الفقرة الثانية من محضر الجلسة الرابعة وما يتعلق بها. أما في الفقرتين الثالثة والرابعة من الجلسة نفسها فنرى اهتماماً ملحاً من المجلس لإنشاء مكتبة المدرسة، حيث وعد رئيس المجلس بتهيئتها خلال يومين. كذلك ناقش المجلس موضوع الخيارات المطروحة لموقع إنشاء المبنى الجديد لمدرسة الهداية فأقر بالأكثرية أن يكون بجنوب مدينة المحرق هذا قبل أن يلي الأستاذ حافظ وهبة إدارة المدرسة عام ١٩٢٠ حيث أشار على المجلس بتغيير الموقع وتحويله إلى شمالي مدينة المحرق (١٠) في الفضاء الواقع بينها وبين قرية صغيرة تدعى البسيتين. ونتيجة للمبررات التي دفع بها الأستاذ وهبة إلى المجلسس وافق الأخير على رأيه.

تقول الفقرة الأولى من محضر جلسة المجلس رقم ٤٤ فوق العادة ـ المؤرخة في ٢٠ صفر ١٣٣٩هـ:

(.. قدم حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ حافظ وهبة المصري تقريراً ينتقد فيه صلاحية الأرض التي اختيرت أولاً لبناء المدرسة فيها واقترح أن يكون بناؤها في الناحية الشمالية، فتذاكر الأعضاء الحاضرون في ذلك ووافقوا عليه..).

لقد تبين فيما بعد كم هو صائب ومُجد ذلك التغيير في موقع المدرسة، وكم هو استشراف مستقبلي ذلك الرأي الذي أبداه الأستاذ حافظ وهبة ودافع عنه، وكم هو

نابه وذكي تبني ذلك من قبل المجلس، ثم ما كان بعد ذلك من نظرة مستقبلية أيضاً حين حجزت حكومة البحرين فيما بعد مساحة من الأفضية الواسعة المحيطة بمبنى المدرسة وألحقتها بها. لقد استفادت وزارة معارف البحرين (١١) آنذاك من تلك المساحة لممارسة المهرجانات والأنشطة الرياضية لا لمنطقة المحرق كلها فحسب بل لجميع مناطق البحرين.

وحين نصل إلى الفقرة الخامسة من محضر الجلسة الرابعة ـ التي لا زلنا بصدد استقرائها ـ نجد كيف كان أعضاء المجلس حريصين على أن يناقشوا دقائق الأمور في كيفية إنشاء مبنى مدرسة الهداية الجديد. من تلك التوصية باستعمال أفضل مواد بناء مما ذكره محضر هذه الفقرة من مواصفات تلك المواد، فأخشاب الأبواب من (الساج) وألواح السقوف من نوع (الفيني)، وهو خشب صلب. وقد أوصوا أن تكون هيئة البناء على أكمل طراز بحيث لا يخرج عما اعتاد عليه أهل البلاد من أشكال البناء، أما حجارة المدرسة فقد جيء بها من جزيرة (جدا) كأفضل حجارة في البلاد. كل ذلك كان بإشراف مهندس هندي اختاره مستشار التعليم الأستاذ عبدالله صدقة الدحلان، كما ذكرنا ذلك في استقرائنا لمحضر الجلسة الثانية من هذه المضبطة.

كذلك فإننا نجد من خلال الفقرة الخامسة هذه إشارة استشرافية مهمة من خلال توصيف إنشاء مبنى الهداية الجديد، تقضي تلك الإشارة بأن تكون غرف التدريس ثماني تتسع كل واحدة منها لخمسة وعشرين طالباً فقط (١٢). أما ما بقي من تعداد توصيف إنشاء المبنى في الجلسة الرابعة كتفاصيل تجعل المبنى حضارياً للغاية.

أما في الفقرة السادسة والأخيرة في محضر الجلسة الرابعة من مضبطة جلسات مجلس مشروع التعليم الحديث في البحرين الذي انبثقت منه بعد ذلك الإدارة الخيرية للتعليم والتي تحولت بعد ذلك إلى وزارة سميت (وزارة المعارف العمومية) (١٣) فإننا نجد ـ في هذه الفقرة ـ توصية من المجلس بأنه إذا تحدد الموقع الذي ستبنى عليه الهداية شمال مدينة المحرق فيجب أن يشرع العمل في البناء حالاً، وقد كان . فكلف

المجلس بعض أعضائه بعملية شراء مواد البناء وسماها بأنواعها كما جاء في الفقرة هذه.

تقول أواخر الفقرة الأولي من الجلسة رقم ٤٤ المؤرخة في ٢٠ صفر ١٣٣٩هـ عن موقع بناء مدرسة الهداية:

(.. وقررت الإدارة أن تبنى المدرسة شمالي حوطة الشيخ ابراهيم بن محمد وتنقل إليها الأحجار والأشياء اللازمة من الآن، ويشتغل فيها العَمَلة لحفر الأساس، وتقرر أن يكون أساسها الغربي على سمت القبلة..) [١٤].

وتأتي الفقرة السادسة من محضر الجلسة الرابعة بقرار المجلس القاضي بحصر المقاعد والطاولات الجديدة المخصصة لجلوس الطلاب حيث يوصفها بأشكال تضاهي أنماطها في المدارس الراقية. ولا ينهي المجلس جلسته الرابعة هذه التي استقرأنا فقراتها الست الآن إلا بأن يوصي بجلسة أخرى له لإتمام مناقشة ما بقي من موضوعات مطروحة أمامه.. لم يتقرر فيها شيء.

هـوامش الحلقـة الثـالـثـة

(١) كذا في النص.

(٢) كذا في النص.

(٣) كذا فيي النص.

(٤,٥) انظر الحلقة الثانية ص ـ ٥٣ ـ البحرين الثقافية/ العدد٢ ـ أكتوبر ١٩٩٤.

(٦) انظر رسائل صدقة دحلان إلى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة الرئيس الثاني لمشروع التعليم الحديث في البحرين، بما في بعضها أيضامن ذكر التراسل بين الدحلان والشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني عضو مجلس المشروع ونائب الرئيس الثاني. وانظر (شيخ الأدباء) لمي محمد الخليفة من ص١٥١ إلى ١٥٦منه.

(٧) مثل مدرسة السعادة بالمحرق للأستاذ عبداللطيف سعد الشملان، والمدرسة الأهلية بالمنامة للأستاذ إبراهيم العريض، ومدرسة الإصلاح بالمحرق للأستاذ عبدالرحمن المعاودة.

(٨) انظر المنتدى الإسلامي المؤسس بالمنامة عام ١٩٢٨. كتاب من إصدار كاتب هذا البحث عام ١٩٨١.

(٩) انظر من ١٢٩ من شيخ الأدباء إصدار مي محمد الخليفة عام ١٩٣٣.

(١٠) انظر أمين الريحاني في العراق من ص ٢٠٤ إلي ٢٠٦ لروفائيل بطي/ مطبعة السلام/ بغداد ١٩٢٣ وانظر مجلة (الفتح) لمحب الدين الخطيب، إبريل ١٩٢٨، إصدار المطبعة السلفية بالقاهرة وبها نص لمحاضرة ألقاها صاحبها بجمعية الشبان المسلمين عن البحرين، وبها ذكر التعليم الحديث.

هوامش الجلسة الرابعة

(١) لقد تقدمت ترجمة حياة وعمل الأستاذ المستشار عبدالله صدقة الدحلان، والحديث عنه بشيء من الإيجاز في استقراء الحلقة الثانية من محاضر مضبطة مشروع نظام التعليم الحديث في البحرين المنشورة في العدد الثاني من مجلة (البحرين الثقافية) أكتوبر ١٩٩٤.

(٢) حب الماء: مستودع ماء الشرب، ويصنع من الفخّار الأبيض على هيئة زير مستطيل الشكل، أو على شكل (برمة) كبيرة، من أجل تبريد الماء في الصيف، وكان يستعمل في كل المنازل والمساجد والمدارس والمجالس ويوضع في الأماكن العامة ليشرب منه الناس على سبيل الصدقة.

(٣) انظر الفقرة الثالثة التي تتحدث عن بعض مدارس التعليم الأهلي في البحرين كنماذج بالصفحة (٧) من كتابنا (ناصر الخيري) إصدار عام ١٩٨٢ ـ مطبعة حكومة البحرين.

(٤) انظر الترجمة الموجزة للشيخ محمد صالح يوسف الخنجي صفحة ٥٢ من كتابنا (نابغة البحرين.. عبدالله الزائد) الطبعة الثانية إصدار عام ١٩٨٨ ـ مطبعة حكومة البحرين.

(٥) انظر ترجمته في كتابنا (نابغة البحرين) ص٩٧ ـ إصدار عام ١٩٨٨ ـ مطبعة حكومة البحرين.

(٦) أنظر ترجمتنا وحديثنا عن الشيخ حافظ وهبه في كتابنا (القاضي الرئيس قاسم بن مهزع ، الطبعة الثانية، إصدار عام ١٩٨٦ ـ مطبعة حكومة البحرين.

(٧) المدرسة المعنية هي مدرسة الهداية الخليفية.

(٨) أنظر الفقرة (٤) من الجلسة الرابعة التي تنص على أن الموقع المختار قبلاً

لبناء مدرسة الهداية كان في الجهة الجنوبية من المحرق بين مدرسة علي بن ابراهيم الزياني. وأرض شاهين بن صقر الجلاهمة.

(٩) لقد دُعيت المدرسة آنذاك باسم (مدرسة خديجة الكبرى الابتدائية) وهي أول مدرسة حكومية للبنات في الخليج العربي، وكان ذلك عام ١٩٢٨ بمدينة المحرق، ومن ثم تتابع افتتاح مدارس البنات الحكومية في دول الخليج العربي، فجاءت الكويت عام ١٩٣٧ الثانية، وقطر ١٩٥٢ الثالثة، ثم جاءت الشارقة ودبي بالإمارات بين عامي ١٩٥٧ و١٩٥٨ الرابعة، وجاءت المنطقة الشرقية من السعودية الخامسة بافتتاح مدرستين أهليتين حديثتين للبنات في كل من الدمام والخبر عام ١٩٥٨ وكانت عمان مسك الختام في البدايات الأولى لتعليم الفتاة في الخليج، إذ بدأ التعليم للفتاة فيها عام ١٩٧٠.

(١٠) انظر نص الفقرة الرابعة من محضر الجلسة الرابعة في مضبطة جلسات مشروع التعليم الحديث في البحرين التي انهينا للتو استقراءها.

(١١) منذ أن تأسست الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين عام ١٩٢٠ التي جاءت لتكون الإدارة التنفيذية لمشروع ذلك التعليم أصبح رئيس المشروع الشيخ عبدالله عيسى الخليفة وزيراً لمعارف البحرين. راجع الحلقة الثانية من مضبطة مشروع التعليم الحديث ص٥٣ من مجلة (البحرين الثقافية) أكتوبر ١٩٩٤ العدد الثاني تحت عنوان (التحقيق والاستقراء).

(١٢) إن ما مارسنا التعلم فيه من صفوف بمدرسة الهداية كانت أكبر مساحة مما ذكره المحضر من حيث وجوب أن يتسع كل صف لـ (٢٥) طالباً. فقد كانت سعة تلك الصفوف تتسع لحوالي (٤٠) طالباً.

(١٣) هذا ما كانت تشير إليه عناوين مطبوعات ومنشورات هذه الوزارة ومنها.. (كراس النظام الداخلي لرجال التعليم في البحرين) الذي طبع في منتصف

أربعينيات القرن العشرين بمطبعة وزنكغراف طباره ولم يذكر به تاريخ طبعة أو مكانه. وقد وزع يومها على مدارس البحرين بصفحاته التسع، ومنذ أوائل خمسينيات القرن العشرين تغير اسم هذه الوزارة من (وزارة المعارف العمومية) إلى (معارف حكومة البحرين). وكان أهم ما صدر عنها من مطبوعات هو ذلك التقرير العام عن أحوال التعليم في البحرين آنذاك، حيث صدر في كراس عدد صفحاته (٦٠) صفحة وطبع بمطبعة دار العالم العربي بالقاهرة عام ١٩٥٢.

(١٤) أنظر الفقرة الثانية من ص٣٥ من كتابنا (الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين من ١٨٧٥ إلى ١٩٢٥) مطابع المختار الرعلامي بالقاهرة عام ١٩٧٨.

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

الجلسة ـ 5

المضبطة / تحقيق واستقراء / مبارك الخاطر / البحرين 2000



* دراسات خليجية - 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 - 1930
* الجزء التأسيسيّ

محتوي الجلسة - 5

نص الجلسة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الجلسة الخامسة بدارة حضرة الشيخ عبدالله وتحت رئاسته، وحضور المستشار مع حضور جميع الأعضاء في يوم السبت ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨.
افتتحت الجلسة في الساعة الرابعة والربع.

١ ـ قرأت الكتب الواردة للإدارة وهي أربعة كتب، أحدها من الحاج علي بن عبدالله حاجيه يعتذر عن الوصول، وتبرع بثلاثمائة روبية، فأجري قيدها، والثاني من العوضية محمد شريف ومن معه، والثالث من وكيل زينل السيد محمد هاشم يفيد أنه رفع لموكله تلغراف بالحقيقة، والرابع من الشيخ عبدالرحيم الخنجي باسم الملك المعظم الشيخ عيسى يهنئه بالمشروع ويشكره ونجله على ذلك.

٢ ـ ثم دارت المذاكرة في تعيين الكاتب وتقرر أن يتولى السيد حسين كتابة نظام الإدارة، ثم صورة الجلسة العمومية الثانية.

٣ ـ ثم دارت المذاكرة في محل بناء المدرسة وتقرر بأكثرية الآراء أن تكون الجهة الشمالية من طرف البلد مع مخالفة رأي المستشار مع ضمية خمسة أصوات.

٤ ـ ثم تلي نظام الإدارة الذي جرت المذاكرة فيه في الجلسة السابقة وعدل فيها بعض المواد فقرر مع ما حصل فيه من التعديل العمل بمقتضاه وأن يحرر في هذا الدفتر.

ف ـ ٥ ـ ثم جرت المذاكرة في المادة الخامسة والأربعون (كذا في النص) [1] المتعلقة بسن التلاميذ فتقرر تعديلها إلى جعل نهاية سنة التعليم لاحد له

بشرط أفراد من زاد سنة عن الخامسة عشر بقسم، وأصل هذا الاقتراح من حضرة الرئيس الأول.

٦ ـ ثم جرت المذاكرة في تقييد حواصل جميع الجلسات العمومية لإعانة المدرسة فقرر كتابة حواصلها في هذا الدفتر والله ولي التوفيق.

عنده وبأمره

سلمان بن حسين بن مطر
عبدالرحمن بن أحمد الوزان
محمد بن صباح البنعلي
يوسف عبدالرحمن فخرو
عبدالله بن عيسى
شاهين بن صقر الجلاهمة
ابراهيم بن محمد الخليفة
عبدالرحمن بن محمد الزياني
جاسم بن محمد الجيراوي
عبدالوهاب بن حجي الزياني
عبدالله بن حسن
محمد بن راشد بن هندي

تحقيق واستقراء

يبدأ محضر الجلسة الخامسة لمجلس المشروع التعليم الحديث في البحرين مذكراً كالعادة أن هذه الجلسة تنعقد بحضور رئيس المجلس وحضور جميع أعضائه بما فيهم مستشار التعليم الأستاذ عبدالله صدقة دحلان.. الذي كان لا يحضر عادةً إلا بطلب المجلس.. وكالعادة أيضاً فقد انعقدت هذه الجلسة بموقعها الرسمي - دارة رئيس المجلس بمدينة المحرق - وقد افتتحت الساعة الرابعة من صباح يوم السبت ـ ٢٥ ـ ربيع

الثاني/١٣٣٨، ولم يذكر ضابط الجلسة موعد اختتام اجتماعها من ذلك اليوم كعادته في أغلب جلسات المجلس.

وفي حالات خاصة قد تنعقد جلسة ما من جلسات المجلس في غير موقعها الرسمي، وخاصة إذا كانت هناك دعوة شرفية أو ترفيهية موجهة إلى المجلس مثل دعوته من قبل الشيخ عبدالرحمن القصيبي (٢) ليعقد إحدى جلساته في منزل الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع (٣) الواقع بأحد سواحل مدينة المنامة.. حيث قبل رئيس المجلس تلك الدعوة.. ذلك ما أشار إليه الشيخ محمد صالح يوسف - كاتب أول الإدارة الخيرية للتعليم - بنهاية رسالة له إلى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة الرئيس الثاني للمجلس - مؤرخة في - ذق ١٣٣٨ - تلك الرسالة الذي سنشير إلى أهم ما جاء فيها مما يختص بشؤون خطب ود الجماعات الميسورة مادياً ووجاهياً في البحرين من أجل دعم مشروع التعليم الحديث مادياً ومعنوياً.. وهو ما سنشير إليه - كما قلنا - في تحقيقنا الآتي للفقرة الأولى من هذه الجلسة... يقول الشيخ محمد صالح في نص الفقرة الأخيرة من رسالته تلك إلى الشيخ ابراهيم ما يأتي:

(سيكون الاجتماع بخصوص الإدارة الخيرية يوم السبت القادم في بيت ابن مانع الذي على البحر بطلب من القصيبي وأجابة لدعوته، وسيرتب حضرته الأشياء اللازمة للاجتماع الإداري هناك. وبعد انتهاء المذاكرة يتناول الجميع الغداء في المحل المذكور. والاجتماع الإداري في ذلك المكان مخصوص بهذه المرة. وذلك لراحة الرئيسين المحترمين والأعضاء الكرام..).

وعلى ذكر تغيير مواقع جلسات المجلس فإن الإدارة الخيرية للمشروع بدأت تعقد جلسات مجلسها منذ أوائل ثلاثينيات القرن العشرين بالمنامة التي أصبحت عاصمة للبلاد عام ١٩٢٣م.

الرسالة الأولى

الفقــرة الأولى

نأتي بعد ذلك إلى محضر الجلسة الخامسة هذه فنراه يتألف من ست فقرات.. ولنبدأ بالأولى فقد تليت فيها أربع رسائل واردة إلى المجلس أولاها من تاجر محسن يدعى علي عبدالله حاجيه ـ تبرع بثلاثمائة روبية هندية.. وقد سجلت في دفتر كان معداً لتسجيل التبرعات.. ولا تخلو جلسة من جلسات المجلس من وجوده.. كما هو الحال مع دفتر تسجيل محاضر الجلسات، التي شكلت في مجموعتها ـ فيما بعد ـ مضبطة المجلس هذه التي نحن بصدد تحقيقها فقد عثرنا عليها بملف خاص بها.. مما يظهر حرص ضابط الجلسات عليها من الضياع حيث أعاد تسجيلها مرة أخرى ووضعها بذلك الملف.. وبينما فقد دفتر تسجيل محاضر الجلسات والتبرعات حتى الآن عثرنا على ملف المضبطة.. وهذا يؤكد حدس الأستاذ قاسم محمد الشيراوي الحضاري ـ آنذاك ـ الذي تنبأ بإمكانية فقدان بعض أوراق المجلس ـ الإدارة الخيرية ـ فيما بعد لتظل أخرى عرضة للعثور عليها لذلك نسخها مرة أخرى وحفظها في ملف خاص بها. (٤) لقد وجدنا مثل ذلك الحدس الحريص على حفظ الأوراق الرسمية والأهلية متمثلاً عند كاتبيها الأولين ـ آنذاك ـ بحيث كانوا ينسخون منها نسختين أو أكثر للحفظ (٥) إلى أن عرفت البحرين ـ منتصف القرن التاسع عشر ـ آلة الضغط اليدوي ذي القماش المبلل بالماء لإستخراج نسخ مما يراد نسخه من كتابة (٦).

الرسالة الثانية في الفقرة الأولى

وحين نأتي إلى بقية الرسائل الأربع التي ورد ذكرها في الفقرة الأولى من محضر الجلسة الخامسة هذه.. والذي تحدثنا عن الرسالة الأولى فيها.. نجد أن الرسالة الثانية بها مرسلة من جماعة العوضية في البحرين وفي مدينة المنامة خاصة، وتتركز مساكنها بظاهر المدينة الشرقي ـ آنذاك ـ وأغلب أفرادها ذو خلق ودين.. وأكثرهم تجار أقمشة وبز ولؤلؤ وأقوات. أما التعريف القصير جداً بالرسالة

الذي يورده المحضر، والذي يقول:

(.. والثاني من العوضية محمد شريف ومن معه..) فلا يظهر شيئاً مفصلاً عن الرسالة – الكتاب – ونلاحظ هنا أنه بينما لم يفصح محضر الفقرة الأولى من الجلسة الخاصة عما جاءت به رسالة العوضية.. محمد شريف ومن معه.. فقد أفصح بإيجاز عما جاءت به رفيقاتها الرسائل الثلاث ـ كما أسلفنا.. لذا لم يفصح لنا ما ينبئ به موضوع رسالة العوضية، غير أنها عرضت زمنياً على المجلس في نفس اليوم الذي قدم فيه أربعة رجال من العوضية تبرعهم للمشروع.. وكان يوم ٢٥ ـ ربيع الثاني ـ ١٣٣٨هـ وذلك حسبما جاء في آخر فقرات محضر الجلسة السادسة العمومية للتبرعات للمشروع كما سيأتي في حينه. أما نص التبرع فهاكه:

(.. ثم في٢٥ ـ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ حضر أربعة أشخاص من العوضية تخلفوا عن حضور الاجتماع لأعذار واكتتبوا فبلغ ما تبرعوا به ٦٥٠٠ روبية) ولا يضيف لا النص ولا محضر الجلسة شيئاً جديداً).

غير أن من دواعي فروض التحقيق هنا أن نحاول إضاءة ما يمكن إضاءته حول الحاج محمد شريف قطب الدين.. رئيس جماعته العوضية، كما أفادنا به استاذنا الشيخ محمد صالح يوسف خنجي [٧] عن هذا الرجل الذي ملأ أجواء البحرين والخليج العربي وايران هيلاً وهيلماناً، وكتب عنه في الداخل والخارج بدئاً من ١٩١٤ إلى ١٩٢٣. فقد أنعم عليه بلقب ـ خان بهادور ـ من سلطة الحماية البريطانية في البحرين والخليج والهند، وعين نائباً لرئيس بلدية المنامة، ورئيساً للشرطة ورئيساً للمحكمة المختلطة، وكان له شأن وأي شأن في مواجهة الحركة الوطنية، وفي حادث مايو ١٩٢٣ المفتعل بمنطقة باب البحرين الذي على أثره نُحي الشيخ عيسى بن علي عن الحكم في البحرين [٨].

ولقد تحدث عنه الشيخ محد صالح يوسف خنجي ـ كاتب أول في الإدارة الخيرية

لمشروع التعليم الحديث في البحرين من خلال رسالة بعث بها إلى الشيخ ابراهيم بن محمد الرئيس الثاني للمشروع، قبل أن تتفاعل تطلعات محمد شريف السلطوية من خلال إدارته لبلدية المنامة ولمرفق الشرطة، ورئاسته للمحكمة المختلطة (٩) وقد تطرق الشيخ محمد في رسالته تلك إلى الكشف عن جوانب مهمة في شخصية الحاج محمد شريف.. مقارناً في أولها أياه مع أحد كبار جماعته العوضية في المقام ويدعى عبدالعزيز العوضي (١٠) ملمحاً إلى ما لذلك من علاقة بتأيد مشروع النظام الحديث ودعمه/ قال الشيخ محمد في رسالته تلك إلى الشيخ ابراهيم المؤرخة في - ٣ - ذي القعدة ١٣٣٨هـ الموافق لـ ١٨ تموز - ١٩٢٠ - ما يلي:

بين الرئيس الثاني وكاتب الإدارة:

سيدي العزيز إن محمد شريف العوضي هو رئيس طائفته، ترأس عليهم بمحبته لهم وسعيه المتواصل في نفعهم، وهو مشغوف بحب الرئاسة ومحبة الرؤساء والعظماء فإذا قوبل منهم بالبشاشة والإكرام سلم إليهم أذنيه ليقودوه بهما إلى حيث يريدون يفضل علي عبدالعزيز العوضي في كثير من المزايا والصفات ومحبة العلم ونشره على الطريقة العصرية، وله اليد الطولى في مساعدة مدرسة العجم بالمال، ولولاه لم تعش إلى هذا الوقت. وقد تبرع لمدرسة الهداية هو وجماعته وهو مستعد لمساعدتها على الدوام.

وبهذه الأيام انتخب عضواً في مجلس البلدية إلى أن يقول: (وإني لا أرى بأساً في مجاملة الأول.. (يعني محمد شريف) ومن على مشربه لأن مشروعكم علمي والمشروعات العلمية لا يعترضها عارض من الحكومة الإنجليزية.. بل هي تعاضدها بالمال والمقام ولا سيما إذا طلب الأهالي منها المساعدة وبالخصوص المدارس الإبتدائية..) إلى أن يقول:

تقابلوه بالإكرام، واني جازم على أن إظهار الاستيحاش من رجال الإنجليز ومن

على شاكلتهم يؤدي إلى استيحاشهم. ولذلك ينبغي التحفظ التام وقد يقصر التعبير عما في الضمير، وأنتم أعلم بذلك..)

سيدي الأفخم إن محمد شريف كان أن طلب مني برغبته الزائدة في الوصول إلى محلكم العامر للتشرف بزيارتكم وقد أخبرتكم بذلك، وأنتم حفظكم الله أجيتم بالواجب..)

ذلك غالب نص الرسالة المطولة الموجهة من الشيخ محمد صالح يوسف إلى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة كما هو نصها الذي أثبتناه قبل قليل. أن ما يلفت النظر فيما طرحه الشيخ محمد صالح من تعديل في شخصية الحاج محد شريف قطب الدين.. فهو تأكيده على أن الرجل رئيس جماعته العوضية، وأنه كما قال شغوف بحب الرئاسة، ومحبة الرؤساء والعظماء.. ومحبة العلم، ونشره على الطريقة العصرية، وأنه كان الممول الرئيسي لمدرسة العجم بالمنامة (١١) ولولاه لما عاشت آنذاك، وقد أعان مدرسة الهداية (١٢) ومستعد لاستمرار دعمه لها.. وأنه انتخب عضواً في بلدية المنامة، كما يطالب الشيخ محمد بن الشيخ ابراهيم مقابلته بالإكرام.. مشيراً إلى أنه من رجال الإنجليز الذي يجب أن يخطب ودهم لدعم مشروع التعليم الحديث أما عكس ذلك فإنه يضر المشروع ولا يفيده.. كما يعتقد الشيخ محد صالح.

لقد كتب هذه الرسالة وهو واقع تحت تأثير إخلاصه للمشروع من أجل استمراره وتطوره، فقد عاد إلى بلاده من بمبي من أجل ذلك بعد أن هجرها لضيق اليد حيث كان يعمل ولعدة سنوات لدى مؤسسة محمد بن سالم السديراوي.. وحديث الشيخ محمد صالح عن الحاج محمد شريف هو حديث الخبير الذي نشأ وعاش في بيئة وحياة جماعات خيرة منها جماعة العوضية التي كان رئيسها آنذاك الحاج محمد شريف.. حيث ذكر الشيخ محمد أن الحاج محمد شريف يدعم العلم والتعليم، من ذلك رعايته الكاملة لمدرسة العجم الإتحاد.

وبالمناسبة فإن مدرسة الإتحاد هذه كانت قد تأسست عام ١٩١٠ ـ بالمنامة وكان رئيسها من ذلك الوقت حتى عام ١٩٢٣ هو الحاج محمد شريف.. وكان يحضر احتفالاتها في المناسبات الدينية والقومية حيث يخرج طلبتها وأساتذتها وجموعاً من الإيرانيين إلى شوارع المدينة يضربون الطبول والصنج ويلوحون بالأعلام الإيرانية، وكان أن انشق مجلسها على نفسه إلي فريقين فأنشأ المنشقون مدرسة أخرى مشابهة لها حوالي عام ١٩٢٣ دعيت بمدرسة التربية.. ولكنها انتهت مبكراً وبقيت مدرسة الإتحاد ـ العجم ـ تؤدي رسالتها التعليمية (١٣).

الــرسـالــة الثــالثــة

في الفقرة الأولى

ذاك عن الرسالة الثانية في الفقرة الأولى من محضر الجلسة الخامسة في المضبطة فماذا عن الرسالة الثالثة التي جاء نصها موجزاً في نفس الفقرة كالتالي: –

(.. والثالث من وكيل زينل السيد محمد هاشم يفيد أنه رفع لموكله تلغراف بالحقيقة).. أي بحقيقة مشروع التعليم الحديث في البحرين ووجوده. ولم يذكر المحضر شيئاً عن بقية نص الرسالة التي وصلت إلى المجلس من وكيل الشيخ المحسن محمد علي زينل بن الرضا..

هذا الرجل الذي طبقت شهرته الآفاق في عمل الخير.. سنقف معه ـ كشخصية تعليمية جليلة ـ وقفه قصيرة يقتضيها تحقيق محضر هذه الجلسة فالشيخ محمد هو مؤسس مدارس الفلاح الإسلامية النظامية في كل من جدة ودبي ومكة والبحرين وبومباي.. كان تاجر لؤلو كبير.. فقد سخر أرباح تجارته المتنوعة في الهند وجنوب شرق آسيا والحجاز لعمل الخير.. ومنها دعم القديم من المدارس الإسلامية وتأسيس الجديد منها. كان هامة في عائلته الحجازية الغنية الشهرة. فمنذ صغره كان متديناً..

محباً للفقراء بحيث كان في بعض الأوقات يجوب الشوارع ومعه قروش فضية يوزعها على الصبية لتشجيعهم على الذهاب إلى مدرسته الفلاح التي أسسها في جدة كما أسلفنا..

وجد نفسه في باكر حياته بمدينة بومبي يتعامل في التجارة التي كلفه بها والده ليدربه على أعمالها.. فلم يألف هذا العمل وخرج إلى مصر والتحق بالأزهر.. ولما عاد إلى جدة جمع ما حصل عليه من والده من مال بغرض تأسيس مدرسة.. ولما قصرت يده في جمع المال الذي يملكه استأذن زوجته في أخذ مصاغها لاتمام مشروعه فوافقت، وبذلك ظهرت إلى الوجود النواة الأولى لمدارس الفلاح.. وكانت بجدة كما ذكرنا.. ثم عاد إلى بومبي وعمل في تجارة اللؤلؤ فنجح نجاحاً كبيراً ومنها إلى باريس حيث أسس وكالته التجارية هناك عام ١٩٢٠ وفيها تزوج أيضاً وأنجب وعاد إلى بومبي، ومنها إلى دبي حيث افتتح مدرسة الفلاح بدبي [١٤] عام ١٩٢٧ وبعدها مباشرة زار البحرين. وكان ذلك عام ١٣٤٧ الموافق ١٩٢٩ وأسس بها مدرسة الفلاح البحرينية.

لقد ترجم لحياة الشيخ محمد علي زينل وأعماله من خيرية وتجارية كثيرون وباللغة العربية والإنجليزية، والأردية.. ويُعد مشروعه التعليمي الخيري ـ مدارس الفلاح ـ مشروعاً حضارياً إسلامياً في القرن العشرين ضم الحجاز والهند، وبعض أجزاء جنوب شرق آسيا والخليج العربي واستمر يرعى هذا المشروع ويدعم ما شاكله من مشاريع تعليمية حيث دعم بالتبرع مدرسة الهداية بالبحرين، والمدرسة الأحمدية بدبي وبعض مدارس الهند والحجاز.. ولكن جاء وقت قصرت يده قليلاً عن الاستمرار في ذلك بسبب أزمة الإقتصاد العالمية أوائل ثلاثينيات القرن العشرين وأزمة اللؤلؤ الحر في العالم من جراء ظهور اللؤلؤ الياباني ولكن الشيخ زينل لم يتوقف كلياً [١٥] ربما إلا بعد أن تمحورت حياة تلك المدارس التي أسسها إما بضم أكثرها – بعد ذلك – إلى وزارات التربية في الدول التي أنشئت بها أو بانتهاء حياتها سريعاً كمدرسة الفلاح البحرينية التي كان لمشروع التعليم الحديث في البحرين يد في ذلك حيث شملت

مدارسه أهم مناطق البلاد فأنهى حياة بعض المدارس الأهلية وهذا ما حصل مثله لمدرسة الفلاح بدبي أيضاً التي حظيت بشأن تعليمي كبير في حياتها حيث ضمت إلى المدرسة الأحمدية بدبي بين عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ (١٦).

بقول الأستاذ ابراهيم أبو ملحه في كتابه (الشيخ محمد نور) في تعريفه بمدرسة الفلاح بدبي:- ***(ولمزيد من الفائدة نذكر أن الشيخ محمد علي زينل زار دبي في وقت سابق. يعني العام ١٩٢٧ الذي أسست فيه المدرسة ووقف بنفسه على مدى احتياج البلاد لنشر العلم وإنشاء المدارس.. لذلك أسس مدرسة الفلاح المذكورة ببر دبي في عمارة الشيخ المربن حريز.. ويقع مكانها حالياً بجانب مبني وزارة المالية.***

مدرسة الفلاح البحرينية

هذه إشارة موجزة عن نشأة مدرسة الفلاح بدبي رصيفة الفلاح بالمنامة.. والمدرستان تميزتا بوقوعهما جغرافياً بموقع واحد هو الخليج العربي.. وهما تعدان فيه المدرستان الفلاحيتان الوحيدتان فلم يكن للكويت وقطر وعمان نصيب من ذلك. وبينما كانت مدرسة الفلاح بدبي هي المدرسة النظامية الحديثة فيه.. وربما في امارات الساحل المتصالح آنذاك.. وقد تميزت بأنها ظلت تؤدي رسالتها التعليمية قرابة - ٣٠ عاماً - كانت مدرسة الفلاح بالمنامة أقل شأناً منها وأقصر عمراً فقد افتتحت بعد تلك بعامين أي عام ١٩٢٩ وكانت بموقع بناية الوزان الآن بشارع الخليفية وعين لها صاحبها مديراً بحرينياً هو عبداللطيف بن سعد أحد قضاة البحرين السابقين.. وانتظم في سلكها العديد من شباب المنامة آنذاك. ويحدثنا الشيخ عبدالعزيز أحمد الرشيد في مجلته (الكويت) - وكان يوم ذاك يعمل مدرساً بمدرسة الهداية الخليفية بالمحرق عن مدرسة الفلاح بالمنامة فيقول:

(شاء حضرة الوجيه الجليل الشيخ محمد علي زينل أن يفتح في البحرين

فرعاً لمدارس الفلاح التي شيدها في بعض الأقطار الإسلامية بماله الخاص حسبة وإجراء وإحياء لما يخشى دروسه من العلوم الدينية التي أوشكت أن تدرس فكان كما أراد فقد فتح هذا الفرع في مدينة المنامة.. جمادي الثانية من هذا العام (١٧) وأقام حفلة شائقة دعى إليها مدراء مدارس الهداية الخليفية، وناظر المعارف وصاحب هذه المجلة. وافتتح حضرته الحفلة بخطبة ارتجالية بليغة أتى فيها على بعض مزايا العلم وفضائله وعلى تنبه عامة الناس في هذا العصر إلى تحصيله، وشعورهم بضرورته. ولا سيما من بيدهم الحل والعقد من أولياء الأمور، ونوه بأعمال صاحب الجلالة ملك العرب، والإسلام عبدالعزيز آل سعود التي كان يبذلها لرفع شأن العلم بتشييده دوره وإرصاد المبالغ الطائلة لطلابه..

ثم ذكر حضرته السبب الذي دفعه إلى تأسيس هذه المدرسة في البحرين التي فتحت حكومتها فيها من المعاهد العلمية ما أخذت تنفق عليها المبالغ الوافرة بسخاء وكان من أهمها على ما يرى حضرته عدم كفاية تلك المدارس إلى أبناء البلاد الذين يوجد عدد غير قليل منهم لم يلجوا أبوابها وهم في حاجة إلي تعليم.

وتابع الشيخ عبدالعزيز حديثه عن حفلة افتتاح مدرسة الفلاح بالمنامة فنقل عن مؤسسها الشيخ زينل قوله.. أنه يعتبر مدرسته هذه فرعاً لمدارس الهداية الخليفية.. وإنه سوف لا يقبل أحداً من أولئك التلاميذ يشوش عليهم أفكارهم ويضيع عليهم أوقاتهم كما يقول: -

ولم يفت الشيخ عبدالعزيز أن يسمى المتحدثين في حفل الافتتاح فذكر أن منهم عبداللطيف بن سعد ناظر المدرسة المعين، والأستاذ عثمان الحوراني مدير مدرسة الهداية بالمحرق، والشيخ عثمان عبدالقادر (١٨) وسجل الأستاذ الرشيد ذلك بحسٍ صحفي مكين في مجلته (الكويت) وأضاف مقترحاً على

صاحبها إقامة وقف عقاري يرصد رعيه لصالح استمرار مدرسة الفلاح البحرينية في تأدية رسالتها التعليمية.. فقال في أواخر كلمته بحفلة الافتتاح:

.. إن السرور بنهضة هذا الشيخ الجليل الاصلاحي لعظيم جداً، غير أن هناك خوفاً يخالج ضمائرنا على ما قام به اليوم، نخشى معه ألا يكتب لها البقاء إلا ما دام حضرته في قيد الحياة.. وانها بعده لا سمح الله سيصيبها من الاخفاق ما يصيب غيرها من كل مشروع شرقي، وهذا ما يوجب على حضرته أن يفكر فيما يضمن لها مستقبلها ليكون بقاؤها مستمراً وعلى أساس متين. ولا أحسب حضرته يخفى عليه ما أريد.

وفي جواب حميمي رد الشيخ زينل علي الرشيد قائلاً:

.. واني أبشر (فلاناً) فإننا قد أخذنا بعدة وسائل تكفل بعون الله البقاء لما قمنا به من الإصلاح، ولكن لم يحن الوقت بعد لإبدائها، إلا أن منها تولي المتخرجين من تلك المدارس أمر التعليم وقيامهم بمهامها.

ويبقى القول أن مدرسة الفلاح البحرينية هي جزء من مشروع كبير.. كان يقوم به صاحبه لوجه الله..

والمدرسة لا تخرج عن كونها مدرسة دينية نظامية كبقية أخواتها في الحجاز وبمبي ودبي.. كان نظام التدريس في هذه المدارس نظاماً حديثاً.. فلها مدراء ومدرسون، وحصص وبوابون، ويرى في كل دهليز من مبانيها لوحة مسجل بها بالحرف الكبير جداول الحصص وأوقاتها بنظام الساعات حيث تبتدئ الحصة الأولى الساعة ـ ٢ ـ صباحاً بالتوقيت الغروبي، ويطبق في تلك المـدارس نظـام الطـابور الصباحي الحديث [١٩] ويصل عدد فصول كل مدرسة إلى ما بين خمسة وستة، كما يصل زمن

حصة الدرس إلى ما بين ثلاثة أرباع الساعة أو الساعة كاملة. أما المنهج الدراسي الذي تطبقه هذه المدارس فهو ديني التوجه وكذلك مواده منبثقة منه ما عدى مادتي الحساب وعلوم اللغة، ومحفوظات من الشعر والأدب، وتعلم الكتابة والخط [٢٠].

كذلك فإن الدوام في مثل هذه المدارس لا يخرج في أوقاته عن أوقات عامة المدارس آنذاك فهو على فترتين صباحية ومسائية كما هو مطبق آنذاك في مدارس مشروع التعليم الحديث في البحرين.

الرسالة الرابعة

في الفقرة الأولى

ذلك ما حاولنا تحقيقه باستقراء ما جاءت به الرسالة الثالثة في الفقرة الأولى من الجلسة الخامسة من مضبطة مشروع التعليم الحديث ـ آنذاك في البحرين وماله من علاقة بالمحسن الشيخ محمد علي زينل ومدارسه. أما الرسالة الرابعة في تلك الفقرة الواردة إلى المجلس من التاجر عبدالرحيم خنجي.. فهي تختلف عن سابقاتها إذ أنها موجهة إلى أمير البلاد ـ آنذاك ـ الشيخ عيسى بن علي الخليفة يهنئ فيها صاحبها الأمير بظهور مشروع التعليم المذكور ويثني على نجله الشيخ عبدالله.

الفقرة الثانية

الجلسة الخامسة

نصل بعد ذلك إلى الفقرة الثانية من محضر الجلسة الخامسة لنرى أن المجلس قد ناقش فيها تعيين كاتب جديد في إدارة المجلس وأن يختص هذا الكاتب الآتي بمهمات هي:

أ ـ كتابة نظام الإدارة.
ب ـ كتابة نظام المدرسة.
جـ ـ كتابة صورة الجلسة العمومية.

لقد سمى المجلس رجلاً يدعى السيد حسين كاتباً لتلك المهمات الثلاث... فلماذا هذا التحديد❖؟

والجواب على ذلك.. أن تلك المهمات الكتابية ليست ـ انذاك ـ بالأمر الهين.. فاختيار الكاتب لمثل ذلك العمل يقتضي آنذاك أن تكون له مواصفات خاصة ومتميزة تؤهله للقيام بالمهام التي يكلف بها.. لذلك فإن مواصفاته المرغوبة تكون كالآتي:

أ ـ أن يكون ذو خلق حسن وسعة بال..
ب ـ أن يكون رجلاً معروفاً بأمانته وحفظ الأسرار.
جـ ـ أن يكون ذو خلفية ذات سعة في اللغة.

د ـ أن يتحلى بخط جميل.. فإنه حلية الكاتب فقد يقتضي أن ينسخ بقلمه نسخاً عديدة من القرارات.. ورسائل وأنظمة يصدرها المجلس.

لقد وجد المجلس في السيد حسين هذه المواصفات فعينه وحدد مهمته ولم يكلفه القرار بغير ذلك.

فبقية المهمات كان يقوم بها الشيخ محمد صالح يوسف خبير الإدارة والحسابات في مؤسسة محمد سالم السديراوي في بمبي قبل أن يعود إلى وطنه ليمارس الضبط والربط في الإدارة الخيرية لمشروع التعليم الحديث في البحرين.

❖ هو السيد حسين السيد يوسف من الكتبة المعروفين في خدمة الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة، وحسين هذا كان تاجر لؤلؤ عادي عاش بين البحرين وقطر والهند وتوفى في مدينة بونة بالهند.

الفقـرة الثالثـة

الجلسة الخامسة

ذلك في الفقرة الثانية من محضر الجلسة الخامسة فماذا في الفقرة الثالثة منه إن محضر هذه الفقرة يقول بأن المجلس ناقش وربما للمرة الثالثة موضوع اختيار موقع مبنى مدرسة الهداية الجديد لكنه حزم أمره بأكثرية الأصوات هذه المرة فأقر أن يكون المبنى في الجهة الشمالية من مدينة المحرق.. مخالفاً بذلك رأى مستشار التعليم الأستاذ عبدالله صدقة دحلان كما تقدم وآخذ برأي مدير مدرسة الهداية آنذاك الشيخ حافظ وهبه (٢١).

الفقـرة الـرابعـة

الجلسة الخامسة

نأتي بعد ذلك إلى الفقرة الرابعة من محضر الجلسة الخامسة لنجدها تتعلق بنظام الإدارة الخيرية للتعليم.. أو بالأحرى اللائحة الداخلية بنظام التعليم بمدرسة الهداية ـ النواة ـ هذه اللائحة كان قد ناقشها المجلس مرتين وهذه هي الثالثة التي أقر فيها بعد التعديل في بعض موادها أن يعمل بها ولتثبيت ذلك أمر بتحريرها في الدفتر الخاص بمحاضر الجلسات.

الفقـرة الخـامسـة

في الجلسة الخامسة

هذا في الفقرة الرابعة من نفس الجلسة الخامسة أما في الفقرة الخامسة منها فقد أعاد المجلس مناقشة مواد اللائحة للمرة الرابعة وخاصة في المادة ـ ٤٥ ـ منها التي تقضي بفتح المجال لتلاميذ مدرسة الهداية في اتمام تعليمهم بها .. ولا عبرة بزيادة سن أحدهم قليلاً عن السن القانونية.. التي حددت بعد ذلك ـ ١٥ ـ عاماً لنهاية

الدراسة الابتدائية.. يقول بعض نص الفقرة الخامسة: ـ**(فتقرر تعديلها ـ أي الفقرة ـ ٤٥ ـ إلى جعل نهاية سن التعليم لا حد له بشرط أفراد من زاد سنة عن الخامسة عشر بقسم..)**.

لقد تحققت في نص هذا القرار نتيجتان.. أولهما أن المجلس قرر ضمنياً أن لا تزيد سن الطالب المتخرج عن ـ ١٥ ـ عاماً هي السن القصوى لنيل الشهادة الابتدائية. وبذلك يمكن القول أنه اعتمد السن الثامنة للطالب لقبوله في الدراسة بالهداية. ثم سرى ذلك على جميع مدارس المشروع.

وتمضي السنون على هذا القرار، وتمر منها ثلاثون وربما فوق ذلك ولم ينقض أحد قرار المجلس ذاك بل يؤيده. وأن قصر مدة بقاء طالب الابتدائي في المدرسة الابتدائية على ـ ٤ ـ سنوات بحيث يتخرج منها وسنه ـ ١٢ عاماً.. فقد جاء في تقرير معارف حكومة البحرين/ عن أحوال المعارف بإمارة البحرين لعام ـ ١٣٧١ ـ ١٩٥٢ حيث قال في الفقرة الثانية تحت عنوان: التعليم الابتدائي ما يلي: ـ

.. يتراوح سن الطفل في هذه المرحلة ما بين الثامنة والرابعة عشر ومدة الدراسة أربع سنوات تنتهي بشهادة اتمام الدراسة الابتدائية التي تؤهل حاملها للالتحاق بالمدرسة الثانوية بدون امتحان (٢٢).

الفقــرة الســادســة

في الجلسة الخامسة

ونصل بعد ذلك في خاتمة مطافنا بفقرات محضر الجلسة الخامسة إلى الفقرة السادسة التي تتحدث بإيجاز عن إعانة مدرسة الهداية.. وهو حديث يتعلق بتبرعات أهل البحرين للمدرسة.. تلك التبرعات كادت تكون مستمرة حتى عام ١٩٢٩ حين احتضنت حكومة البحرين المشروع بأكمله.. وقد كانت قبلاً إعانة مجزية وصلت إلى ثلاثين ألف روبية هندية.

هوامش الجلسة الخامسة

(١) والصواب/.. الخامس والأربعين.

(٢) هو عبدالرحمن القصيبي إحد تجار اللؤلؤ في البحرين والخليج العربي.. أصبح فيما بعد وكيل الملك عبدالعزيز آل سعود في البحرين. له صلات ثقافية وثيقة ببعض أدباء عصره مثل أحمد شوقي، ومحمد علي الطاهر/ صاحب جريدة الشورى المصرية الفلسطينية، وكذلك مع الشيخ محب الدين الخطب صاحب مجلة الفتح، وهو يعد من المحسنين وفاعلي الخير على مستوى الخليج والبلاد العربية والإسلامية.

(٣) هو الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع/ أشهر من أن يُعرف به فقد نشأ في نجد وتعلم فيها ثم في الحجاز والعراق، ومصر، وأصبح رائداً للتعليم الحديث في الخليج العربي والجزيرة العربية في عام ١٩١٠ جاء إلى البحرين، وأسس بالتعاون مع المحسن مقبل الذكير النادي الإسلامي في المنامة وظل يقارع عن طريقه وأحاديثه دعاوي المنصرين، حتى استدعى عام ١٩١٦ إلى قطر وهناك أسس المدرسة الأثرية بالدوحة، وفي عام ١٩٣٧ استدعاه الملك عبدالعزيز بن سعود ليتولى إدارة التعليم بالمملكة ، كان لا يقطع صلته بالبحرين.

(٤) أنظر السطور الأولى في الفقرة الأولى، مفتتح الحلقة الثانية من مضبطة مشروع التعليم الحديث في البحرين في ترجمة الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة. وزير المعارف آنذاك.. ص ـ ٤٩ ـ ٥٠ ـ بالعدد ـ ٢ ـ من مجلة البحرين الثقافية/ أكتوبر ـ ١٩٩٤ .

(٥) ،(٦) ـ هي آلة مكبس حديدية تدار باليد تتخذ لكبس الأوراق الكتابية من أجل

استخراج نسخ لا تتعدى الثلاث لقد وجدنا نتاج هذه الآلة الإستنساخية ممثلاً في كثير من الأوراق والمذخرات الكتابية القديمة، سواء في البحرين أو خارجها كأوراق القضاء الشرعي والمدني والتوثيقات.

(٧) الأستاذ الشيخ محمد صالح يوسف خنجي ـ ١٨٧٩ ـ ١٩٦٧ بعد الكتاب درس بمدرسة الشيخ أحمد بن مهزع بالمنامة ثم درس بالأزهر حتى عام ١٩٠٢، عاد بعدها إلى البحرين وعمل بها، ثم غادر إلى بمبي وعمل إدارياً بمؤسسة محمد سالم السديراوي ثم استدعى إلى البحرين ليعمل بالإدارة الخيرية لمشروع التعليم الحديث من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٨ ثم حول إلى مدرسة الهداية مدرساً للغة العربية والنحو حتى أواخر الثلاثينيات القرن العشرين حيث شغل موقع معاون رئيس بلدية المحرق وفي أوائل الخمسينيات نقل مدرساً إلى الغربية الإبتدائية بالمنامة ومنها إلى ثانوية المنامة، ثم القى عصا التسيار الوظيفي أخيراً بالمكتبة العامة حتى وافته المنية.

والشيخ محد صالح أديب وشاعر ومتبحر في الفلسفة والمنطق، وله كتابات في جريدة البحرين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٤، وهو الذي ترجم رباعيات الخيام للأستاذ الشاعر عبدالرحمن المعاودة حيث صاغها الأخير شعراً، وللشيخ محمد صالح محاضرات في كل من نادي أقبال أوال، والنادي الأدبي، وهو عضو في خمس مؤسسات ثقافية بحرينية هي:

١ ـ النادي الإسلامي بالمنامة من ١٩١٠ إلى ١٩١٦.
٢ ـ نادي أقبال أوال بالمنامة ١٩١٢ ـ ١٩١٤.
٣ ـ النادي الأدبي بالمحرق من ١٩٢٠ ـ ١٩٣٦.
٤ ـ النادي العربي في بمبي بالهند المؤسس ١٩١٨ـ ١٩٣٠ .
٥ ـ المنتدى الإسلامي بالمنامة من ١٩٢٨ ـ ١٩٣٦.

(٨) أنظر/ الريحاني أمين/ الفقرة الأخيرة من ص ٢٨٢، والفقرة الأخيرة من ص ٢٨٣/ ملوك العرب ج٢ ـ مطبعة الريحاني/ بيروت ١٩٦٧.

(٩) نفس المصدر / الفقرة الأخيرة من ص ٢٨٥ ـ الفقرة الأولى والثانية من ص ٢٨٦.

(١٠) .. تحدث الشيخ محمد صالح يوسف في رسالته المؤرخة في ٣ ـ ذق ١٣٣٨هـ إلى الشيخ ابراهيم محمد بن الخليفة مقارناً بين إيجابية الحاج محمد شريف العوضي، وسلبية الحاج عبدالعزيز العوضي في السخاء ومناصرة العلم. مع أنه كان على رأس تجار البحرين الذين قدموا إعانة البحرين المادية إلى ليبيا أثناء غزو ايطاليا لها عام ١٩١١م.

(١١) أنظر نص رسالة الشيخ محمد صالح يوسف إلى الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة المثبتة في تحقيق الجلسة الخامسة.

(١٢) علاوة على ما أكده الشيخ محمد صالح في رسالته إلى الشيخ ابراهيم ـ أنظر هامش (١٥) عن تبرع الحاج محمد شريف للهداية نواة مشروع التعليم الحديث، فإنه من الممكن أن يكون قد حث أصحابه الأربعة الذين جاءوا متأخرين في موقع الجلسة الخامسة على التبرع للمشروع فجاءوا بـ ٦٥٠٠ روبية تبرعاً منهم.

(١٣) تقرير مستشار حكومة البحرين/ تشارلي بلكريف ص٢٥ عام ١٩٢٦.

(١٤) أبو ملحة/ ابراهيم محمد/ ص٢٤ ـ في كتابه (الشيخ محمد نور) دبي/ الامارات العربية المتحدة.

(١٥) نفس المصدر ص٣٤.

* دراسات خليجية - 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 - 1930
* الجزء التأسيسيّ

الجلسة - 6



محتوي الجلسة - 6

بسم الله الرحمن الرحيم

نص:

الجلسة السادسة لإعانة مدرسة الهداية الخليفية

١ ـ يوم الأحد الموافق ١٩ ربيع الثاني الساعة ٣ صباح [١] توافد الذوات في دار صاحب الفضل والسؤدد حضرة الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة، ولما تم عقد انتظامهم في المجلس الرحب شرف الجلسة بحضوره، ثم أديرت [٢] القهوة على الحاضرين بصوره منتظمة.

٢ ـ أفتتح الرئيس الجلسة بقوله: نحمد الله الذي وفقنا للإجتماع في هذه الساعة المباركة ونشكركم على حضوركم في هذا اليوم السعيد، ونرجو أن تعذرونا في تأخير دعوتكم عند الإجتماع الأول حيث أن مجلسنا لا يسع الجميع.

٣ ـ ناول الرئيس خطابه لجناب الشيخ ابراهيم بن محمد ليتلوه على الحاضرين، وهذه صورته:-

افتتح اجتماعنا هذا باسم الله العظيم الجواد الكريم وأحمده حمداً يليق بجلاله وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله

أخواني إن مما من الله علينا في هذه السنة المباركة توفيقنا للسعي في تأسيس مدرسة دينية تعلم أولاد المسلمين ما يلزمهم من أمور دينهم، وما يحتاجون إليه من أمور دنياهم فعزمنا على إنشائها مستمدين من الله الإعانة والتوفيق إلى أقوم الطريق.

تأسيس المدرسة في بلادنا يهمني كثيراً ويهم كل مسلم غيور لأن حالة البلاد من الجهل حالة لا يرضاها من له أدنى احساس وشعور. وقد شاورت في هذا

الأمر أعيان البحرين فعلمت أن كل واحد منهم يهمه ذلك لما يهمني، ويود المساعدة فيه فسررت بذلك غاية السرور وعزمت على تأسيس المدرسة، وبذل كل الجهد في حصول إيجادها بحول الله وامداده.

٦ ـ وجود المدرسة يتوقف على أمرين عظيمين لا يتم أمر المدرسة إلا بهما الأول الرجال الذين يتولون إدارة شئون المدرسة، والثاني المال الذي يصرف لإنشائها وبنائها وشراء معداتها، ولوازمها، ورواتب القائمين بالتعلم فيها. وقد حضر ببالي أن أدعو جميع أعيان البحرين للمشاورة في هذا الأمر العظيم، ولكن محلنا لا يسع جميع الأعيان اخترت بعد مشاورتي ذوي الفكر أن أجعل الاجتماعات متعددة وندعو في كل مرة من الأعيان القدر الذي يسعه المكان، فهذا عذري إليكم أرجو أن يكون مقبولاً لديكم.

٧ ـ الاجتماع الأول عقدناه في يوم الاثنين الموافق ١٣ ربيع الثاني، واجتمع فيه نحواً من خمسين شخصاً. ووفقنا الله فيه لانتخاب الرجال الذين يتولون إدارة المدرسة، وهم بلا ريب نخبة من رجال البحرين وستتلا عليكم أسمائهم [٣] في مجلسنا هذا، وأملي وطيد في أنهم سيقومون بإدارة شئون المدرسة أتم قيام، وقد أظهر المجتمعون من الغيرة الدينية والحمية الإسلامية في إعانة المدرسة ما يشكرون عليه فجزاهم الله عن دينهم ووطنهم خير الجزاء.

٨ ـ واني على يقين أنكم ما تقصرون عنهم في علو الهمة، وإنكم موافقون لنا في الرغبة لهذا الأمر، وتحبون المساعدة بقدر ما وسعكم، وسيوضح لكم حضرة العالم الفاضل الشيخ عبدالوهاب فضل الإنفاق وبذل المال في سبيل تأسيس المدارس وتعليم الدين.

٩ ـ بعد انتهاء حضرة الشيخ ابراهيم من خطابه ارتفعت الأصوات من الحاضرين بشكر حضرة الملك المعظم، والثناء على نجله الشهم رئيس الجلسة والدعاء لهما وللمساعدين في هذا الأمر بدوام التوفيق، والسداد وبنجاحهم

في هذا المشروع الذي يهم كل وطني غيور ألقى الشيخ عبدالوهاب خطابه بصوت مرتفع، فكان له في القلوب أعظم وقع، وهذه صورته : -

بسم الله.. الحمد لله حق حمده، وأصلي على سيدنا محمد رسوله وعبده..

أما بعد فيا أيها الأخوان الكرام اننا جميعاً نعلم حالتنا في هذه البلاد من فشو الجهل الموجب لكل شر وفساد، وعنصرنا العربي القديم، وديننا السوي القويم لا يسمحان لنا بهذا الحال الذميم. فهذا كتابنا الكريم يأمرنا بالعلم ويحثنا وينهانا عن الجهل، ويحذرنا، فكم من اية في القرآن تدعونا إلى تعلم العلم والعرفان وكم من حديث صحيح عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) يوجب تعلم العلم على صغيرنا وكبيرنا. والعلم لا ينال إلا بالتعلم، والتعليم يتوقف على وسائل هي إنشاء المدارس العمومية بمعداتها الخيرية بتعليم أولاد المسلمين وتهذيبهم على أخلاق الدين. وتلك الوسائل لا تقوم إلا بالمال، ومباشرة ذوي الهمم للأعمال. جاءتكم من الله العناية وانفتح لكم طريق النجاة والهداية بهمة الشهم النجيب الهمام نجل ملكنا المبجل الإمام من نوَّر هذا المقام بطلعته وشرف جمعنا بحضوره وهمته، فأجيبوا داعي الله ورسوله إلى ما دعاكم، ولبوا دعوة والي أمركم إذ دعاكم إلى هداكم. واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وأنفقوا من أموالكم في سبيل تحصيل الحياة وتسابقوا إليه وتعاونوا على البر والتقوى مخلصين لله في السر والنجوى واعلنوا بالارتياح والسرور لهذا المشروع المبرور. (ها أنتم تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل، ومن يبخل فإنما يبخل على نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم).

١١ - وفي الختام نضرع إلى جل شأنه أن ينجح مساعينا ويجعلها خالصة إليه، ويمدنا بالعون ويرحم ذلنا بين يديه، ونبتهل إليه أن يمتعنا بدوام أيام

السعادة وإلى أميرنا وملكنا المحبوب المعظم وبقاء أنجاله النجباء، وذويه الكرام والفضلاء أنه سميع مجيب لمن دعاه.

١٢ ـ لما تم الخطاب تحركت أريحية القوم للإكتتاب وطلب بعض من حضر التعجيل بفتح الدفتر.. في تلك اللحظة دخل ملا عبدالله بن علي واستأذن من رئيس بأن يلقي كلمات على مسامع الحاضرين فأذن له وهذه صورة خطبته.

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليس على الضعفاء حرج ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون من حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل، والله غفور رحيم، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولو وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون).

١٤ ـ إخواني أنا لست مدعواً لكن لما علمت اجتماعكم في الصالح العظيم لإعانة مدرسة الهداية، أحببت أن أشاركم في خيركم المرضي بحسب الإستطاعة، وهو شيء حقير خمس روبيات، وأرجوا من الله أجرها ولا أملك غيرها وألتمس من فضلكم أن لا تحقروا القليل، وأن تتفضلوا بقبولها وقد قال المولى العظيم لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٥ ـ لما أتم الملا خطابه أخذت الأريحية القوم والتمسوا من حضرة الرئيس احضار دفتر الإكتتاب، فأمر الرئيس به وأن يتوج بما تبرع به الملا صدر تلك الصفحة فامتثل أمره، وشرع الحاضرون في الاكتتاب واحداً بعد واحد على مثل ما جرى في الجلسة الأولى.

١٦ ـ عند الفراغ من الاكتتاب شنف الأسماع الملا محمد بن الشيخ

عبدالله ملا محمد بقصيدة تحتوي على اثنى عشر بيتاً نظم عين من أعيان البحرين [٤] للشاعر الشهير حافظ ابراهيم استنهاضاً للهمم وتحريضاً على الخير في العمل وهذا نصها :-

حياكمو الله أحيوا العلم والأدبا
إن تنشروا العلم يُنشر فيكمو العربا

ولا حيـــاة لكم إلا بمـــدرســة
تكـــون أماً لطـــلاب العـــلا وأبـا
تبني الرجال وتبني كل شاهقة
من المعـالي وتبني العـزم والطلبـا
ضعوا القلوب أساساً لا أقول لكم
ضعوا النضار فـإني أحقر الــذهبا
وابنوا بأكبادكم سوراً لها ودعـوا
قيل العـــدو فإني أعـــرف السببـا
لا تحجموا إن سمعتم ما يزوقــه
بعض الطغـــام ويرميكم بـــه غضبـا
وراقبـــوا لم لا تُغني حصائــدُه
فكـل حـي رهين بالـــذي اكتسبـا
بنى على الإفك أبراجاً مشيـــدة
فأبنوا على الحق برجاً ينطح السحبا
وجـــابهوه بفعــــل لا يقوضــه
قــول السفيه إذا مـا قـــال أو خطبـا
هذا هو الأثر الباقي فـــلا تقفـوا
عنـــد الكـلام إذا حـــاولتمـوا إربـا
إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم

أجر المجاهد طوبى للذين اكتتبا

١٧ - لما أتم المنشد إنشاده ختمت الجلسة بالدعاء لحضرة الملك المعظم الهمام وأنجاله الكرام وشكر الساعين لهذا الأمر العظيم، وأدير الطيب وانصرفوا وجوارحهم ألسنة شكر وثنا لنجل الملك الهمام.

النتيجة

بلغ مجموع ما تُبرع به في هذه الجلسة عدد ١٧٥٥٥ روبية من أهالي البلاد وعددهم - ٦٧ - شخصاً. ثم في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٣٨ حضر أربعة من العوضية تخلفوا عن حضور الاجتماع لأعذار واكتتبوا فبلغ مجموع ما تبرعوا ٦٥٠٠٠ روبية.

الجلسة السادسة

لإعانة المشروع

تحقيق.. واستقراء

تقدمة

صباح الأحد العاشر من يناير ١٩٢٠. كان صباح مُلتاصة سماؤه بالغيوم الناطفة برذاذ مطر خفيف.. كان يوماً بارداً.. وقد بدت مدينة المحرق تعج كعاصمة بحركة القادمين والرائحين بين طرقها الضيقة. فكمدينة رئيسية من مدن الخليج العربي عادة ما تبدأ فيها حركة أهلها بعد صلاة الفجر مباشرة..

فتنساب طرقها بدئاً بالحرفيين (٥).. ثم يعقبهم التجار- مع انبلاج شروق الشمس بالخروج إلى السوق لفتح عماراتهم (٦) ومتاجرهم.

غير أن صباح ذاك اليوم لا كصباحات الأيام الماضية لؤلئك التجار وممولي تجارة اللؤلؤ من نواخذة الغوص الكبار وطواويشه (❖) فقد وصل إلى المحرق بعيد شروق الشمس نخبة من إخوانهم تجار المنامة وبعض مناطق البحرين. وهم منذ نزلوا من سفنهم الصغيرة هم واتنهم ووطئوا سيف المحرق الغربي الأوسط.. امتطوا تلك الإتن وتخللوا بها سوق المدينة في طريقهم إلى مقهى ابن حمدان (٧) حيث تحولوا من ظهور الأتن وتركوها تحت رعاية أتباعهم، ثم دخلوا المقهى ليستريحوا من وعثاء عبورهم المضيق البحري الواقع بين جزيرتي المحرق وأوال.. في المقهى قام ابن حمدان بتمرير فناجين قهوته الخفيفة عليهم واحداً واحداً.. وهو لا يقوم بذلك شخصياً إلا لزوار مقهاه من علية القوم.. وإلا فإنه كثيراً ما يترك هذه العملية لصبيه يقوم بها لبعض زبائنه العاديين.. لم يكتف بعض زواره من علية القوم هؤلا الآتين من المنامة بفناجين من قهوته.. بل رغبوا بأخذ بعض أنفاس من غلاينة ذات الأنابيب القصبية.. فتم لهم ذلك بسرعة.

وحين أخذ التجار المناميون استراحتهم.. بدأ بعضهم يُخرج بين الفينة والفينة ساعات جيوبهم. (الراس كوب) لينظروا فيها الوقت من أجل مغادرة المقهى إلى وسط المحرق حيث دارة رئيس مشروع التعليم الحديث في البحرين، ولما بلغت الساعة الثانية صباحاً غادروا المقهي ممتطين أتنهم إلى مقصدهم.. مقر الاجتماع بدارة رئيس المشروع، فقد جاؤا من المنامة وما حولها بدعوة من صاحبها الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة.. ومن ثم لحق بهم إخوانهم من علية القوم المحرقيين إلى موقع الإجتماع.. بعضهم جاء راجلاً والبعض ممتطياً أتانة. هناك التقى الجميع بالبراحة الجنوبية المواجهة لدارة الرئيس فتسالموا وتحابو.. وحين هم الجميع بالدخول إلى فناء الدارة أوقفهم بعض الحجاب (الفداوية) (٨) قائلين برفع أصواتهم: - (.. أعضاء المجلس أولاً) فامتثل البعض ولم يمتثل الآخر.. كانوا في حدود ثمانين رجلاً بما فيهم أعضاء مجلس المشروع، وحين تمكنوا جميعاً من التجمع داخل الفناء الداخلي للدارة وبدأوا في

الدخول إلى قاعة الاجتماع(٩) كان أعضاء المجلس قد أخذوا أماكنهم في صدر القاعة يتوسطهم رئيس المشروع. وبهذا فقد تمت أولى مراحل الإجتماع بوجود جميع المدعوين في القاعة.

أما خارج تلك القاعة والبراحة الخارجية للدارة فقد تشكل مشهد بنوراميا فريداً تتألف عناصره من وجود (أتن) المجتمعين وبعض كلابهم المرافقة لهم. وأتباعهم من خدم أو بحارة وقد تطاغت أصوات بعضهم البعض في تطاول على تُباع الحمر المارة بالبراحة وقد تعالى نهيقها عند مشاهدتها للأتن. بينما تظل كلاب بعض المجتمعين في تناوشها مع كلاب الصيد السلوقية المحرقية التي أتخذت من أديم البراحة - وهي صاحبة الدار- مباءة وحمى خاصاً بها.. مما يثيرها وجود كلاب غريبة حيث يتطاغى النباح بينهما.. بحيث تصل ذبذباته موهنة.. إلى آذان المجتمعين داخل القاعة مختلطة بأصوات الحُمر والأتن وتُباعها والمارين الذين يستوقف بعضهم هذا الحشد من الإنسان والدواب.. فيشاركون في حركته.

وماذا عن دارة الرئيس التي دائماً ما يجيء ذكرها مفتتح كل جلسة من جلسات مجلس المشروع؟.. دارة الرئيس هذه تقتضي حديثاً موسعاً عنها خلاصته. أنها كانت بمثابة الديوان الأميري لحاكم البلاد آنذاك الشيخ الجليل عيسى بن علي الخليفة وأن صاحبها كان بمثابة رئيس ذلك الديوان فمثالاً على ما كانت تختص به من مهام هو استقبال زوار البحرين الكبار من رسميين وغيرهم، فأول ما تطأ أقدامهم أرض البلاد.. يقصدونها رأساً فيستضيفهم صاحبها ولو لدقائق ثم يرافقهم إلى والده الحاكم، إن كان ذلك ضرورياً وإلا بت هو فيما جاءوا من أجله الذي يقتضي مشاورة أبيه أو اخوته الشيخين حمد ومحمد أو ذويه.. غير أن صاحب الدار- رئيس المشروع كانت له اليد الطولى آنذاك في إدارة الحكم في البلاد إذ إنه كان يتمتع بذكاء ووعي اجتماعي وسياسي مما جعله موضع ثقة والده.

شيء عن المحرق.

ـ إبان الجلسة السادسة

حين نأتي إلى تقييم ذاك التجمع الخاص بالجلسة السادسة التي تميزت بكونها جلسة اكتتابية ثانية للتبرع لذلك المشروع التعليمي الجليل الذي نحن بصدد الحديث عنه من خلال محاضر جلساته.. نجد أن الجلسة السادسة تميزت كماً وكيفاً عن تلك الجلسات.. فليس هناك ما يماثلها سوى الجلسة الأولى.. وقد تحدثنا عنها في مفتتح كتابتنا عن مضبطة محاضر المشروع. كان من الممكن مقارنة الرقم العددي لأفراد الجلسة السادسة بالأعداد الكبيرة التي تأتي إلي دارة الرئيس كضيوف من خارج البلاد سواء كانوا رسميين أو عاديين إلا أن الهدف الذي تجمع من أجله عشرات من أعيان البلاد وتجارها في قاعة واحدة من دارة رئيس المشروع كان أجل وأسمى. أما الدارة نفسها فهي آنذاك موقع حكومي يستقبل فيه صاحبها ضيوف حكومة البحرين.. وضيوفه هو.. أضف إلى ذلك فإن موقع هذه الدارة وما حولها هو من المواقع الرسمية المهمة التي تجري فيها احتفالات الشيوخ بالعيدين وبالأفراح والأعراس.

أما مشروع التعليم الحديث التي عقدت الجلسة السادسة من أجل إعانته مادياً فحديث الناس عنه في البحرين ـ آنذاك ـ كان لا ينتهي إذ أنه يمثل الحدث الجديد في البلاد.. وربما الغريب.. فلم تشهد البحرين قبله حركة مشروع له اجتماعات، وخطباء مؤيدين ومعارضين في المجالس الأهلية، والمقاهي.. وفي البرائح ومن فوق منابر الجوامع (١٠) وكانت اجتماعاته سواء لجلسات أعضاء مجلسه، أو لجلساته العامة كجلسات التبرعات الخاصة بإعانته التي تبدأ صباحاً في الساعة الثامنة زوالياً وتنتهي ضحىً في الحادية عشر منه إذا لم تكن قبلاً حيث كانت من عادات أفراد المجتمع في البحرين ـ آنذاك ـ وربما في الخليج العربي ـ أن يفرغوا من أعمالهم وتجاراتهم في تلك الآونة من النهار ليعودوا إلى بيوتهم من أجل تناول الغداء وليقيموا بعده صلاة الظهر..

ومن ثم تبدأ قيلولتهم حتى الثالثة ظهراً ليتمكنوا من أداء صلاة العصر، ولينتشروا بعدها في الأسواق أو في مجالس كبرائهم.. وعليهم بعد ذلك أن يهجروا هذه الأماكن قبيل الغروب بنصف ساعة على أقل تقدير بسبب إغلاق الأسواق كاملة بعماراتها، وحوانيتها وغير ذلك من وسائط البيع والشراء، حيث ينزل إليها حراس الليل فيتخللونها تخللاً دقيقاً مدققين في إحكام إغلاقها.. آمرين من لم يغلق محل عمله بإغلاقه سريعاً.. ولا يكتفون بذلك بل يمرون باكفهم على اقفالها أو مزاليجها ليتحسسوها هل هي محكمة الإغلاق أم لا.. وويل لمن يشذ عن هذه القاعدة الأمنية.

ولا تنتهي مهمة حُراس ليل البحرين ونواطيرها ـ آنذاك ـ عند هذه الجزئية الأمنية فهماتها كانت متشعبة الأعمال فهي مسؤلة عن الأمن ليل نهار في كل إمارة البحرين داخل الأحياء في المدن والقرى.. بما فيها الأزقة الضيقة. كانت لهم مواقع صغيرة ثابتة مبثوثة في أهم أركان تلك الأحياء وساحاتها. هذه المواقع يشغل كل واحد منها اثنان من الحرس المسلح يجلسان على كرسي طويل أثناء أخذ استراحتهما بعد مناوبتهما في الطواف بشوارع وأزقة المدينة. لقد أبصرت وأنا صبي شيئاً من هذا النظام الأمني ورأيت أفراد الحرس فيه وهم مدججون ببنادق، ويحتذون أحذية ثقيلة يضربون بها الأرض لإثبات وجودهم.

كان من المهمات المنوطة بحراس ليل البحرين أيضاً إشاعة الإضاءة في الأسواق والمدن وأحيائها فقد كانوا يُكلفون قبل إضاءتها كهربائياً في حدود عام ١٩٣٠ أن يجهزوا أعداداً كبيرة من المصابيح الزيتية ويعلقونها في أماكن تسمح لضوئها أن يعم ما حولها.. لقد أبصرت شيئاً من بقايا نظام الإنارة هذه وهو يبعث من جديد خلال الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد الغارتين الإطاليتين الليليتين على البحرين والظهران حيث اضطرت حكومة البحرين إلى إطفاء الإنارة ليلاً مستعيضة بمصابيح (الكروسين) لإنارة بعض الشوارع في المنامة والمحرق.

ولا يكتمل الحديث هنا عن المحرق خلال النصف الأول من القرن العشرين فالمدينة كغيرها من مدن الخليج العربي تبدأ في الاستيقاظ مع أذان الفجر ثم تستكمل إيقاظها بعد صلاته.. لا رجل.. ولا امرأة.. ولا طفل تراه نائماً وقتها.. لذلك ففي صباحها الباكر كل يذهب إلى شغله.. إن كان له شغل.. وشغل آنذاك ما هو.. ذاك الذي يأتي هكذا:- الحرفيون:- ، بناءون، فلاحون، قلافون، حدادون، صاغة، جزارون، جزافون.. طلاب الكتاتيب، والمدارس الدينية هم أول من يفضون بكارة أزقة المحرق.. يأتي بعدهم أصحاب العمارات والحوانيت.. إن ما قبسه ذهني من تلك الصور البونورامية الحية.. ما يفوق ما أبصرته مجسماً منها وبالتالي ما يعجز قلمي الآن عن تسجيل ذلك. كاملاً. فما هي إلا قلة من تلك الصور. وإلى فرصة أخرى أعرض فيها البقية الكبيرة منها. تلك الصور البونورامية الخاصة بحركة مدرسة الهداية وطلابها آنذاك.

حول جلسة

الإعانة الثانية

ذلك تقديم لا بد منه فصباح يوم الأحد العاشر من يناير ١٩٢٠ كان صباحاً مشهوداً كما قدمناه في مقدمتنا تلك وما سنقدمه موسعاً عنه من خلال الجلسة السادسة ومحضرها الخاص بجلسة الإعانة المالية الثانية. ففي الساعة الثالثة غروبية من صباح ذلك اليوم التقى قرابة ـ٦٧ ـ رجلاً من أعيان البحرين وتجارها في قاعة المجلس الغربي لدارة مجلس رئيس مشروع التعليم الحديث في البحرين بما فيه أعضاء مجلس المشروع.. لقد اكتظت بهم القاعة اكتظاظاً كبيراً لدرجة حدت بالرئيس أن يعتذر لهم عن ضيقها فعبر عن ذلك قائلاً بعد افتتاح الجلسة: -

(.. فنرجو أن تعذرونا في تأخر دعوتكم عن الاجتماع الأول.. حيث

أن مجلسنا لا يسع الجميع..).

وما أظن أحداً رأي قاعة المجلس الغربي من دارة الشيخ عبدالله ذات السعة المتوسطة كما أبصرتها شخصياً . إلا ويبرر ذلك الإعتذار من الشيخ الرئيس لكل المجتمعين ما عدا أعضاء مجلس المشروع.. وهو ما أراد الرئيس به أن يطمئن نفوس المجتمعين، ومن سيدعون بعدهم لاجتماعات الرعاية المادية للمشروع.

إن كل الذين التقوا بدارة الرئيس للجلسة السادسة مفتتح يناير ١٩٢٠ . كانوا تجاراً على مختلف القطاعات التجارية وخاصة تجارة اللؤلؤ وممولي عمليات الغوص بها.. كان منهم من يضيف إلى هذه الميزة ميزة أخرى كونه رئيس جماعة محترمين أو فخذٍ من قبيلة. وسنحاول هنا رسم صورة عامة عما جرى حول وفي هذه الجلسة.. من تهيئة فانعقاد فافتتاح مستعينين بما رواه لنا رجال محرقيين ثقاة من رجال رئيس المشروع الخاصين مثل المرحومين أحمد بن شريدة، وصالح بن حسن الرويعي.. وما أسعفنا به من مجريات أمور المشروع كل من الأستاذ المحامي أحمد يوسف الشيراوي، وسمو الشيخ الشاعر محمد بن عيسى الخليفة، وكل من رجال أجلاء كانوا قريباً من أحداث هذا المشروع مثل منصور بن أحمد بن نايم، والشيخ جاسم بن محمد الدغاث الخليفة، ومن في مرتبتهم من شخصيات محرقية معروفة . وكذلك ما كنا قرأناه واستوعبناه من انطباعات عن مناخ الحياة الإجتماعية في البحرين وأحداثها منذ مفتتح القرن العشرين حيث سجلنا بعض ذلك فيما أصدرنا من اصدارات وبحوث منذ ثلث قرن حتى الآن.

على ضوء ذلك فإن اجتماعات مجلس المشروع كانت منذ ٥ ديسمبر ـ ١٩١٩ ـ تجرى حيثية متتالية.. كان أصحاب هذه الاجتماعات يسابقون الزمن في محاولة تنفيذ ذلك المشروع.. وقد ألمح بعضهم إلى مثل ذلك في خطبهم وأعمالهم التنفيذية لصالحه.. ولقد كانت المحرق تحظى بنصيب الأسد بالنسبة لأفراد مجلس المشروع فشيوخها

وتجارها وعلماءها هم الذين فكروا في مشروع التعليم الحديث وهم الذين اختطوه.. ثم شاركوا بعض من في مستواهم من أعيان المنامة وتجارها وعلمائها وعلى رأسهم القاضي الرئيس قاسم بن مهزع (١١) والحاج يوسف أحمد كانو، وعبدالعزيز، وعبدالرحمن القصيبي، وأحمد الوزان، وعبدالله بن حسن الدوسري من البديع..

لقد لاحق المحرقيين من أصحاب المشروع ومن أصحابهم هاجس تفشيل مشروعهم الديمقراطي الأول الذي جاء عام ١٩١١ تحت لافتة المجلس الاستشاري (١٢) ثم ما كان من مجيء رئيسهم على رأس من استحدثوا نظام البلديات في البحرين بدئاً من تأسيس بلدية المنامة أواخر عام ١٩١٨ كباكورة لذلك النظام، مما حفزهم إلى السير حثيثاً في مشروعهم التعليمي هذا الذي نحن بصدد الحديث عن جلسة مجلسه السادسة.

وحين التقى أل ـ ٦٧ فرداً ـ في مجلس رئيس المشروع كما ذكرته النتيجة بالفقرة ـ ١٧ من هذه الجلسة لم يكونوا كلهم من ممتهني تجارة اللؤلؤ.. بل كان من بينهم أعداد لا بأس بها من تجار الأطعمة والألبسة والأخشاب.. وأصحاب العقارات وبساتين النخل.. ومع ذلك فإن بعض هؤلاء أيضاً لحقتهم مهنة تعاطي تجارة الجوهر النفيس المدعو لؤلؤاً.

خطاب الرئيس

أفتتح رئيس مجلس المشروع الجلسة السادسة من اجتماعات المجلس التي تعتبر الجلسة الثانية لإعانة المشروع.. فقال: (***أفتتح اجتماعنا هذا بإسم الله العظيم الجواد الكريم، وأحمده حمداً يليق بجلاله، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وآله***) بعدها ناول الرئيس ورقة خطابه إلى الرئيس الثاني للمشروع الشيخ ابراهيم فتلاه على المجتمعين.. كان خطاباً قصيراً تألف من خمس فقرات. كانت

الفقرة الأولى منه شبيهة تماماً بمطلع كلمة الافتتاح في الجلسة التمهيدية للمشروع.. كانت روح الإيمان الإسلامي تنبعث منها مشيرة ان من ركائز الإسلام التعلم والتعليم.. ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق.. إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم.. علم الإنسان ما لم يعلم**﴾؟! أما أصحاب المشروع فلم يك بعضهم يطمع بغير تأسيس مدرسة دينية حديثة فقط تنشأ لتعليم أبنائهم.. كان طموحاً متواضعاً. لقد شعر الرئيس بهذا الطموح المتواضع عندما دعاهم لأول مرة في الجلسة التمهيدية، وشعر به أيضاً في هذه الجلسة التبرعية فأشار إليه في حركة تطمينية لبعض المجتمعين الذين يرون في مشروع التعليم الحديث في البحرين أنه جاء لتأسيس مدرسة دينية فقط فقال:-

(أخواني إن مما من الله الله علينا في هذه السنة المباركة توفيقنا للسعي في تأسيس مدرسة دينية تعلم أولاد المسلمين ما يلزمهم أمور دينهم.. وما يحتاجون إليه من أمور دنياهم).

ومثله قال من قبل في الجلسة الأولى لمجلس المشروع: -

(.. أخواني حيث وفق الله للاجتماع بقصد التعاون، والتعاضد في أمر المدرسة الدينية التي عزمنا على إنشائها في بلدنا البحرين..) [١٣].

لقد كان خطاب الرئيس جاهزاً من قبل جلسة التبرع هذه.. وفي الحقيقة أنه كان من إعداد الرئيس الثاني للمشروع.. مثل غالب خطب الرئيس الأول في جلسات المجلس.. وإلا فإن أمين سر المجلس الأستاذ قاسم محمد الشيراوي الذي هو نفس الوقت أمين سر شخصي للرئيس.. هو الذي يقوم بإعداد بعض تلك الخطب. وفي حين تكرر تناوب خطباء كثيرون على منصة مجلس المشروع فإن للرئيس الثاني الشيخ ابراهيم الخليفة ، والشيخ عبدالوهاب الزياني السهم الأوفر.

وبتحليل موجز خطاب الرئيس في جلسة الإعانة هذه نجد أنه أشار إلى نوعية الرجال الذين يقوم المشروع ويتطور على أيديهم. ويُثنى أيضاً بالمال كعامل رئيسي في التنمية المادية والبشرية. وبهذين العنصرين وتوفرهما يتوقف إنجاز أي مشروع.. وفي حالة مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين وكونه قد نجح على كل المستويات من حيث ظروف أوائل عشرينيات القرن العشرين فأصبح ذلك المشروع التنموي هو الذي دخلت به البحرين القرن العشرين. فقد كان عظيماً بالمقاييس الحضارية في وقته. قال رئيسه في خطابه الذي نحن بصدد الحديث عنه: -

(.. وقد حضر ببالي أن أدعو جميع أعيان البحرين للمشاورة في هذا الأمر العظيم..).

قبل كل هذا كشف الرئيس في خطابه هذا ولأول مرة.. أنه قبل أن يدعو إلى المشروع كان قد تحسس خلال غالب تجار البحرين وأعيانها موقعه في أنفسهم من حيث السلب والإيجاب فاستشف من أفكارهم أنهم يحبذون تنفيذه في بلادهم، وعلى ضوء ذلك التحسس والاستمزاج قرر أن يدعوهم للتعاون معه في ذلك.. وقال أنه اختار الشريحة الواعية منهم لقيادة المشروع وتنفيذه وهي التي أصبحت هيئة أعضاء مجلسه وعن طريقها تمت لقاءات الجلسات الخمس الماضية بإيجابية كاملة.. وجاءت بعدها هذه الجلسة السادسة التي نحن بصدد الحديث عنها.. قال رئيس المشروع في خطابه هذا: بالفقرة السادسة من محضر هذه الجلسة ما يلي:-

(.. وقد شاورت في هذا الأمر أعيان البحرين فعلمت أن كل واحد منهم يهمه ذلك كما يهمني، ويود المساعدة فيه فسررت بذلك غاية السرور وعزمت على تأسيس المدرسة). كذلك فإن مما أشار إليه الرئيس في خطابه أنه كانت هناك عملية انتقاء للذين سيتبرعون للمشروع وهو ما يُعد ضمان عملية إعانة المشروع. لقد أعلن الرئيس من قبل أن يجرى الاكتتاب للتبرع أن المدرسة التي ينوي تأسيسها كنواة للمشروع تحتاج إلى المال.

وفي الفقرة السابعة من محضر الجلسة السادسة هذه تحدث الرئيس عن الجلسة الأولى للمشروع فذكر أنه استطاع فيها مع نحو من خمسين من أعيان ووجهاء أن ينتخبوا - كهيئة تأسيسية للمشروع - من يتولون أمر المدرسة.. أي أنهم انتخبوا ما سمي بعد ذلك مجلس مشروع التعليم الحديث، أو كما سمي بعد ذلك أيضاً بالإدارة الخيرية لمدارس الهداية في البحرين.

ثم ضرب الرئيس مثلاً للمجتمعين بالجلسة السادسة هذه بأن اخواناً لهم كانوا قد اجتمعوا في الجلسة الأولى قد قدموا تبرعاتهم للمشروع قبلهم فقال:-

(.. واني على يقين أنكم ما تقصرون عنهم في علو الهمة وأنكم موافقون لنا في الرغبة لهذا الأمر، وتحبون المساعدة بقدر ما وسعتم..) ثم زكى أولئك فقال: -

(.. وقد أظهر المجتمعون من الغيرة الدينية والإسلامية في إعانة المدرسة ما يشكرون عليه، فجزاهم الله عن دينهم ووطنهم خير جزاء..) .. وكان الرئيس قبل تفوهه بهذه الجملة التزكوية قد قال في الفقرة الخامسة من خطابه هذا مكلفاً الشيخ عبدالوهاب الزياني بشرح وتوضيح ما يتعلق بإعانة المشروع من ملابسات: -

... وسيوضح لكم حضرة العالم الفاضل الشيخ عبدالوهاب الزياني فضل الإنفاق وبذل المال في سبيل تأسيس المدارس، وتعليم الدين).

خطاب الزياني

ذلك ما أفاء الله به علينا من إيجاز في تحقيق واستقراء خطاب رئيس المشروع الذي أناب عنه في إلقائه الشيخ ابراهيم الرئيس الثاني له حيث جاء في الفقرة السادسة من محضر الجلسة السادسة هذه ما يلي: -

(.. بعد انتهاء حضرة الشيخ ابراهيم من خطابه ارتفعت الأصوات من الحاضرين بشكر حضرة الملك المعظم، والثناء على نجله الشهم رئيس الجلسة والدعاء لهما وللمساعدين في هذا الأمر بدوام التوفيق والسداد بنجاحهم في هذا المشروع.. الذي يهم كل وطني غيور. ألقى الشيخ عبدالوهاب خطابه بصوت مرتفع فكان له في القلوب أعظم وقع..).

غير أنه قبل الإشارة من الرئيس إلى الزياني بأن يُعطي مجتمعي الإعانة الثانية للمشروع جرعة إيمانية ربانية تحثهم على الإكتتاب له أومأ الرئيس إلى الأستاذ قاسم الشيراوي أن يتلو على المجتمعين قائمة بأسماء أعضاء مجلس المشروع تماماً كما حدث في الجلسة التمهيدية من قبل وقد تم ذلك.. كان الرئيس يخشى أن يكون من بين الحاضرين من يجهل تلك الأسماء بسبب أن الذين حضروا الجلسة السادسة من أجل الإعانة الثانية للمشروع غيرهم أولئك الذين حضروا جلسة الإعانة الأولى.

نأتي الآن إلى خطاب عبدالوهاب الزياني الذي جاء بإشارة تزكوية من الرئيس كما أسلفنا.. وهو خطاب ليس شيخي منبري ولا حلقوي وعظي.. ولم يأت مُلحناً كأناشيد أدب المديح.. مثلما كنا نسمعه ونحن صغار - على بعض منابر الجمعة وغيرها.. وكنا إذا استمعنا إلى خطيب جمعة، وقد تلى خطبة سردية غير ملحنة قلنا لماذا لم يتل خطبته ملحنة كما يتلوها شيخنا الشيخ محمد بن عيسى بن راشد بجامع الشيخ حمد بهضبة المحرق؟!.. أجابونا بأن هذا التلحين في خطب بعض المشايخ من بقايا ألحان منابر الجمعة في العهد العثماني..

أما الشيخ الزياني.. العالم الفاضل كما وصفه رئيس المشروع فهو غير ذلك في خطبه.. فإنه نتاج فكر إصلاحي اسلامي متأثراً بفكر الأفغاني، ومحمد عبده، وعبدالرحمن الكواكبي ولسنا في هذا المجال الحديث عن فكره وآرائه إلا فيما يتعلق

بخطابه هذا وبخطبته المتعلقة بمشروع التعليم الحديث في البحرين وإلا فعبدالوهاب بن حجي بن أحمد الزياني ابن البحرين البار وزعيم حركتها الوطنية ضد الإنجليز ١٩٢٠ - ١٩٢٣ الذي مات منفياً عن بلاده عام ١٩٢٥ لا تزيده كتاباتنا عنه وعن خطبه إلا تعريفاً - ربما مكرراً - فقد كتبنا عنه في ثنايا بعض كتبنا منذ عام ١٩٧٢. وكتب عنه آخرون ورثوه بشعر ونثر لامس شغاف قلوب من أطلع عليه فأشعلها حزناً وأسفاً (١٥).

هذا جُزيء من تعريف قصير بالشيخ الزياني.. أما خطابه بالجلسة السادسة المعنية بالإعانة الثانية للمشروع فهو كما يُرى ذو توجه إسلامي ديني خالص استشهد صاحبه فيه - على عادة الخطاب الديني - بما تعنيه الآيات الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة الحاضة على التعلم والتعليم، وقد افتتح الشيخ الزياني خطابه بالكشف عما تعانيه البلاد آنذاك من فشوا الجهل وآثاره، وأن الدين الإسلامي بعنصره العربي يرفضان الجهل المفضي إلى كل شر وفساد ويركز الزياني على التعليم ووسائل نيله قبل إنشاء المدارس والمعاهد، وتجهيزها بالمعدات الضرورية لتأدية رسالتها. والخطاب متوسط الحجم لكن تأثيره في المجتمعين كان كبيراً لدرجة أن بعضهم - كما جاء في المحضر - طلب التعجيل باستجلاب دفتر التبرعات لاكتتاب الحاضرين بما وسعهم من تبرع.. وقد تم ذلك.. ولكن بموافقة حادثة تبرعية طريفة.

خطاب الملا - عبدالله

بعد انتهاء الشيخ الزياني من خطابه واحضار سجل اكتتاب التبرعات فاجأ الرجل الملا عبدالله بن علي المجتمعين بدخوله عليهم بقاعة مجلس الرئيس حيث استأذن منه أن يلقي كلمة في المجتمعين قال فيها: -

(أخواني لست مدعواً، ولكن لما علمت اجتماعكم في الصالح العظيم لإعانة مدرسة الهداية أحببت أن أشارككم في خيركم المرضي بحسب الاستطاعة.

وهو شيء حقير- خمس روبيات.. أرجو من الله أجرها ولا أملك غيرها..)
وبقية كلمة الملا عبداللّ مثبتة في الفقرة - ١٣ - من محضر الجلسة السادسة.

لقد أثارت كلمة الملا خواطر المجتمعين وجعلتهم يصرون على استعجال استقدام دفتر التبرعات مرة أخرى كما فعلوا بعد خطاب الشيخ الزياني من أجل الإكتتاب فيه بما وسعهم من مال. وهنا وقد أثار تصرف الملا الخيري في المجتمعين أريحياتهم باستعجال الإكتتاب أمر الرئيس بإحضار دفتر التبرعات وتسجيل تبرع الملا برأس أول صفحة فيه.. ثم تتالى بعد ذلك تسجيل أسماء المجتمعين وبما اكتتبوه من تبرع لإعانة المشروع.

شـيء مـن الترويـح

بعد الانتهاء من مفاجئة الملا عبداللّه التبرعية جاء دور الترويح عن المجتمعين.. وقد وصفه لي استاذي الشيخ محمد صالح يوسف كاتب أول الإدارة الخيرية للتعليم قال: (***.. أذكر أن كثيراً من مثل هـذه الجلسـات التبرعيـة ما يكون فيها شيء من الإنشـاد الشعـري للترويـح عـن المجتمعين..***).

غير أن مضبطة محاضر جلسات مجلس المشروع لم تسعفنا بشيء من ذلك سوى ما جاء في نهاية هذه الجلسة وهي ما أبانتة لنا هنا من قيام أحد حاضري الجلسة بإنشاد بعض الشعر المناسب لموضوع الإجتماع.. فكانت أبيات من قصيدة للشاعر حافظ ابراهيم عن العلم ووسائطه وأدواته.. تلك القصيدة قام الملا محمد بن الشيخ عبدالله ملا محمد بإنشاد اثني عشر بيتاً منها ترويحاً وابهاجاً للمجتمعين كما قلنا قبل قليل.. وبالمصادفة فإن بها بعض مناخ شعري كمناخ المجتمعين الذي يحظ على ذكر المدرسة البانية للرجال، المعلمين للأجيال، وبها ما يشير إلى الاكتتاب لإعانة مشروع التعليم الحديث في البحرين أما الأبيات موضوع الإنشاد فقد اختارها وليس مما نظمها ذلك العين من أعيان البحرين بسبب تجانسها مع ما يقوم به أعضاء مجلس التعليم من أعمال لصالح افتتاح نواته - مدرسة الهداية - لقد تطابق القول

والعمل التعليمان مع قول البيتين التاليين من القصيدة: -

حياكم الله.. أحيوا العلم والأدبا
إن تنشروا العلم.. يُنشر فيكمو العرباء
إن تقرضوا الله في أوطانكم فلكم
أجـر المجاهـد.. طـوبى للـذي اكتتبا

وبهذه المناسبة فإنه كان للمنشدين الدينيين في البحرين آنذاك وزن كبير.. كان الناس يتواصون بالتجمع للسماع في الأماكن التي يطرقها هؤلاء المنشدون وغالباً ما يكونون من المتأثرين بظاهرة التصوف غير الموغل في الافراط.. أضف إلى ذلك ما كان لؤلئك المنشدين من دور - كفرق مولدية - في حفلات الموالد التي كان لها في البحرين رواج كبير.. حيث تؤدي فعالياتها مقابل بعض الولائم.. أو بعض النقود.. فهنا حفل مولد لزفاف، وهناك آخر لختان، ومثلهما لقدوم مولود جديد، أو قادم من سفر، أو خارج من سجن..

لقد وصل الحال بمثل هذا العمل أن يحترف به من يجهلون القيام به أصولياً على مستوى الداخل وانحرافياً على مستوى محترفيه الغرباء من الأجانب من أجل التكسب. فلقد أبصرت بعضم في صفري وهم يطرقون الأبواب على الناس ليسمعوهم شيئاً من إنشادهم بما يسمونه «المدائح النبوية» وهم يجهلون أكثرها.. ربما لا يعرفون شيئاً منها فيأخذون في التمتمة والدندنة ببيت أو جزء منه من أي قصيدة في مدح الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك بغريب على هؤلاء الغرباء بسبب جهلهم باللغة العربية وإن بعضهم ولشدة فقرهم ليقنعون بلقمة تخرج إليهم مدحوة بكف أحد أفراد الأسرة التي يسمعونها المديح الزائف أكثره.. لم تكن هذه الظاهرة المدائحية الإنشادية الساذجة لتغض أو تغير من أصالة وسمو وأدب المديح في العالم وخاصة الإسلامي فيه، فإن لهذا الأدب الذي كان منتشراً في الهند وايران وتركيا وأواسط آسيا مقومات ثابتة وأصيلة وفيه من فن الإستفزاز والإثارة في جوانب متعددة منه كالحزن والفرح والاشتياق.

خاتمة

بنهاية الفقرة - ١٥ - من محضر الجلسة السادسة لمجلس مشروع التعليم الحديث والمخصصة للإعانة الثانية للمشروع ينتهي كامل محضر الفقرة.. ويمكن القول بأنه بانفضاض هذه الجلسة يكون قد أوصد الباب بعدها هي ورصيفتها الجلسة الاعانية الأولى المؤرخة في ١٣/ربيع ١٣٣٨/٢ والتي لم يعلن عن مجموع ما تحصل منها بينما أعلن في محضر الجلسة الإعانية الثانية هذه عن مجموع التبرعات فيها فكانت - ١٧٥٥٥ - روبية مع أنه لم يكن بين انعقاد الجلستين سوى ستة أيام.

ولقد استمرت التبرعات والهبات للمشروع بعفوية دون عقد اجتماعات تبرعية له حتى بلغت أصول ميزانيته عام ١٩٢٦ أربعمائة وستة آلاف وسبع وأربعين ٤٠٦٠٤٧ روبية وسبع أنات فقط بينما بلغت الحسوم ٤٠٢٣٠٤ روبية فقط فكان الفائض هو ٣٦٩٣ روبية [١٦].

ومع ذلك.. وحتى نهاية عمر المجلس وإدارته الخيرية بعد أحد عشر عاماً من نشأتهما لم ينجح أصحابها في حبس أي عقار لصالح المشروع يكون وقفاً عليه لمعاونة ميزانيته، ولقد وصلت حالة العوز إلى أن يناقش مضطراً مطالبة الجهة الرسمية أن تضع رسماً قدره روبية واحدة على كل عامل من عمال الغوص (سيباً كان أم غيصاً) [١٧] يجبى منهم وتحول مجموعته إلى الإدارة الخيرية لصالح المشروع. ذلك ما سوف نتحدث عنه مفصلاً عند الكلام على الجلسة السادسة والخمسين - من المضبطة.

وحين نصل إلى الفقرة - ١٦ - من هذه الجلسة يكون قد انتهى كامل محضرها الذي يفوق في طوله كل محاضر جلسات المضبطة.. وهي فقرة أبرزت الروح العطائية الخيرة. كما أنها أفردت بين كل محاضر جلسات المجلس بعطاء أدبي سيندرج في مساحة أدبيات المشروع التي يمكن حصر فعالياتها مستقبلاً.

هوامش الجلسة السادسة

من المضبطة

(١) الساعة الثالثة صباحاً: تعني آنذاك التاسعة صباحاً بالتوقيت الزوالي الذي لم يكن ليستعمل توقيتاً آنذاك لا في الخليج العربي ولا الجزيرة العربية.. حتى جاءت شركات النفط أوائل القرن العشرين حيث وقتت أعمالها بالتوقيت الزوالي وبذلك انتشر بين الناس.

(٢) القهوة : هي القهوة العربية المعروفة ذات السائل الأصفر والداكن الشفاف المعطر بالهال أساساً.. وربما بالزعفران أو ماء الورد، وهي تقدم عادة بقرارة فناجين صغيرة يوزعها الساقي واقفاً على الحضور.. ثم يستلم كل فنجان منها خالياً.. والحديث عن نظام القهوة .. إعدادها وطريقة توزيع فناجينها ورد تلك الفناجين خالية إلى الساقي يطول.

(٣) كذا في النص/ والصواب: ستُتلى عليكم أسماؤهم.

(٤) (نظم عين من الأعيان).. تعني هنا اختياره لتلك الأبيات من الشعر.. ويظهر أن ذلك العين الذي أخفى محضر الجلسة شخصيته كان أديباً أو شاعراً حيث جاء انتقاؤه لأبيات من قصيدة للشاعر حافظ ابراهيم في العلم والتعليم انتقاء موفقاً أدى الغرض المقصود منه في ذلك الظرف.

(٥) حرفيو البحرين والخليج العربي آنذاك يتألفون من شرائح حرفية متعددة تتميز كل شريحة بحرفة معينة يلتحم بها أفرادها في تخصص مميز ذي فنون جميلة.. كان من نتائج هذا الإلتحام أنه بالإضافة إلى أنهم قد ورثوا حرفهم أباً عن جد فإنهم لقبوا بأسماء هذه الحرف.. ونسوا أو تناسوا أسماء سلالاتهم العربية.. حيث درج الناس بتسميتهم بها منذ الأزمنة القديمة..

أهم هذه الحرف هي: الحياكة، والحدادة، والصياغة، والصفارة (تلميع أواني النحاس، ومزاولة كل أشغال المستطرفات..) والخراقة (حرفة تخريق اللؤلؤ لجعله عقوداً..) والقلافة (نجارة السفن).. والجزافة (مهنة بيع السمك).. والبناءة والحلوجة، والصباغة أما حرفيوها فواحدهم: حايكي، وصفار، وصايغ، وجزار، ومخرق، وبناي، وقلاف، وصباغ، وحلواجي، وقس عليهم مثل: مقهوي أو قهوجي، وقطان، وبزاز، ولبان، وسماك، وحجام، وحلاق (مُحسن أو مزين)، وقصاب أما جمعهم فهو: حياك أو حيابيك، حدادة، صاغة، صفافير (تناكه) مخارقة، جزازيف، سماميك (صائدي سمك)، بنانيه، وقصاصيب (جزارون) قلالييف حلواجيه أو حلوجية.

ولا يفوتنا أن نذكر أنه كان لكثير من هذه الحرف أحياء خاصة، كحي البنانية، والصاغة، والحياك بمدينة المحرق، وكأحياء المخارقة والصفافير بالمنامة.

وكما كان لهذه الحرف من أحياء معينة فإن لها أيضاً أسواق بأسمائها كسوق الحدادة في كل من المنامة والمحرق، وسوق الصفافير والتناكة بالمنامة.

(٦) عماراتهم: – مقار تجاراتهم – واحدها عمارة: وهي مبنى ذو دكاكين تطل على الشارع ومن خلفها مساحة كبيرة من الأرض ملتصقة بها ومحاطة بجدران مكونة حوشاً كبيراً ببعضه مخازن واسعة سواء كانت للمواد الغذائية أو الأخشاب أو الأقمشة ومما يتجر بها آنذاك كأدوات العمل في البحار من حبال ومراسي وأشرعة ودهانات وتتميز هذه العمارات بتعدد أبوابها وبها مجلس يتكون من حجرة أو غرفة كبيرة بها حمام داخلي تكون كغرفة استقبال بها مكتب لإنجاز معاملات رب العمارة/ أنظر ملوك العرب للريحاني ص ٢٠٨ – ط٥ – ١٩٦٧ دار الريحاني بيروت.

(❖) طواويشه/ أي مشترو اللؤلؤ – واحده طواش وأهمهم مشتروه.. الذين

يذهبون بنفسهم إلى مواقع الغواويص في البحر.

(٧) قهوة بن حمدان أو قهوة عبداللطيف المقهوي أو قهوة الطواويش: مقهى قديم جداً يقع آنذاك بالساحل الغربي الأوسط لمدينة المحرق، مكون من غرفة واحدة كبيرة ملتصقة بظهر القيصرية الغربي وليس بها نوافذ البتة وقد استعيض عنها ببعض الفتحات العلوية التي تسمح بالقليل من النور والهواء أن يصلا إليها وإلا فإنها قاتمة الإضاءة على العموم ولم يكن بها غير باب واحد يطل على شارع الشيخ حمد هو نافذتها الوحيدة على المدينة. لم تكن بمقهى بن حمدان مقاعد من خشب أو خيزران أو جذوع النخل أو غيرها.. كل مقاعدها حجرية ملتصقة بجدرانها في شكل مصاطب أو دكك ترتفع عن الأرض زهاء متر وربع المتر مفروشة بحصير من نبات الأسل (مداد) كما يطلق عليها في الخليج العربي. وبوسط هذا المقهى مصطبة حجرية سعة ثلاثة أمتار طولاً في متر واحد عرضاً.. تجد عليها كل أدوات الشغل من دلال قهوة وأباريق شاي وفناجين وأكواب زجاجية صغيرة (استكانات). أما في كل تلك المصطبة فتقع غلايين التبغ (الكداوه) جاهزة لمن يدخنها. وتقع بخارج المقهى من الخارج الغربي مصطبة على شكل دكة مستطيلة تكون مجلساً لعلية القوم في فترتي الصباح والضحى.. كان من رواد هذه المصطبة حاكماً البحرين الشيخان الخليفيان عبدالله بن أحمد ومحمد بن خليفة فكان أن شهدت هذه المصطبة اعتقال أحدهما وهو محمد بن خليفة عام ١٨٦٩ وهو جالس عليها.. في عملية فجائية سيق بعدها إلى قلعة المحرق (خفر السواحل) الآن حيث اعتقل بها مدة ثلاثة أشهر نفاه الإنجليز بعدها من بلاده إلى الهند حيث توفى خارجها.. فكانت مكة المكرمة مثواه الأخير.

(٨) الفداوية: جمع فداوي/ أي فدائي والفداوية/ هم حرس حاكم البلاد - آنذاك - وهم غير النواطير والفئتان ترتديان زياً لا يختلف عن زي أهل البلاد

بسوى تمنطقه بحزام عسكري جلدي وبآخر مثله يكتتفان.. هذان الحزامان يحملان مئات من طلقات الرصاص البندقي وأن الفرد الواحد منهما ليتحزم أيضاً بخنجر وتبصره كأنه مغروساً في بطنه وأغلبهم إن لم يكونوا كلهم يحملون بأيديهم بنادق خفيفة.

(٩) كان بقاعة المجلس مكتب متوسط الحجم يتصدره رئيس المشروع وعن يمينه نائبه الأول وعن يساره نائبه الثاني. أما ضابط الجلسات فموقعه بالطرف الأيمن من طاولة المكتب هذا ما ذكره لي الأستاذ الشيخ محمد صالح يوسف كاتب أول الإدارة الخيرية للمشروع من وصف لهيئة جلساته التي أصبح هو ضابطها بعد قاسم الشيراوي.

(١٠) أنظر الفقرة - ٢ - من ص - ١٤٩ - والفقرة - ٤ - من ص - ١٥٠ - من كتاب القاضي الرئيس قاسم بن مهزع لمبارك الخاطر - مطبعة حكومة البحرين - ١٩٨٦.

(١١) أنظر نفس المصدر الفقرة - ٣ - من ص - ١٤٨ - والفقرة - ١ - من ص - ١٤٩.

(١٢) أنظر - النبهاني/ محمد بن خليفة بن حمد/ التحفة النبهانية ص ٢٣٧. وكذلك الخاطر - مبارك في الفقرتين ٥ و٦ من حاشية ص ١٥٠ إلى ١٥٥ - القاضي الرئيس قاسم بن مهزع ط٢ - مطبعة حكومة البحرين ١٩٧٦.

(١٣) انظر/ الخاطر/ مبارك من ص ١٥٠ إلى ١٥٥ من القاضي الرئيس قاسم بن مهزع ط٢ - مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٦.

(١٤) أنظر/ الخاطر/ مبارك/ الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين ص ٣٦ و٧٢ و٧٣ من مطبعة المختار الإسلامي القاهرة ـ ١٩٧٨ - كان من خطباء

مشروع التعليم النظامي الحديث في البحرين أيضاً كل من المستشار عبدالله صدقة دحلان وحافظ وهبه والشيخ محمد صالح يوسف

(١٥) أنظر/ ديوان خالد محمد الفرج/ج١/ في التاريخ والسياسة ص١١٥ و١١٦ - مطبعة الترقي بدمشق ١٩٥٤ - وكذلك ديوان عبدالله الزايد لمبارك الخاطر من ص٨٣ إلى ٨٨ - مطبعة حكومة البحرين ١٩٩٦.

(١٦) تقول الفقرة - ٣ - من محضر الجلسة الثانية لمجلس المشروع التعليم الحديث في البحرين: -

(ثم جرى الانتخاب لأمين الصندوق فتقرر بأكثرية الآراء أن يكون الحاج يوسف بن عبدالرحمن فخروه أميناً للصندوق).. ولقد أدار الحاج يوسف كل العمليات المالية للمشروع بكل كفاءة وإخلاص طيلة بقائه أميناً له مدة عشر سنوات، لكنما الذي عكر بعض ذلك هو حادث غرق إحدى سفنه وهي محملة بكامل طاقاتها بمواد بناء كان قد اشتراها للمشروع من الهند، وبذلك فقد خسر المشروع ما يقارب نصف ميزانيته التي جمعها من منحة الحاكم ومن الإعانات الخيرية.. كما تقدم في الجلستين الإعانيتين الأولى والثانية.. ولمزيد من التعرف على هي الحادثة ومضاعفاتها لا بد من الإطلاع على ما كتبته جريدة الشورى القاهرية في هذا المجال بعدد بها - ١٢٨ - أبريل ١٩٢٧ - و١٣٧ - يوليو ١٩٢٧ - الأول بعنوان (المعارف في البحرين والكويت) الفقرة ٣ - والثاني بعنوان (المعارف في البحرين) رد «على مقال» بفقرتية ٥ و٦.

(١٧) جاء في محضر الجلسة - ٥٦ - المؤرخة يوم السعيد ١٦ - رجب ١٣٣٩هـ.. فجرت المذاكرة في الموارد الثانية لحياة المدرسة وتقدمها فتقرر النظر في ذلك. وتقرر أولاً أن يوضع رسم روبية على جزوى الغوص على كل نفر روبية تؤخذ من النوخذا إذا وافقت الحكومة على ذلك.

الجلسة ـ 7



* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

محتوي الجلسة ـ 7

الجلسة السابعة - لقراءة

- نظام التعليم الحديث في البحرين -

من إعداد السيد المستشار الأستاذ عبدالله دحلان

نص: -

الثلاثاء - ١١ - جمادي الثانية ١٣٣٨هـ - الحمد لله ولي التوفيق والاسعاد/ العظيم الكريم الجواد والصلاة والسلام على سيدنا محمد واسطة السعادة والإمداد وعلى آله وصحابته القائمين بنشر الدعوة والإرشاد والتابعين لهم إلى يوم المعاد.

- ١ - تشكل الإدارة من رئيس أول، ورئيس ثاني، وأمين صندوق وكاتب وأعضاء مستشارين يجرى انتخابهم جميعاً من المتبرعين بالمال دواماً لمدرسة الهداية الخليفية، ويطلق على مجموعهم الإدارة الخيرية لمدرسة الهداية الخليفية - ويكون مركز إدارتهم في دار الرئيس الأول أو الثاني قبل إتمام بناء المدرسة. أما بعد اتمام بناء المدرسة فيكون مركز الإدارة في المدرسة، ويرسم ختم للإدارة بالإسم السابق ويكون هو عنوان لمكاتيبها، مضافاً إليه لفظ رئيس، ويكون عنوانها التلغرافي (الهداية).

(٢) وظائف الإدارة:

هي:

(١) تقرير نظامات المدرسة.
(٢) التفكر في طُرق جمع المال لها بالمحبة والرضى.
(٣) حفظ المال وتنميته بالطرق الشرعية. لا بالطرق الاحتيالية. ويجوز لهم أن يجعلوه في عقار تكون غلته للمدرسة فأعضاء الإدارة هم النظار على أموالها، لكن لا يجوز لهم أن يتصرفوا فيه

إلا بقرار واقع بأكثرية آراء المديرين.

(٤) صرف المال فيما جمع له مع تقديم الأهم فالأهم، يبدأ بتحصيل الأرض اللائقة للمدرسة ثم البناء عليها بصورة موافقة لأشكال المدارس في البلاد الراقية. ثم شراء المعدات والكتب اللازمة لها واللازمة للإدارة.

(٥) اختيار الموظفين للتعليم، وخدمة المدرسة، وما يتعلق بشؤونها، وتقدير المشاهرات (*) وصرفها لهم في أوقاتها، وعقد المقاولات معهم إذا احتيج إليها، وتكون نافذة معمول بها، وإن انقضت المدة المعينة لقيامهم بالإدارة.

(٦) مراقبة سير المدرسة على مقتضى ما يقرر لها من النظامات، وتعيين المفتشين لها، وتفويض نظام التعليم في المدرسة لشخص ذي أهلية واقتدار.

(٧) في أوقات اجتماع الإدارة يلزم المديرين أن يوالوا الاجتماعات في أول الأمر حتى يقرروا كل ما يلزم للمدرسة، ويشرعوا في العمل ثم يجعلونه آخر اثنين في كل شهر، وعلى كل عضو حصل له عذر في التخلف عن الحضور أن يكتب للإدارة بعذره، ويرسله لهم في يوم الاجتماعات قبل الوقت المضروب.

(٨) لا تعقد جلسة بأقل من نصف الأعضاء، ولا يقرر أمر إلا بالاتفاق، أو أكثرية الآراء، فإن لم تكن أكثرية، وكان عدد الطرفين متساوياً الطرف الذي فيه الرئيس الأول، إن كان موجوداً أو الرئيس الثاني إن لم يكن الأول موجوداً. أما إذا كان الطرف الذي يخالفه رأي الرئيس أكثر بواحد فقط أخرت القضية إلى جلسة أخرى يلزم عنه انعقاد الجلسة.

(٩) أن يقيد الكاتب تاريخ يوم الجلسة، وساعة افتتاحها، والمحل الذي عقدت فيه، ورئيس الجلسة والذين حضروها، وأعذار المتخلفين في الدفتر المعد لذلك ثم يبين لهم المواضيع، ثم يشرعون في المذاكرة، وكلما قرروا شيئاً قيده. فإذا تمت المذاكرة في المواضيع ضمت الجلسة، وأمضي عليها الذين وافقوا على تقريرها من الحاضرين، ثم إذا بقي شيء من المواضيع عينوا يوماً للمذاكرة فيه وقيدوه في الدفتر أيضاً.

(*) المشاهرات = الرواتب الشهرية.

(١٠) وظائف الرئاسة/ حفظ نظام الجلسات.. فيوجه السؤالات إلى الأعضاء ويطلب الجواب منهم، ويوجهون الخطاب إليه، ولا يجوز لعضو أن يقاطع كلام الآخرين، ولا أن يخرج عن الموضوع. ولا يجوز لهم جميعاً الخوض في حديث غير الذي فيه البحث، ومن خرج فعلى الرئيس أن ينبهه ولا يبدي الرئيس رأيه إلا بعد أخذ جميع الآراء. ومن وظائف الرئيس إمضاء المحررات الصادرة من الإدارة. وفض ختم الوارد إليها والذي من وظائف الرئيس الثاني دواماً.

(١١) وظيفة أمين الصندوق/ حفظ المال في حرز مثله وضبط حساب الصندوق في دفتر خاص، ولا يجوز له أن يصرف شيء من المال.. بغير قرار من الإدارة. وإذا خالف ضمن.

(١٢) وظيفة الكاتب الأول/ أن يحضر محل الإدارة قبل الوقت المضروب بنصف ساعة على الأقل، ويحرر في ورقة خاصة المواضيع التي يراد المذاكرة فيها، ويلزم كتابة كل ما يتعلق بالجلسات وقت انعقادها، وحفظ الكتب الواردة، للادارة وصور المرسلة منها، وإمضائها من قبل الرئيس وارسالها.

(١٣) وظيفة الكاتب الثاني: تحرير دفتر الواردات والمصروفات بغاية الضبط والإتقان، فيلزم تحرير التواريخ بصورة واضحة، ولا يجوز الشطب، أي المحو في الدفتر مهما كان الغلط، بل يلزم أن ينبه على الغلط بالكتابة في آخر الصفحة. ومن وظائف الكاتب الثاني تحرير أوراق الدعوى للأعضاء والمراسلات للخارج، وتحرير كل ما يتوقف بالإدارة متى أمره الكاتب الأول.

(١٤) على الإدارة أن تحرر كل سنة كشفاً يتضمن جميع الواردات، وجميع المصروفات بصورة إجمالية، مع بيان كل نوع على حدته، وذكر الجهة التي ورد منها أو صرف فيها.

(١٥) تقوم الإدارة بأعمالها ثلاث سنوات كاملات، وفي آخر السنة الثالثة يلزم أن يقرر المديرون يوماً لإجتماع المتبرعين بالمال للمدرسة سنوياً ويكتبوا لكل واحد منهم تحريراً خاصاً يعين فيه يوم الاجتماع، وساعته، ويوضح فيه المقصد من الاجتماع، وهو اختيار أعضاء للإدارة ثلاث سنوات.

(١٦) المتبرع الذي يلزم دعوته لإختيار أعضاء الإدارة.. هو من يدفع سنوياً إعانة للمدرسة على الأقل ستين روبية.

(١٧) عند اجتماع المتبرعين المذكورين مع المديرين السابقين في الجلسة العامة أن يبينوا لهم أن المدة المحدودة للادارة قد تمت وأن اجتماعنا اليوم للمذاكرة في انتخاب أعضاء للإدارة يقومون بالأعمال ثلاث سنوات، فيجب أن نوضح لكم من يصلح للإدارة لتختاروا من شئتم منهم. وعند ذلك يذكر لهم الرئيس أسماء الأشخاص الذين سيبقون للإدارة، ويحسن أن يكونوا بقدر ضعف

عدد المديرين السابقين ويحسن أن ينبههم على جواز اختيار المديرين السابقين وتعيينهم ثلاث سنوات أخرى.

(١٨) كل من وقع الاختيار عليه للقيام بخدمة الإدارة يلزمه القيام بها وإن تأخر بغير عذر، قرر الباقون هجره، فلا تجاب دعوته ولا يزار في داره حتى يرجع ويمثل للإدارة.

(١٩) إذا دعت الحاجة إلى تبديل شيء من هذا النظام أو تغييره أو الزيادة فيه، فيلزم أن يكون بحضور جميع أعضاء الإدارة، وحصول أكثرية الآراء والله سبحانه وتعالى أعلم.

ملحق بنظام الإدارة، حسب القرار الصادر يوم الثلاثاء ١١ جمادي الثانية ١٣٣٨: -

(٢٠) نقل قرارات الإدارة، وما يجري فيها من المناقشات إلى الخارج ممنوع بتاتاً، ولو على سبيل الأخبار أو التفهيم إلا إذا قررت الإدارة الترخيص لبعض الأعضاء في ذلك. وعليه فيلزم أن يمنع دخول غير أعضاء الإدارة إلى الإدارة في وقت انعقاد الجلسات، إلا بإذن ويحسن أن يكتب على بابها (الدخول ممنوع إلا برخصة)

تحقيق واستقراء النص:

ذلك كان نص المواد الإحدى والعشرين لنظام التعليم الحديث في البحرين الذي قال عنه الرئيس قاسم بن مهزع: أنه سفر عظيم، ومواده ثمانون.. وليس عشرون.. كما جاء ذكر ذلك ولأول مرة في الفقرة الخامسة والأخيرة من محضر الجلسة الثانية لمجلس مشروع التعليم الحديث.. لقد جاءت بذلك بصورة وعدية مقتضية.. إذ قالت واصفة أياه بالأهم: -

(ثم ختمت الجلسة في الساعة السابعة والدقيقة ثلاثين بعد أن قرروا - يوم السبت ١٨ ربيع الثاني موعداً للاجتماع في الساعة الرابعة، وأن تكون المذاكرة في الأهم وهو نظام المدرسة ليتوصل بذلك إلى التفكر في مركز المدرسة..).

وحين تقول تلك الفقرة أن ذلك النظام هو الأهم في أبجدية الجلسة الرابعة القادمة للمناقشة.. فهذا يعني أنه على ضوء تهيئة ذلك النظام وصدور قراره من قبل المجلس والعمل به يتوقف طرح موضوع إنشاء مبنى مدرسة الهداية - الجديد آنذاك - للمناقشة.

لقد كان ذلك الموضوع سيد المواضيع المطروحة على بساط البحث والمناقشة في معظم جلسات المجلس.. كان الهاجس الأهم لأعضائه.. ولم يتركوه حتى أشبعوا مواده تداولاً ونقاشاً. كانت الجلسة الثالثة للمجلس إحدى أهم الجلسات التي قرأت فيها مواد ذلك النظام واحدة واحدة.. حتى أقر وسجل في الدفتر الخاص به من أجل العمل به في الإدارة الخيرية للتعليم الحديث في البحرين لتطبق العمل به في إدارة مدرسة الهداية الخليفية النواة لذلك التعليم..

تقول الفقرة الثانية من محضر الجلسة الثالثة من المضبطة في ذلك:-

(ثم شرع الكاتب في قراءة نظام المدرسة حسبما تقرر..) هذا ما قالته تلك الفقرة عن طرح ذلك النظام أمام المجلس، ومناقشة مواده.. وبذلك فقد بدأت إرهاصات خروج ذلك النظام التعليمي إلى الوجود.. من أجل العمل به.. فقد رأى المجلس رفعه إلى القاضي الرئيس قاسم بن مهزع لإقراره وتوثيقه ليأخذ شرعيته.. ربما الجزء من قانون التعليم العام الذي تصل مواده إلى ثمانين ٨٠ مادة..

فإذا كان ما نتحدث عنه الآن من نظام تعليمي إن هو إلا لائحة تعليمية داخلية.. أطلق عليها واضعها (نظام التعليم في مدرسة الهداية.. وهي في الحقيقة قانون، وليست لائحة كما ستتعامل معها.. فأين ذلك القانون ذو الثمانين ٨٠ مادة الذي أقره ووثقه الشيخ الرئيس قاسم بن مهزع وجاء نص توثيقه كالتالي: -

(.. أما بعد فإني نظرت إلى هذا السفر العظيم وما تضمنه من معالم الإصلاح والمصلح الذي هما على النهج القويم، فيا لذلك ما تضمنه هذا المسلك المرشد إلى الصراط المستقيم ففي ضمنه الترقي للعامل بهما في التهذيب والأخلاق، وأوامر رب العالمين. فأول مادة في ذلك المرقوم إلى ختام المواد كمال الثمانين كل معالم أخلاقية وتهذيبية واصلاحية ودينية، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.. واللسان يكل عن محاسن هذا المنشور الموجب لرضا الله جل جلاله والفوز يوم لقاه، والسلام عليكم ورحمة الله) (١) .

إن إشارة القاضي ابن مهزع بذكر عدد مواد القانون البالغة ثمانين مادة تبرز احتمالين.. أما أن يكون ما عثرنا عليه في المضبطة قانوناً تعليمياً فقد ثلاثة أرباع مواده بالضياع (٢) وإما أن يكون ما وثقه ابن مهزع وصدق عليه شيئاً مختلفاً عما نتحدث عنه الآن ونستقرؤه من قانون تعليمي ذي عشرين مادة كان قد وضعه مستشار التعليم الحديث في البحرين - آنذاك - عبدالله صدقة دحلان.

إن ما يسهم في تساؤلنا عن ذلك كون القاضي ابن مهزع لم يعط وصفاً دقيقاً عما صدق عليه - آنذاك - من نظام أو قانون ومع ذلك فإشارته عن عدد مواد ذلك القانون وكونها ثمانين تبقى صحيحة توثقت برسالة رسمية من قاض قضاة البلاد إلى رئيس مشروع التعليم فيها.. وإذا كان الأمر كذلك فأينها المواد التسع والخمسين الباقية من مجمل القانون الذي وثقه القاضي لم يذكر من وضعه..؟!

إن ما بين أيدينا الآن هو النظام أو القانون ذي المواد الواحد والعشرين الذي وضعه

الدحلان نظاماً للإدارة الخيرية ليدير بتطبيقه العملية التعليمية في مدرسة الهداية والمدارس التي سينشؤها مشروع التعليم بعد ذلك. وبنظرةٌ فاحصة يظهر هذا النظام - القانون - متكاملاً بمواده العشرين.. وعرضه أيضاً للتعديل والإضافة بدليلين: -

أولهما - قول واضع القانون في المادة التاسعة عشر فيه: -

(إذا دعت الحاجة إلى تبديل شيء من هذا النظام.. أو تغييره أو الزيادة فيه فيلزم أن يكون بحضور جميع أعضاء الإدارة وحصول أكثرية الآراء.. والله سبحانه أعلم) فكان دليل ختمه وانهائه لمواد النظام قوله: (والله سبحانه أعلم).

وثانيها - قيام واضع القانون/ النظام بإضافة المادة الواحدة والعشرين كملحق لنظام الإدارة الداخلي.. في حركة واضحة على إنهاء مواد ذلك القانون/ النظام حيث يصل بعدد مواده إلى الواحدة والعشرين.

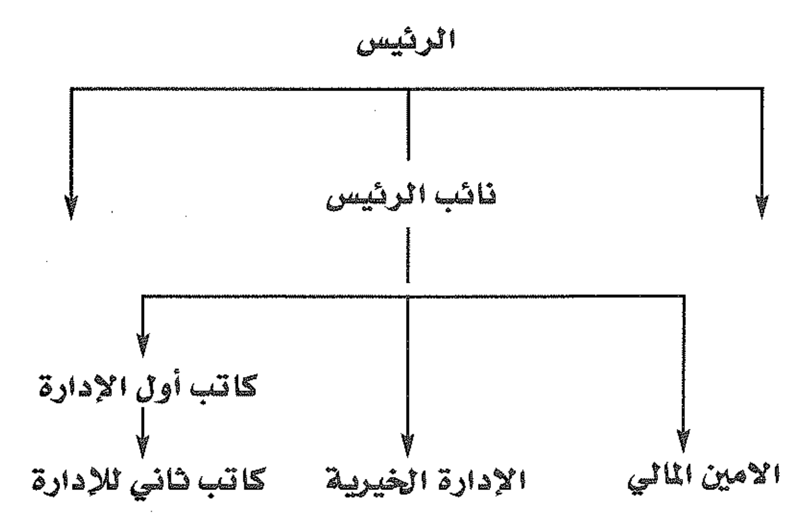
وهنا نجد أن واضع النظام لم يقدم تعريفاً تمهيدياً يعرف قارئه أو من سيقوم بتطبيقه الدافع المبرر لوضعه.. سوى قوله عنه أنه: (نظام التعليم في مدرسة الهداية الخليفية) إذن فهو نظام لضبط سير العملية التعليمية لمدرسة حديثة لم تكن بعد لتبدأ عملها. ولم يكن واضعه - حسب سياق مواده - في مستوى يجعله مهيئاً لوضع قانون عام شامل لمشروع تعليمي حديث ربما تهيأت الاسباب له بأن يتوسع وليتفرع خلال سنوات قليلة قادمة.. لم يكن واضعه ذا تطلع مستقبلي استشرافي في وضعه. ولقد قال عنه هو أنه نظام تعليمي لإدارة مدرسة الهداية ولم يقل أنه وضعه ليكون قانوناً للمشروع كله، وله العذر في ذلك فلم يكن هناك مناخ تعليمي يحتاج إلى مثل ذلك القانون ولم يكن هناك - آنذاك - شيء في ذلك مطبق على الأرض فمدرسة الهداية التي وضع من أجلها هذا النظام لم تظهر بعد.. ومع ذلك فقد خصص المستشار الدحلان مواد كثيرة فيه لتنظيم العمل في الإدارة الخيرية وأبرز تلك المواد كمواد قانون تنظيمي أمثل.

الإدارة الخيرية للتعلم

تعريف.. وهيكله

وحين دخل الأستاذ الدحلان رأساً إلى ساحة ما وضعه من نظام للتعليم لم يكن قد هيأ ذهن من سيقوم بتطبيقه بمقدمة تمهيدية ليأتي ذلك التطبيق مستقبلاً عن فهم وإدراك. وقد سماه: (.. نظام التعليم في مدرسة الهداية) كما أسلفنا.. لكنه كان شبيهاً بلائحة داخلية تنظم العمل بالإدارة الخيرية ومدرسة الهداية إذ ليس هناك مادة فيه تخرج عن مجالها.. ولم يكن هناك على وقته ليس في البحرين فحسب بل في الخليج العربي كله وما يشبهه في ذلك من تنظيم إدارة للتعليم يدير إدارة المدرسة.

لقد هيكل الدحلان نظام العمل في الإدارة الخيرية، ومدرسة الهداية.. إذ ليس هناك مادة فيه تخرج عن مجالهما.. ولم يكن هناك على وقته ليس في البحرين فحسب بل في الخليج العربي كله ما يشبهه في ذلك من تنظيم إدارة للتعليم يدير إدارة مدرسية. لقد هيكل الدحلان نظام العمل في الإدارة الخيرية، ومدرسة الهداية وجعله ذا ست شعب: رئيس، ونائب رئيس، وأمين مالي، ومدير إدارة، وأعضاء الإدارة فأصبح ذلك توصيف للهيكل التالي:-



ويفتتح الدحلان لائحة نظام الإدارة الخيرية بوضع المادة الأساسية في تشكيل تلك الإدارة عبر الهيكلة التي ذكرناها آنفاً.. ولا ينسى أن يضيف إليها تحديد مقر الإدارة فيقول:-

(.. مركز إدارتهم في دار الرئيس الأول، أو الثاني قبل اتمام بناء المدرسة، أما بعد اتمام بناء المدرسة فيكون مركز الإدارة في المدرسة..).

هذا عن هيكلة الإدارة في المادة الأولى.. ولكن الدحلان لا يترك سياق المادة ينتهي دون محاولة وضع تقرير مبدئي يضمن شرعيتها مرة أخرى، فها هو يعطيها جزءاً من اثبات الوجود في تحديد مقرها.. وها هو يضيف إلى ذلك أيضاً تعزيزاً آخر لوجوده بإبراز هويتها ورسميتها خلال منحها ختماً رسمياً، وعنواناً لتلغرافها فيقول: -

(.. يُرسم ختم للإدارة بالإسم السابق، ويكون هو عنواناً لمكاتيبها.. مضافاً إليه لفظ الرئيس، ويكون عنوانها التلغرافي في (الهداية).

أما ما يعنيه الدحلان بالإسم السابق للإدارة فهو ما كانت تدعى قبلاً بالإدارة الخيرية.

وحين يفرغ الدحلان من هيكلة المادة الأولى من النظام يلتفت في عملية تدريجية ناجحة لتحديد مهام الإدارة فيوزع وظائفها على ست مواد هي:-

١ ـ تقرير نظامات المدرسة..
٢ ـ التفكير في طرق جمع المال..
٣ ـ حفظ المال وتنميته.
٤ ـ صرف المال..
٥ ـ اختيار الموظفين..

٦ ـ مراقبة سير المدرسة..

كل هذه المواد الست تشكل لائحة خاصة بعمل الإدارة الخيرية وضعها الدحلان بإيجاز لمهمات تلك الإدارة من أجل إدارة مدرسة الهداية.. كنواة لمدارس مشروع التعليم الحديث في البحرين كذلك فإنه من أجل تسهيل العمل المباشر في المدرسة ترك للإدارة الخيرية مهمة وضع لائحة داخلية.. جعلها أول ما تقوم به الإدارة.. فقال: (تقرير نظامات المدرسة) أي أن ذلك من أولى اختصاصات الإدارة.

وابتداء من المادة الثانية من وظائف الإدارة الخيرية ولغاية الرابعة ركز الدحلان على حفظ مال المشروع وتنميته بالطرق الشرعية.. مثل الهبات التي سيتحصل عليها من الواهبين ومثل استغلال ذلك المال في شراء عقارات يدر ريعها لصالح المدرسة. وهنا يظهر حرص الدحلان على إفراد موضوع تأمين المال للمدرسة بأربع مواد - كما أسلفنا - من أجل استمرار عملها كنواة خوفاً من اهتزازها وتمحضلها.

فبالرجوع إلى سياق المواد الثلاث الباقية من المواد المالية الأربع نجد كيف يكون حرص الدحلان على تقييد وترشيد الانفاق المالي الخاص بالمدرسة.. فلا يؤذن بالصرف فيه إلا بقرار حاصل على أكثرية الأصوات من أعضاء مجلس الإدارة الخيرية المنتخب - كما سنتحدث عنه لاحقاً - وأن يقدم الأهم في صرف أي جزء منه على المهم كحصول الإدارة على قطعة أرض للمدرسة ثم بنائها كأحسن ما تكون المدارس في البلاد الراقية.

أما في المادتين الخامسة والسادسة الباقيتين من وظائف الإدارة.. فتتعلقان.. الأولى باختيار موظفي التعليم من كتبة ومدرسين وخدم آخرين.. وكل ما يتعلق بالشؤون الإدارية والمالية للمدرسة النواة.. مثل عقد عقود مع المدرسين ودفع رواتبهم.. وأن لا يتأثر ذلك بالتغيير الحاصل لأعضاء مجلس الإدارة كل ثلاثة أعوام. أما الثانية فتتعلق

بمراقبة سير العمل بالمدرسة، وما سيستحدث لها من أنظمة.. أي لوائح داخلية على ما يعنيه الدحلان حين يقول: (.. مراقبة سير المدرسة على مقتضى ما يقرر لها من النظامات..) ولا ينسى الدحلان فيها من التشديد والانتقاء لمن قد يوكل إليه أن يكون مديراً للمدرسة أو منتشيها فيقول: (وتعيين المفتشين لها وتفويض نظارة التعليم في المدرسة لشخص ذي أهلية واقتدار). وهنا ومن خلال استقرائنا للمواد الست الخاصة نرى أن الدحلان قد وضع الأسس الرئيسية للائحة مدرسية للعمل بمدرسة هي النواة لمشروع تعليمي حديث آنذاك.. آخذين بعين الاعتبار مكان وزمان ذلك العمل الذي مضى عليه ثمانون عاماً.

المـــادة - ٨ -

وبانتهائنا من استقراء المواد الست الخاصة بنظام التعليم للإدارة الخيرية.. نكون قد انتهينا من تشريح سبع مواد من مجمل النظام الدحلاني للتعليم الحديث في البحرين. بما فيه المادة الأولى. لنصل الآن إلى المادة الثامنة منه التي يواصل فيها الدحلان ترسيم مواده المتعلقة بالإدارة الخيرية.. فيذكر أن عليها في أي اجتماع لا يختص بمناقشة خط سير العمل بالهداية أن تستدعي المديرين!! الذين يجب أن يكونوا قد أشعروا قبلاً بموعد عقد أي اجتماع للإدارة الخيرية معهم.. من أجل أن يقدموا طلباتهم فيما يلزم المدرسة .. أو ربما المدارس الأخرى التي سينشؤها المشروع مستقبلاً من احتياجات مما يتعلق بالشؤون الإدارية والمالية.

ومما يلفت النظر في قول الدحلان: (في أوقات اجتماع الإدارة يلزم المديرين أن يوالوا الاجتماعات في أول الأمر حتى يقرروا كل ما يلزم المدرسة..) فأي مديرون للمدرسة يعينهم الدحلان هنا.. فمدرسة الهداية - نواة المشروع - لم تظهر بعد إلى الوجود.. وهل يعني أن يكون لمدرسة واحدة عدد من المديرين.. ربما كان يحتمل في

نفسه أثناء وضعه للمادة الثامنة من لائحة نظام التعليم أنه يُعد مادة في قانون ليس مختص بمدرسة واحدة أنما يشمل مدارس أخرى سينشؤها مشروع التعليم مستقبلاً.. وهو ما بدا ظاهراً في سياق هذه المادة.. التي تميزت بعطائها الإداري الشامل الذي يهتم بنظام العمل في الإدارة الخيرية للتعليم الحديث لا بمدرسة واحدة كمدرسة الهداية فقط.

ولا ينهى الدحلان المادة الثامنة في نظامه حتى يبدأ في وضع قيود ضبطية تختص بتلك المادة وخاصة بما يتعلق بشرعية اجتماعات الادارة الخيرية وتعددها.. مثل قوله: (.. على كل عضو من أعضاء الإدارة حصل له عذر في التخلف عن الحضور أن يكتب للإدارة بعذره، ويرسله لهم في يوم الاجتماع قبل الوقت المضروب..)

هذا القيد الإنضباطي.. ربما كان أقوى قيد التزامي وضعه الدحلان مقارنة بالقيود الإلزامية غير المشروطة التي وضعها في مواد النظام السابقة لهذه المادة. غير أن هذا القيد قد تعتوره عقبة في التنفيذ فلا يستطيع العضو إيصال اعتذاره ـ المشروط كتابة ـ في صباح يوم أي اجتماع.. ربما فات الدحلان أن يأخذ بعين الاعتبار وضع المواصلات آنذاك في الطرق والوسائل.. إلا أنه من الممكن الاعتقاد أن الدحلان كان يأخذ بنظرية الديمومة لنظام التعليم الذي وضعه. وهذا ليس ممكناً فنظرية مثل هذه يعتورها الخلل ما لم يمسح تقديرياً من أجلها – المكان والزمان وتطورهما فليس في مثل هذا المجال ثوابت حتى بالنسبة لعقد قادم من السنين فالتغيير مستمر. وهو بالنسبة لنظام الدحلان هذا قد تحقق حين أقدم الأستاذ حافظ وهبه أول مدير لمدرسة الهداية على محاولة تغيير وتعديل بعض مواد نظام الدحلان أو قانونه – كما تسميه الإدارة الخيرية – وذلك من قبل أن يمر عليه عام واحد. فقد جاء في محضر الجلسة رقم – ٥٠ – المؤرخة في ٥ جمادي ١/١٣٣٩ ما يلي:–

(.. دارت المذاكرة في تقرير الشيخ حافظ، بخصوص انتقاده لقانون المدرسة، فتقرر أن يبين مواطن انتقاده بالتفصيل لتنظر الإدارة وتقارن بين قانون المدرسة الموضوع سابقاً، وبين نظامه الذي وضعه، وتقرر تنقيح مواضع الانتقاد..).

من حيثية نص تلك الفقرة التي تعلمنا عن انتقاد حافظ وهبه لقانون الدحلان التعليمي يتبين لنا أنه ولأول مرة كيف أطلقت الإدارة الخيرية اسم قانون على نظام الدحلان التي بدأت بتطبيقه قبل أن يصل حافظ وهبه إلى البحرين. وأن الإدارة لم تقف مبدئياً أمام فكرة التغيير في ذلك القانون عملاً بحرية التطوير إلى الأحسن - كما أسلفنا - وطالبت حافظاً بأن يعد تعديله على قانون الدحلان، ويضعه أمامها. وليس هذا بل أنها أقدمت على خطوة جريئة بمساواتها في المقارنة بين تعديل حافظ الذي لم نره بعد والذي يمكن أن يكون بين قانون الدحلان معدلاً.. وبين قانونه الأصيل.. ولا نعلم هل تم شيء في موضوع التعديل هذا أم لا.. فمحاضر ما بأيدينا من المضبطة لم تذكر شيئاً من ذلك. أما ما نعلمه منه فهو أن الدحلان - في خطوة استشرافية منه للمستقبل - كان قد سهل لأي مُغير أو مُعدل في قانونه التعليمي ذاك أن يقوم بذلك، حيث أفرد مادة مستقلة له ألحقها بقانونه فأصبحت المادة الحادية والعشرين فيه.. كما هو مثبت في نهاية نصه.

المـــــادة - ٩ -

ذلك حديث عن المادة - ٨ - التي كانت قد بدأت بها ضوابط نظام الدحلان التعليمي في الظهور.. أما المادة التاسعة هذه التي نحن بصدد تشريحها.. فأكثر سياقها تنظيمياً موكولاً بتنظيم العمل في الإدارة الخيرية.. فلا تعقد جلسة من جلساتها بأقل من حضور نصف أعضائها على أقل تقدير. وإن قرارات ما يتوصل إليه من اتفاق يكون بأكثرية الأصوات..وكالعادة فالرئيس له صوتان. وهذ الميزة هي أيضاً

من حقوق نائبه الرئيس الثاني إذا ما ترأس الجلسة.. وكذلك فإن هذه المادة تقول بأن لهما أن يصدقا على أي قرار.. ولكن بعد حصول ذلك القرار على أكثرية الأصوات.. وأن لا يكون ذلك الصوت واحداً.. وبهذا فقد انتقص الدحلان - في هذه المادة - من حق الأكثرية بالفوز ما لم تفز بزيادة صوتين على نصف الأعضاء المجتمعين بالإدارة بأي جلسة من جلساتها.. ولذلك يقول الدحلان في نهاية المادة: -

(.. أما إذا كان الطرف الذي يخالفه رأي الرئيس بأكثر بواحد فقط أخرت القضية إلى جلسة أخرى.. يُلزم عنه انعقاد الجلسة) أي أن تأخذ تأخير تلك الجلسة يتوجب عليه جلسات أخرى.

المـــادة العـــاشرة

وحين نصل إلى المادة - ١٠ - من نظام التعليم أو قانونه نجدها تختص بواجبات ضابط جلسات مجلس الإدارة الخيرية لمشروع التعليم الحديث في البحرين.. وهي واجبات تنفيذية يقوم بها ذلك الضابط - وهو كاتب الإدارة الأول - وتتحدد في البنود التالية: -

أ - يؤرخ يوم الجلسة وساعة افتتاحها والمكان الذي تعقد فيه ورئيسها وحاضريها.
ب - تسجيل أعذار الأعضاء المتخلفين عن الجلسة.
ج - يهيئ المواضيع التي ستطرح أمام المجلس لمناقشتها في الجلسة.
د - يتحمل مسؤولية تسجيل كل ذلك في الدفتر الواحد المعد كسجل للجلسة.
هـ - يتحمل مسؤولية وضع تواقيع كل أعضاء مجلس الإدارة الموافقين علي القرارات النهائية لأي جلسة.

أما عن تعيين الجلسات فقد ذكرت هذه المادة أنه من حق أعضاء المجلس فقط لا من حق ضابط جلساته.. ربما ولا رئيسه.. لدرجة أن المادة أمسكت عن ذكر أي

صلاحية لها في ذلك.. إلا أن العرف جرى بمنح الرئيس حق صلاحية استدعاء المجلس للإجتماع دون استثناء سواء كان ذلك الاجتماع بضرورة.. أو للمذاكرة الإستشارية.

غير أن رئيس المجلس وكان دائماً هو الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة ظل يتوخى أن لا يأذن أو يطلب انعقاد المجلس إلا لضرورة.. كما هو واضح في نصوص محاضر الجلسات التي مر ذكرها في المضبطة. والتي تظهر وخاصة في افتتاحيتها أن الرئيس ما كان أبداً حجر عثرة في طريق تحديد عدد جلسات المجلس وتحديد أوقات انعقادها. وكان كثيراً - كما كشفته محاضر الجلسات - ما يتحلى بروح التعاون واسناد كثير من أمور مشروع التعليم الحديث في البحرين وتنفيذها إلى ذوي الخبرة.. سواء داخل مجلس المشروع أو خارجه.

وبتفصيل أدق فإنه كان دائماً ما يوكل إلى نائبه الأول الشيخ ابراهيم الخليفة إدارة المجلس نيابة عنه أثناء غيابه أو تأخره عن أي جلسه.. وليس ذلك فحسب بل كان يمكنه - وأثناء حضوره هو - أن يتحدث باسم رئاسة المجلس. وكثيراً ما كان ينوب عنه في القاء كلماته الخطابية سواء في جلسات المجلس أو الجلسات الخاصة بالمشروع، أو العامة. وكذلك فإن الشيخ عبدالله كان يطبق هذه القاعدة على كل من نائبه الثاني الشيخ عبدالوهاب الزياني وأمين سره الأول الأستاذ قاسم الشيراوي، وكاتب الإدارة الأول الشيخ محمد صالح يوسف.. فقد تناوب هؤلاء وعلى رأسهم الشيخ ابراهيم في كتابة خطبه والقائها نيابة عنه أثناء حضوره أو غيابه وهو ما تبين لنا بوضوح في نصوص محاضر الجلسات الأولى لمضبطة المشروع.

ولقد ذكر لي استاذي الشيخ محمد صالح يوسف كاتب أول الإدارة الخيرية.. أنه مع كثرة المشاكل التي كانت تبرز أمام أعضاء مجلس المشروع - ككل المشاريع الجديدة، وخاصة ما كان يتميز به المشروع المذكور من فرادة وجدة في مجتمع لم يألف مثله من

قبل في حركته وتنظيمه..وظهور بعض إنجازاته مبكرة - فإن رئيسه الشيخ عبدالله كان رغم بدائية تعليمه كان واسع الإدراك بحيث كان ينيط بالحاج قاسم الشيراوي الذي كان أول كاتب أساسي للمجلس.. وإلي - شخصياً - كثيراً من تلك الأعمال، وحين حللت مكان الشيراوي أناط بي تدبير شؤون المجلس اليومية.. التي أرفع الأمر في تنفيذ المهم منها إليه وإلى نائبه الشيخ ابراهيم بن محمد.

المادة - ١٠ - أيضاً

في صلاحيات الرئيس..

في هذه المادة أيضاً حدد المشرع الدحلان - صلاحيات رئيس المشروع في البنود التالية.. التي يجب أن تناط به:-

أ. حفظ النظام في جلسا المجلس.
ب. إدارة الحوار في استجوابات أعضاء المجلس كافة.
ج. توجيه الخطاب إليه من قبل أعضاء المجلس.
د. للرئيس الحق أن ينبه من يقاطع كلام من يسمح له الرئيس بالتحدث - من بين أعضاء المجلس وله أن يمنع أي عضو متحدث أن يتجاوز الموضوعية في حديثه.. كأن يخوض في حديث آخر.
هـ - لا يبدي الرئيس رأيه إلا بعد برأي الجميع أو أكثريتهم.
و - للرئيس وحده توقيع محررات المجلس كافة..

هذه هي الستة البنود من السبعة التي جاءت في المادة العاشرة والتي خصصت للرئيس، أما البند السابع منها فقد خصصه المشرع لنائب الرئيس الأول وهو ما يتعلق بفض ختم الرسائل الواردة إلى المجلس.. وهي مهمة كان يحسبها مشرع النظام مهمة جليلة.. وذات قيمة رئاسية - على ذلك الوقت - وإلا لما أناط بها نائب الرئيس الذي

كان هو الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة.. بينما هي في الواقع ليست على ذلك المستوى كمهمة إداريه عادية.. وقد قام بها الشيخ ابراهيم لبعض الوقت ثم تركها للأستاذ قاسم الشيراوي.. الذي أحالها من بعده إلى الأستاذ محمد صالح يوسف الذي تحدث إليّ في هذا الشأن من بين ما أفادني به عن كل ما سألته عما يتعلق بالإدارة الخيرية.. أيام إدارته هو لها.. كان ذلك يوم ١٩٥٩/١١/٢. كان من جملة ما قال الآتي:

(إن الأمور ليست كما نعهدها اليوم بالنسبة للتعليم وظروفه، فظروف العمل في الإدارة الخيرية آنذاك محدودة.. ولكنها صعبه والحديث عنها يطول، وخاصة فيما يختص من تفاوت في عمل الإدارة التنفيذي مع الشيخ إبراهيم رحمه الله. فحين يكون مقيماً في المحرق، وخاصة في فصل الشتاء فإن اتصالي به كان سهلاً، مع ما بين منزله ومقر الهداية - بمدرسة علي بن ابراهيم الزياني من مسافة تقدر بكيلو ونصف.. إو بالهداية نفسها بعد ذلك. أما إذا كان بمصيفه (بالجابور) فإن في ذلك بعض الصعوبة حيث لا يمكنني أن آتية يومياً لأعرض عليه ما استجد من عمل في الإدارة لذلك كنت أحرر له خطابات بالأشياء المهمة في ذلك ولديك بعض هذه الخطابات، علماً بأن الشيخ ابراهيم كرئيس ثان للإدارة الخيرية لم يكن ليتخلف مرة عن اجتماعات مجلسها سواء كانت استثنائية أو عادية.

أما فيما أوصى به الدحلان في نظامه التعليمي لمدرسة الهداية من إلزام الرئيس الثاني وحده بمهمة فض الرسائل الواردة إلى الإدارة فلم يكن عملياً، ولم يطبق، فحصر ذلك العمل في نائب الرئيس فقط، فيه صعوبة وتعذر كما كنت أشاهد ذلك، ففض الرسائل الواردة إلى الإدارة ليس بالأمر المهم، لكنه لا يخرج في مهمته أبداً عن أربعة أنفارهم: الرئيس ونائبه الأول، ونائبه الثاني، وكاتب الإدارة، ومع استمرار العمل وتشعبه كنت أقوم وحدي

بهذه المهمة، وأبعث إلى الرئيس الثاني، ولو كان في مصيفه بخلاصة ما جاء في تلك الرسائل).

إنتهى كلام الشيخ محمد صالح في هذا المجال فيما له علاقة بالمادة - -١٠ - من نظام الإدارة الخيرية لمشروع التعليم الحديث في البحرين.. التي هي هنا تمثل جزءاً من شهادة أدلى بها الشيخ لي عن عمله في الإدارة..

المادة - ١١ - أيضاً

- في صلاحيات أمين الصندوق -

هذه المادة تكاد تكون أقصر مادة بين مواد نظام الإدارة الذي وضعه الدحلان كما أسلفنا من أجل ضبط العمل في مدرسة الهداية.. نواة مدارس التعليم الحديث في البحرين، ومع ما تتعرض له هذه المادة من شأن مهم جداً في إدارة مال المشروع.. الذي هو عصب حركته وتنميته، فإن واضع النظام حصر ذلك في صلاحية أو اثنتين تختصان بأمين الصندوق. فالصلاحية الأولى تختص بتخزين المال لديه وحفظه وضبطه، أما الثانية فبإعداد دفتر خاص لذلك الضبط.. وهما عمليتان دقيقتان.. فالعملة النقدية المتداولة في الخليج العربي كانت من فئة واحدة هي روبية الهند البريطانية.. مع سلة صغيرة جداً من النقود الذهبية المتنوعة بين الليرة التركية والجنيه الإنجليزي.

كانت الروبية الهندية فضية.. ولم يعرف الخليج آنذاك النقود الورقية.. وكانت الروبيات توضع بأكياس صغيرة يتسع الواحد منها بين ألفين وأربعة آلاف روبية.. ولم تكن هناك مشكله في تخزينها وحفظها.. فلا يخلو منزل تاجر من خزانة حديدية (تجوري) تتفاوت حجومها تبعاً لمستوى التاجر في الثراء.. ومنهم يوسف عبدالرحمن

فخرو الأمين المالي لمشروع التعليم الحديث في البحرين وعضو مجلس إدارته الذي كان يدعى أذاك بأمين صندوق الإدارة الخيرية للتعليم في البحرين..

هذا حول بعض ما أشارت إليه المادة - ١١ - من نظام التعليم الحديث الذي نحن بصدد استقرائه كما وضعه (الدحلان) والذي لم يغفل أيضاً أن يضع في صلب هذه المادة تحذيراً للأمين المالي للمشروع في صورة قيد يلزمه أن لا يجوز له صرف شيء مما تحت يده من مال المشروع إلا بقرار من مجلس الإدارة الخيرية.. وإن خالف ذلك فيضمن رد ما صرف سريعاً.. وهو قيد اجرائي جزائي كان متعارف عليه آنذاك وهو شبيه بما يلزم به صرافو المؤسسات المالية الآن بشتى أنواعها.. إلا أن واضع النظام لم يلزم مسؤول الأمانة المالية للمشروع بالتنسيق مع الإدارة الخيرية.. إلا أنه أشار إلى مثل ذلك في المادتين - ١٣ و١٤ - وأناطه بوظيفة الكاتب الثاني للإدارة.

- المـــادة ١٢ -

وصف وظيفي للكاتب الأول

في هذه المادة يحدد واضع النظام المهمات المكلف بها كاتب الإدارة الأول.. الذي هو أيضاً ضابط محاضر جلسات مجلس المشروع ويجملها في البنود التالية: -

أ. أن يحضر مبكراً قبل انعقاد الجلسة بنصف ساعة.. وهو يعني بالذات وقتاً مبكراً في الأيام التي كانت جلسات مجلس المشروع تنعقد فيها.. وهي ليست يومية ولا أسبوعية بل كان موعدها يتقرر بالحاجة إلى انعقادها للبت وتصريف الأعمال التي قد تكون تراكمت.

ب. أن يجهز كاتب الإدارة الأول ورقة عمل الجلسة مسجلاً عناوين المواضيع التي يراد بحثها.

ج ـ يقوم بتسجيل وضبط محاضر جلسات المجلس كاملة.

د ـ حفظ الرسائل الواردة للإدارة واطلاع الرئيس.. ثم المجلس عليها.. وإعداد وتجهيز الرسائل الصادرة، وأخذ توقيع رئيس الإدارة الذي هو رئيس المشروع – عليها قبل إرسالها إلى الجهات الموجهة إليها.

ولكن هل هذه هي كل مهمات كاتب الإدارة الخيرية الأول.. تلك التي حددها واضع النظام بإيجاز.. نقول نعم فهو لم يزد على ذلك.. ربما مرد ذلك لعدم تمتعه كواضع قانون أساسي لتعليم حديث بسعة إدراك استشرافي في التنبؤ بظهور مهمات كثيرة قد تنمو وتتشكل مع تطور مشروع ذلك التعليم.. وفعلاً فقد ظهرت مهمات كثيرة أنيطت بكاتب الإدارة الأول فأصبح مكلفاً بها فوق تكليفه بتلك البنود الثلاثة التي وضعها له واضع القانون غير أن ما حدث هو أن كاتب الإدارة الخيرية الذي قيضه الله في شخص الأستاذ قاسم محمد الشيراوي لتحمل مسؤولية إدارة تعليمية جديدة النشأة آنذاك فكان محور العملية التأسيسية لمشروع التعليم الحديث في البحرين كما أسلفنا في الحديث عن رئيس المشروع.. لقد ظل في إدارة المشروع لأكثر من عام. وحين حل مكانه الأستاذ محمد صالح يوسف كان نعم الخلف لمن سلف وذلك لتمتعه مسبقاً بخبرة كبيرة في العمل الإداري لدى مؤسسة السديراوي ببومبي.. وقد عمل أولاً بصفة كاتب ثان للإدارة فكان اليد الطولى لقاسم الشيراوي حيث عمل معه فيها لعدة أشهر.. فلما تركها مرغماً بنفيه من بلاده تولى الأستاذ محمد صالح مكانه.. فصار يقوم بأعمال وظيفتي الكاتب الأول والثاني حتى عيّن السيد حسين (٤) بصفة كاتب ثان. في وقت بدأت تتفاقم فيه أعمال الإدارة.. وخاصة إبتداء من عام ١٩٢٢. ففيه تأست المدرسة الثانية في مشروع التعليم الحديث فكانت في المنامة تحت اسم (الهداية الخليفية) (٥) أيضاً وفي نهايته بدأ الانتقال للإدارة الخيرية ومدرسة الهداية بجنوب المحرق من موقعها بمدرسة علي بن ابراهيم الزياني إلى موقعها الجديد بشمال المحرق. وفي هذا

العام تزايد نشاط الحركة الوطنية في مناهضة أعمال الحماية البريطانية بإدارة العسكري ميجر ديلي وما تبع ذلك من تناقص في ميزانية المشروع.. في الوقت الذي بدأ فيه توافد المدرسين العرب الذين كان قد طلبتهم الإدارة الخيرية الآتين من العرق ومصر ولبنان عن طريق الأستاذ عبدالعزيز العتيقي (٦) ولقد ظلت الإدارة الخيرية تعمل بإدارة الأستاذ محمد صالح يوسف يعاونه في ذلك السيد حسين.. كان على الأول بصفته مدير الإدارة أن يدير أعمالها بين مدينتي المحرق والمنامة وكان عليه أن يلتقي يومياً في المحرق برئيسه المباشر الشيخ ابراهيم بن محمد الخليفة لكونه الرئيس الثاني للمشروع، وإن تعذر ذلك في بعض الأحيان بسبب كونه في مصيفه بالجابور فإن الأستاذ محمد يذهب إليه، في كثير من الأحيان.. وإلا فإنه يبعث بتقاريره ورسائله إليه يحملها فراش الإدارة محمد بن عتيق. ولقد تقرر والحالة هذه فيما بعد أن تنتقل الإدارة الخيرية صيفاً من المحرق إلى القضيبية (٧) حتى يتمكن محمد صالح من الوصول إلى الشيخ ابراهيم براً.

ومع ذلك فقد ظلت الأزمة الوظيفية للإدارة الخيرية كما هي دون حل حتى بدأت في الانفراج بعد أن وصل بعض المدرسين العرب أوائل عام ١٩٢٣ وعلى رأسهم الأستاذ عبدالعزيز العتيقي.. الذي كان له جهد متميز في مساعدة الإدارة على حل بعض الإشكالات الإدارية وإن كانت تلك الإشكالات لم يكتمل حلها إلا بعد أن وصل الأستاذ عثمان الحوراني هو وبعض رفاقه السوريين عام ١٩٢٦ وتوزعوا مدراء على مدارس المشروع الثلاث آنذاك في كل من المحرق والمنامة والحد.. وحين أصبح الأستاذ عثمان مديراً عاماً للتعليم في البحرين دخل المشروع وإدارته الخيرية في مرحلة من التطور جديدة.

إلى هنا ونتوقف عن الحديث حول ما أوحت به المادة – ١٢ – من نظام (الدحلان للتعليم الحديث في البحرين آنذاك.. تلك المادة التي شحت في الوصف الوظيفي

للكاتب الأول في الإدارة الخيرية.. بينما توسعت قليلاً في الوصف الوظيفي لكاتبها الثاني غير أن المادة - ١٣ - من ذلك النظام التي سنستقرؤها لاحقاً قد أبانت عن شيء من هيمنة الكاتب الأول على الكاتب الثاني ويدعى السيد حسين السيد يوسف كما أسلفنا.

- المادة ١٣ -

وصف وظيفي للكاتب الثاني:

تحتوي هذه المادة بوصفها الوظيفي لكاتب الإدارة الخيرية الثاني على ثلاثة بنود:

-

أ. تسجيل الوارد والصادر في دفتر خاص بها بجلاء ووضوح بما في ذلك تواريخها.. ولا يجوز الشطب أو المحو،، إنما يصحح الغلط في آخر الصفحات المعنية بالمادة المسجلة.

ب ـ تحرير رقاع الدعوات للإجتماعات، وما يتعلق بكل أعمال الإدارة الخيرية.

ج ـ تحرير كل ما يتعلق بالإدارة «بناء على طلب الكاتب الأول فقط».

تلك كانت خلاصة الوصف الوظيفي للكاتب الثاني في الإدارة الخيرية للتعليم الحديث - آنذاك - في البحرين. كما حدده واضع النظام الأستاذ صدقة الدحلان.. وهو وصف كانت طروحاته معروفة بتطبيقاتها المتعارف عليها لدى المؤسسات التجارية سواء في البحرين أو الهند أو جنوب شرق آسيا.. وهذا الوصف الوظيفي سواء كمثل الإدارة الخيرية أو غيرها لقد كان معروفاً ومشهوداً آنذاك من قبل بعض الموظفين والكتبة البحرينيين وخاصة ممن أضطرهم العمل عند تجار الهند.. وإن كانوا قلة (٨) ولا شك أن مثل هذا الوصف الوظيفي للكتبة عامة لم يكن جديداً.. تلك الجدة التي قد تلفت نظر كتبة إداريين كمثل قاسم محمد الشيراوي ومحمد صالح يوسف مارساً

العمل بمثل تطبيقاته عدة سنين وعانياه إدارياً في وطنهما البحرين قبل أن يباشرا مثله في الإدارة الخيرية.

- المادتان ١٤ و١٥ -

وصف وظيفي للإدارة الخيرية

تحتوي المادتان - ١٤ و١٥ - على بندين لوصف وظيفي واحد يتعلق بالإدارة الخيرية نفسها.. الأول وجاءت به المادة - ١٤ - والثاني جاءت به المادة - ١٥ - وهما كالتالي:

١ - من واجب الإدارة تقديم كشف سنوياً للواردات والصادرات كل منهما بدفتر مستقل سواء لمادة عينية أو معنوية.

٢ - مدة عمل طاقم الإدارة لا يزيد على ثلاثة أعوام في نهايتها انتخابات جديدة.

انتهى نص البند الأول والثاني من المادتين ١٤ و١٥ ولأنهما يختصان بعمل الإدارة فسنستقرؤها معاً.. ولأن واضع النظام قد قدم بند بعض عمل الإدارة على البند الخاص بحجية تأسيسها.. ولأن التأسيس يجب أن يسبق ممارسة العمل في أي مؤسسة فإنه كان من الضروري تقديم المادة - ١٥ - على المادة -١٤ - من قبل واضع النظام من أجل أن تصبح الأولى هي التي تختص بحجية بقاء الإدارة المنتخبة من مجلس مشروع التعليم لثلاث سنوات فقط.

ولتصبح المادة - ١٤ - هي المعنية بتحديد وقت بدء ممارسة العمل التنفيذي في الإدارة الخيرية التي لا بد أن يكون من أهم أعمالها ممارسة الشؤون الإدارية المتعلقة بالشؤون المالية، كما أسلفنا في البند الأول. أما المادة - ١٥ - فقد أعطى فيها المشرع للإدارة الخيرية مساحة ثلاثة أعوام من أجل ممارسة عملها في مساحة زمنية معقولة،

وشرع لها أعمالاً من أهمها الإجتماعات الدورية للمديرين المقبلين لمدارس المشروع التي لا بد أن تتكاثر بتطور مشروع التعليم الحديث - آنذاك - في البحرين. لقد ركز المشرع في هذه المادة على إلزام الإدارة لؤلئك المديرين بأن يحددوا يوماً معيناً للاجتماع بما نحي المال للمشروع المتمثل في البداية بإنشاء مبنى لأول مدرسة فيه وتمويل عملية التعليم فيها.. ولقد فصل المشرع في طريقة استدعاء أولئك المانحين لذلك الاجتماع.. أي إجتماع لهم بأن يكون الإستدعاء بدعوات رسمية.. يحدد فيها يوم الإجتماع ووقته والقصد منه الذي لا يخرج غالباً عن كونه خاصاً بانتخاب أعضاء إدارة خيرية جديدة لثلاث سنوات قادمة.. إلا أن المشرع ترك بقية تفصيل ذلك إلى المواد - ١٦ - ١٧ - ١٨ - من النظام (القانون) وهي مواد غطت عملية ممارسة انتخاب الإدارة، ووضعت ضوابطها وسلوكياتها.

المواد - ١٦ - ١٧ - ١٨ - في مانحي الإعانات للمشروع

تفصح مواد القانون الثلاث هذه عن عناصر ثلاثة مهمة يقع عليها إتمام عملية إنتخاب أي مجلس جديد للإدارة الخيرية من قبل مانحي الإعانات للمشروع وهي كالتالي: -

العنصر الأول: هو ما نحو الإعانات..

الثاني: هم المديرون السابقون للمشروع.. الذين هم أعضاء الإدارة الخيرية والذين سيصبحون أو بعضهم خارج مجلسها الجديد إذا لم يتجدد انتخابهم لثلاث سنوات أُخر.

فالبنسبة لمانحي المال للمشروع المتمثل في نواته مدرسة الهداية أولاً.. ثم ما جاء بعدها من مدارسه فقد أعطى مشرع نظام التعليم الحديث في البحرين لأستاذ (الدحلان) مانحي المال للمشروع الذين حدد لهم المشرع دفع ستين روبية فما فوق كل

عام وباستمرار - الحق أولاً في حضور الإجتماع السنوي للمانحين.. وكذلك حضور الإجتماع كل ثلاثة سنوات لإنتخاب مجلس جديد للإدارة الخيرية. وكذلك أعطى المانح الحق في إلزام الإدارة بدعوته للإجتماعات العمومية.. ليصبح هو ومن على شاكلته من المانحين كأعضاء في جمعية عمومية.. طيلة استمراره في دفع إعانته للمشروع. ولقد استمر هذا الوضع بين مد وجزر في دفع المال من قبل المانحين الخيرين حتى بدأ الشح يتسلل إلى أكثرهم نتيجة الأزمة الإقتصادية العالمية، وظهور اللؤلؤ الياباني الذي كاد يقضي تماماً على تجارة اللؤلؤ الطبيعي التي كانت عماد الإقتصاد في الخليج العربي وكل البلاد الأخرى التي تعتمد على هذه التجارة.. وقد تميزت البحرين بإصابتها الفادحة من جراء هذه الأزمة بسبب أنها كانت مركزاً أساسياً لهذه التجارة لكونها تتعامل على أساسها مع أوروبا وأمريكا.

وهنا لا بد من التذكير بما استقرأناه سابقاً حول ما جاء في الفقرة - ١٥ - من محضر الجلسة السادسة - جلسة الإعانة الثانية لمشروع التعليم الحديث في البحرين آنذاك باضطرار المجلس إلى أن يستأذن حكومة البحرين في فرض ضريبة قدرها روبية واحدة على كل غيص أو سبب يقتطعها منهم نواخذتهم سنوياً.. ويدفعونها بدورهم إلى الإدارة الخيرية لمشروع التعليم.. ولكن ذلك لم يتم.. لممانعة الحكومة له.. مما جعلها تخصص له إعانة من خلال ميزانيتها لعامي ١٩٢٧ - ١٩٢٨ بمبلغ يقدر بستة وثلاثين ألف روبية لم يحتج مجلس المشروع منها إلا لأثني عشر ألفاً - ١٢٠٠٠ - ورصدت الحكومة الباقي لصالح المشاريع المستقبلية (١٠).

وحين أطل عام - ١٩٢٨ - كان قد بلغ عدد مدارس المشروع - ٥ - أربع منها للذكور وواحدة للإناث كما يرينا الجدول أدناه:-

مدارس المشروع لغاية ١٩٢٨

العدد	المدرسة	المدينة	التأسيس	النوع	عدد الطلاب	المجموع الكلي
١	الهداية الخليفية	المحرق	١٩١٩	ذكور	١٨٠	
٢	الهداية الخليفية	المنامة	١٩٢١	ذكور	١٢٠	
٣	الحد الابتدائية	الحد	١٩٢٦	ذكور	٢٥	
٤	الرفاع الشرقي	الرفاع	١٩٢٦	ذكور	٤٠	٤٩٥ ٦٠
٥	خديجة الكبرى	المحرق	١٩٢٨	إناث	٦٠	٥٥٥

ثم تأتي تقارير مستشار حكومة البحرين من ١٩٢٦ - ١٩٢٩ -

ولا يشمل هذا الجدول مدرستي (المباركة العلوية) بمنطقة الخميس، ولا الجعفرية بالمنامة.. فقد كان لكل واحدة مجلس إدارة خاص بها وتتلقيان دعماً مالياً من حكومة البحرين. كذلك فإنه كان هناك آنذاك ثلاث مدارس إحداهما للجالية الإيرانية بالمنامة.. وتدعى (الإتحاد) والأخريتان خاصتان بالإرسالية الأمريكية في البحرين.. واحدة للذكور وأخرى للإناث.

وبحلول عام - ١٩٢٩ - أصبح إجمالي المدارس الحديثة في البحرين - ١٠ - منها - ٣ - للإناث والباقي للذكور، وبذلك يصبح عدد الأكبر منها خاصاً بجهة واحدة.. هي الإدارة الخيرية لمشروع التعليم النظامي الحديث، الذي أصبحت مدارسه بعد - ١٠ - سنوات من نشأته تضم ٥٥٥ طالباً وطالبة (١١).

إلى هنا وينتهي بنا المطاف حول الحديث عن المادة -١٦- من نظام التعليم الذي

وضعه المستشار الدحلان لنصل إلى المادة - ١٧ - منه التي تأتي بتوصيف اجتماعات المانحين الداعمين لمشروع التعليم بالمال مع مديري مدارس المشروع مستقبلاً. مما يعني تنبؤ مشرع النظام بتطور مشروع التعليم الحديث في البحرين - آنذاك بحيث سيكون له العديد من المدارس بها مديرون كثيرون.. هؤلاء المديرون يجب أن يذكروا المانحين الذين سيجتمعون مجدداً كل ثلاث سنوات لإنتخاب من يصلح - مجدداً أيضاً - ليكون عضواً في الإدارة الخيرية .. أن لهؤلاء المانحين الحق لإنتقاء من سيكون عضواً جديداً في تلك الإدارة.. ولا مانع أن يعيدوا انتخاب بعض من كان يشغل عملاً فيها بصفته منتخباً.. شرط أن لا يتعدى عدد المنتخبين لمجلس الإدارة الجدد ضعف عدد المديرين السابقين.

ذلك ما كان يرمي مشرع النظام من تطبيق هذه العملية بخلق مناخ شورياً. فهناك جمعية عمومية وإدارية تنفيذية.لمانحي المال للمشروع تتغير كل ثلاثة أعوام.. وهناك إدارة مباشرة له لتسيير أعماله منتخبة من قبل الجمعية العمومية لثلاث سنوات أيضاً.. هذا ما قصد إليه مشرع نظام التعليم، ولكن ذلك لم يتم على الشكل المطلوب.. لأسباب سوف نذكرها في ختام استقراء مواد ما شرّعه الأستاذ الدحلان من نظام التعليم الذي وضعه.

وفي المـــادة -١٨ - يضع مشرع النظام بعض شروط جزائية ليست كلها عملية على كل من انتخب عضواً في الإدارة الخيرية لمشروع نظام التعليم، وذلك بأن يلتزم بالقيام بالأعمال التي يقوم بها وخاصة في حضوره للعمل أن لا يتأخر في دوامه.. ولم يذكر مشرع النظام شيئاً عن نظام دوام العمل في الإدارة الخيرية.. ولكنه أعطى نفسه حق وضع شروط غير عملية لها بجزاءات غير معقولة.. يقول مخصصاً ذلك بالمادة - ١٨ -١ - (كل من وقع عليه الإختيار عليه للقيام بخدمة الإدارة يلزمه القيام بها فإن تأخر لغير عذر قرر الباقون هجره فلا تجاب دعوته، ولا يزار في داره حتى يرجع ويتمثل

للإدارة) ولم يربط المشرع تنفيذ ذلك بشكر الممتثل للإدارة باعتبار أن الأمر كله عمل خيري تطوعي، هو قربة إلى الله سبحانه وتعالى، لكن المشرع لم يشر إلى أن ذلك العمل هو تطوعي خيري يُثاب عليه فاعله ويستحق الشكر. فقد أملى شروطه الجزائية على الإداري المنتخب. ولم يأت بشيء مقنع عن المسببات التي تعود بالضرر على المشروع بما يوازي وضعه لمثل هذه الجزاءات على المنتخب مثل: (فلا تجاب دعوته.. ولا يزار) مثل هذين الجزائين يعدان انذاك من الأمور الخطيرة، وخاصة عند ذوي البيوتات المعروفة، والأسر الكبيرة.. وربما كان واضع النظام - وهو العالم المستشار - يصدر في وضع الجزاءات عن ذهنية متأقلمة في مناخ حجازي عثماني.. وشرق آسيوي والأخير نتيجة تكرار رحلاته إليه.. فلربما خلق فيه ذلك صلابة وحرصاً على النظام الإداري.

المادة - ١٩ -

هذه المادة في الأصل هي المادة الأخيرة في النظام قبل أن تضاف إليه مادة أخري هي العشرون في تعداد مواده.. وهي مادة أضافها الدحلان.

إليه ليفتح الطريق لمن يحاول إضافة مواد أخرى إلى نظامه أو يغير من بعضها.. فعل ذلك في نظرة استشرافية حدست بإمكان إدخال تطوير علي نظامه ليواكب توسعة وتطوير مشروع التعليم الحديث في البحرين في المستقبل.

أما المادة - ١٩ - هذه التي نحن بصدد الحديث عنها فسياقها واضح.. إذ تقول: (إذا دعت الحاجة إلى تبديل شيء من هذا النظام أو تغييره، أو الزيادة فيه، فيلزم أن يكون بحضور جميع أعضاء الإدارة، وحصول أكثرية الآراء..).. فلم يستثن الدحلان أي مادة، وبالتالي في مواد النظام.. ربما كله.. لكنه ربط كل ذلك بموافقة آراء جميع أعضاء الإدارة أو أكثريتهم. ولقد حدث ما توقعه الدحلان إذ تقدم الشيخ

حافظ وهبه أول مدير - آنذاك - لمدرسة الهداية (النواة) مشروع التعليم إذ اقترح تعديلاً في بعض مواد نظام التعليم - كما أسلفنا في تشريح المادة - ٩ - بالإستشاد إلى فقرة محضر الجلسة آلـ - ٥٠ - من جلسات مجلس المشروع.. ولكن هيئته الإدارة الخيرية أوصت حافظ وهبه أن يقدم تعديله المزمع في نظام الدحلان لتنظر فيه في اجتماع آخر عبر إحدى جلساتها المقبلة غير أننا لم نعثر على شيء من ذلك في جميع ما بين أيدينا من محاضر جلسا المشروع التي تلت تلك الجلسة والتي نادى فيها حافظ وهبه بتعديل ذلك النظام.

لقد تم ذلك من اقتراح حافظ وتأجيل البت فيه والدحلان - مُشَّرع النظام - كان غائباً عن البحرين.. فقد تركها ولم يعد ثانية (١٢) ولكن نظامه الذي وضعه للمشروع ظل سارياً حتى أواخر عشرينات القرن العشرين ولم تتغير حذافيره كما أفادني به أستاذي الشيخ محمد صالح يوسف حين سألته - رحمه الله عن ذلك النظام.. إذ أجابني: (إن نظام الأستاذ دحلان هو قد عمله قانوناً للتعليم في مدارس الإدارة الخيرية في البحرين.. وقد ظل مطبقاً في مدارس الحكومة حتى ضمت الحكومة مدارس الإدارة إليها في حدود عام - ١٩٢٩ -).

وبسؤال الشيخ محمد صالح عما حل بذلك النظام وحتى استبدل أجاب: (حتى خروجي من إدارة الإدارة الخيرية واشتغالي ومعاوناً لبلدية المحرق في الثلاثينيات.. ثم عودتي إلى التدريس في الهداية الخليفية أوائل الأربعينيات لم أسمع بإلغاء نظام الدحلان واستبداله بآخر.. إلا أنني أطلعت أثناء عملي في الهداية بالمحرق على كراسة أصدرتها وزارة المعارف لتنظيم عمل المدرسين في مدارسهم، لا أعرف مصدر الكراسة ربما على الأكثر أنها مطبوعة من لبنان). انتهى كلام الأستاذ محمد صالح في هذا الجانب إلا أنه من حسن الحظ أن أعثر في مذخراتي من أوراق مشروع التعليم الحديث في البحرين على نسخة من ذلك النظام الذي أسماه الأستاذ محمد صالح بالكراسة..

فكان أن عزز كلام الأستاذ لي عنه.. فقد جاء ذلك النظام - القانون - في كراسة صغيرة تحت عنوان: (وزارة المعارف العمومية النظام الداخلي لرجال التعليم في البحرين) دون ذكر تاريخ إصدارها أو مكان طبعها.. سوى إشارة على أنها مطبوعة بمطبعة وزنكفراف طبارة مما يظهر أنه ربما صدرت من لبنان.. وليس فيه إشارة تؤكد نسبته إلى البحرين، سوى ما ظهر على غلافه الأيمن من عنوان كما أسلفنا ولأنه من الممكن أن تنتفي نسبته إلى معارف البحرين إذا ما فقدت تلك الكراسة غلافها الأيمن.. لتصبح مجرد لائحة نظام مدرسي لا تنتمي إلى أي مكان أو زمان.. ربما سوى لبنان (١٣).

أما كراسة النظام هذه فتحتوي علي تسع صفحات من القطع المتوسط بها - ٥٦ - مادة تتوزع بين فصلين.. الأول تحت عنوان (واجبات المدير أو المعلم الأول) تشغل - ٧ - صفحات من الكراسة، والاثنتان الباقيتان تحت عنوان نظام لوائحي يمكن تطبيقه آنذاك في أي مكان به مدارس ومدراء ومعلمون.. ولسنا هنا معنيين باستقراءه سوى القول ربما يكون ثاني نظام تعليمي يصدر في البحرين لتنظيم التدريس فيها.

المادة - ٢٠ -

الملحقة

بالنسبة لهذه المادة كان يمكن أن توضع بين مواد النظام المتعلقة بالتوصيات الخاصة بالإدارة الخيرية.. أما مكانها فيمكن أن يكون في مقدمة النظام أو مؤخرته في مساحة تقع بين المادة -٢ - والمادة -١٨ - وما كان لواضع النظام أن يجعلها ملحقاً لولا أنه نسي أن يضعها كضابط أساسي للتحرز من تسرب.. أو نقل ما يجري في اجتماعات الإدارة الخيرية.. ولوكان ذلك على سبيل التقييم.. أو الإخبار. ولكنه أتاح للإدارة نقض ذلك الحذر أو التحرز إذا قررت هي الترخيص لبعض أعضائها.. كذلك فإن واضع النظام أوصى في هذه المادة أن يمنع منعاً باتاً الدخول إلى مقر الإدارة من

قبل أي فرد إذا كان ذلك أثناء انعقاد اجتماعاتها إلا بإذن.. واقترح لأجل ذلك أن توضع لافتة على بابها تقول: (الدخول ممنوع إلا برخصة).

هذا ما جاءت به المادة العشرون من نظام المستشار الدحلان.. ومعلوم أن وضع مثل هذا النظام التصوري لمنهج تأسيسي للسير بالعملية التعليمية - البكر آنذاك - كتجربة عبر مدرسة نواة هي الهداية.. أو مدارس سينشؤها مشروع التعليم الحديث في البحرين في المستقبل.. لا بد وأن تعتري هذا النظام نواقص يفرزها تطور مسيرة العملية التعليمية تلك.. هذه النواقص يمكن تداركها وتصويبها بالحذف أو بالإضافة وقد لا يمكن ذلك إلا بإخضاع ذلك النظام لتجارب في المواقع التعليمية التي وضعت من أجل تسيير العمل بها وهذا أمر لم يكن من حظ نظام الدحلان أن يناله في حضور واضعه الذي غادر البحرين بسرعة بعد ذلك إلى بمبي ثم جنوب شرق آسيا قبل أن يكون مطبقاً حتى في مدرسة الهداية - نواة المشروع - لذلك لم يتمكن من اكتشاف نواقص نظامه.. مثل تلك التي اكتشفها فيه الشيخ حافظ وهبه.. كما أسلفنا في استقراء المادة التاسعة منه. وهذا ما لا يؤخذ على الأستاذ الدحلان.. فإن وضعه نظام تعليميً متقناً يتصف بالدقة حسب مناخ الثقافة والتعليم مفتتح القرن العشرين وخاصة في البلاد العربية كلها وجنوب شرق آسيا لهو عمل مبهر وملفت للنظر.

أما في الخليج العربي والجزيرة العربية فلم يكن لمثله سابق.. وربما لاحق في وقته حتى أواخر ثلاثينيات قرن العشرين، رغم ظهور بواكر مدارس التعليم في كل من الكويت والزبير ودبي.. ومنها مدارس الفلاح التي نشرها في الخليج والحجاز والهند الشيخ محمدعلي زينل.. تلك التي كانت منظمة غاية التنظيم. ومع ذلك كانت تفتقر إلى مثل نظام الدحلان.

وهكذا فإنه في الوقت الذي كان معروفاً أو مألوفاً أن ليس هناك - آنذاك - من ينافس الأستاذ الشيخ الثري زينل في تأسيس المدارس ومعاهد التعليم شبه الحديثة يطلع علينا من ينافسه في شخص الدحلان غير الثري في نشر مدارس التعليم شبه

الحديث آنذاك في كل من جنوب آسيا وشرق أفريقيا.. ويبتكر لها أنظمة وقوانين تعليمية منهجية تسير عليها لتأدية رسالتها.. كما فعل الدحلان لمشروع التعليم الحديث في البحرين ممثلاً في نواته مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق.. وكذلك مع مدرسة آل جنيد في سنغفورة وتعدي ذلك حيث أصلح وهذب كل مناهج المدارس الإسلامية في تلك الدولة .

* * *

خاتمة

هذا هو نظام المستشار الدحلان.. قدمناه عبر عملية استقرائية.. لا ندعي لها الكمال إنما نضيف هنا أنه قد تعامل مع هذا النظام أساتذة أفاضل من عدد من الأقطار العربية.(١٤) أداروا العملية التعليمية الحديثة في البحرين من ١٩٢٠ حتى ١٩٣٠ ولم يأتوا بمثله أو أفضل منه.. وإن قيل أن الدحلان لم يلحق نظامه بلائحة تختص بمنهج مدرسي معين.. يعين المدرسين في البحرين آنذاك على تنفيذ العملية التدريسية اليومية.. نقول إن مواد نظام الدحلان كانت كالأسس العامة لتسيير العملية التعليمية وهي غير المنهج المدرسي اليومي.. وخير فعل فقد ترك ذلك لمديري مدارس المشروع الذين أعطاهم حق تطبيق نظامه. وترك لهم حرية التصرف حتى خارج نطاق مهمتهم.. وهي وضع المناهج وتطبيقها.. ومثل دعوتهم لمانحي الإعانات لكل مدارس المشروع ممثلاً في الإعانات التي قدمت للهداية الخليفية كنواة له. وكذلك الإجتماع بأولئك المانحين من قبل أولئك المديرين المقبلين مستقبلاً للإدارة:-

(.. وفي آخر السنة الثالثة يلزم أن يقرر المديرون يوماً لإجتماع المتبرعين بالمال للمدرسة سنوياً ويكتبوا بكل واحد منهم تحريراً خاصاً يعين فيه يوم الاجتماع وساعته، ويوضح فيه المقصد من الاجتماع). هذا في المادة - ١٥ - في الجلسة العامة أن يقولوا لهم أن المدة المحدودة للإدارة الخيرية قد تمت، واجتماعنا اليوم للمذاكرة..).

لقد كلف في نظامه هذا مديري مدارس المشروع المقبلين والمتوقع تعيينهم بمهمات كثيرة ، منها ما استشهد نابه من مواد النظام في ذلك التكليف. ولقد ترك لأولئك المديرين حرية التصرف في وضع المناهج التدريسية وتنفيذها. كل ذلك تقديراً من الدحلان لدورهم مع أنه لم يتمكن من العمل معهم.. ولم ير أكثرهم.. سوى الأستاذ حافظ وهبه، ومديري الإدارة الخيرية، وهما جاسم الشيراوي ومحمد صالح يوسف. ولو كان قد تسنى للدحلان العمل مع المديرين - مدراء مدارس المشروع - الذين تعاقبوا عل إدارتها بعد سفره أمثال الشيخ عبدالعزيز العتيقي، والشيخ محمد بن صولان اليماني والأستاذ عثمان الحوراني.. لأعاد النظر في نظامه على ضوء تجارب أولئك المديرين في بلدانهم والبلدان التي مارسوا فيها التعليم قبل أن يأتوا إلى البحرين.. فهم وحدهم وضعوا مناهج مدارسهم التعليمية التي لا تخرج آنذاك عن

الحصص التالية:

١ ـ القرآن الكريم/ تلاوة واستظهاراً وتجويداً.
٢ ـ الفقه/ دراسة وتخريج
٣ ـ اللغة/ العربية والنحو ابتداء.. ثم الإنجليزية ثانياً.
٤ ـ الحساب
٥ ـ الشعر والأدب
٦ ـ الجغرافيا والتاريخ والأشغال.
٧ ـ الرياضة والنشاط الكشفي(١٥).

وهنا وقد تعرفنا على قانون الدحلان الذي أسماه نظام التعليم.. وذلك من خلال استقرائنا له.. فإن من حقنا أن نتعرف عليه هو شخصياً عبر التعريف به وبحركته العلمية والتعليمية والسياسية في موجز لهما نراه كافيا لإعطاء فكرة عنه.. وإلا فإن الدحلان علم من أعلام التعلم والتعليم والسياسة في الحجاز واليمن، وجنوب شرق اسيا وكانت له مواقف سياسية مع الشريف حسين بن علي شريف مكة المكرمة.. فإلى سطور مهمة من حياته وحركته.. فقد ولد السيد عبدالله بن صدقة بن زيني بن دحلان القرشي الهاشمي بمكة عام ١٢٩١ وتوفى عام - ١٣٦٠هـ.

- نال شهادة التدريس بالحرم المكي.
- مارس الإمامة والتدريس بحلقة باب السلام بالحرم.
- عين من قبل الوالي العثماني - عثمان باشا نوري - مفتشاً عاماً على الدوائر الحكومية.
- كان على خلاف مع الشريف حسين أمير مكة آنذاك، وبسبب ذلك آثر السيد الدحلان الخروج من الحجاز إلى زنجبار وعدن، ثم لحج.. ثم إلى جنوب شرق آسيا فالقاهرة ثم العودة إلى جنوب شرق اسيا..
- بعد أن أعلن الدستور العثماني عاد إلى مكة وأسس بها فرعاً لجمعية الإتحاد والترقي.. وبنى بها داراً له بين دور الأتراك بمنطقة أجياد.. غير أن دعوة الإتحاديين إلى التفرقة العنصرية بين العرب والأتراك غيرت إتجاهه نحو الإتحاديين فلم يعد يناصرهم، بعدها غادر مكة واتجه مرة أخرى إلى جنوب شرق آسيا فسعى فيها لتأسيس جمعيات خيرية ومدارس لا يزال بعضها قائماً.
- في عام ١٣٣٠هـ عاد إلى مكة فأبعده الشريف حسين إلى قرية بدوية تدعى كلاح بشرق الطائف.. ثم استدعاه منها وطلب منه مغادرة الحجاز فارتحل إلى مصر

فالشام فكولمبو (سيرالانكا) فأسس بالأخيرة مدرسة إسلامية.. ثم غادر كولمبو إلى بومبي فالملايو، داعياً إلى الله ومؤسساً لمدارس إسلامية.

- في عام - ١٣٣٦هـ عاد إلى بومبي، ومنها إلى بغداد فالبحرين ليصبح مستشاراً لمشروع التعليم الحديث فيها فأقام بها بضعة أشهر تكللت جهوده بوضعه قانوناً للتعليم بها.
- غادر البحرين إلى بومبي منتصف عام ١٩٢٠ ثم إلى سنغافوره فساهم فيها بتأسيس مدرسة آل جنيد المعروفة، كما سعى في تعمير عدة مساجد.
- له مراسلات عدة مع مؤسسي مشروع التعليم الحديث في البحرين مثل رئيس المشروع الشيخ عبدالله الخليفة ونائبه الشيخ ابراهيم الخليفة، ونائبه الثاني عبدالوهاب الزياني.
- في نهاية عام ١٩٢٨م غادر سنغافورة إلى الحبشة ومنها إلى صنعاء حيث التقى بالإمام يحيى حميد الدين فأكرمه وكان منه موضع الاجلال والاكرام. ثم عاد من اليمن في نفس العام.. وفيها قابل الملك عبدالعزيز آل سعود، فرحب به وأكرمه.
- غادر الحجاز عام ١٩٢٩م إلى مصر.. ثم جنوب شرق آسيا مشتغلاً بالتعليم والتأليف حيث كان منزله بسنغافورة مضافة كبيرة لمن يعرفه ومن لا يعرفه.
- مؤلفات السيد الدحلان متعددة الجوانب، وأكثرها في التعليم ومناهجه والتوجيه والإرشاد من أهمها: -

١. ارشاد ذي الأحكام إلى راحة القضاة والحكام.
٢ ـ زبدة السيرة النبوية، في ثلاثة أجزاء.
٣. تحفة الطالب في قواعد الأعراب.
٤ ـ خلاصة الترياق.. في سموم الشقاق.
٥ ـ مفتاح القراءة ودليله.
٦ ـ ارشاد القائل لما في الطريقة التيجانية من الباطل.
٧ ـ فتوى في أبطال طريقة وحدة الوجود.

ولقد ضاع كثير من مؤلفات الرجل بسبب الغزو الياباني لجنوب شرق آسيا حيث التهمت النيران أكثرها.

هوامش نظام التعليم للدحلان

(١) الخاطر/ مبارك/ في مؤلفه القاضي الرئيس قاسم بن مهزع، ص ١٥٢- و١٥٣ - /ط/٢ - مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٦.

(٢) سبق أن لمحنا في حديثا عن محضر الجلسة الأولى من المضبطة عن ضياع غالب أوراق مشروع التعليم الحديث في البحرين بسبب الهدم العشوائي الذي منيت به دار رئيس المشروع الشيخ عبدالله بن عيسى الخليفة في السبعينات من القرن العشرين.

(٣) هو الشيخ إبراهيم بن محمد خليفة آل خليفة الرئيس الثاني للمشروع وإدارته الخيرية.

(٤) هو السيد حسين السيد يوسف من معية الشيخ عبدالله وهو تاجر لؤلؤ وكان يعمل بين البحرين وقطر والهند، وقد توفى في بوته بالهند.

(٥) الشيخ محمد علي التاجر.. في مخطوطه (عقد اللآل.. في تاريخ أوال) حيث قال: (في عام ١٣٣٨هـ أستنهض بعض الغيورين الهمم فبُثّتَ الدعاية لجمع إعانة من عمومٍ الأهالي وشيدت أول مدرسة عصرية في شمالي المحرق.. وبعدها بمدة فُتحت مدرسة ثانية في المنامة).. ويقول الشيخ عبدالعزيز العتيقي في جزء من مخطوطة مذكراته بعنوان العمل في مدارس البحرين.. ما يلي: (.. كان الشيخ حافظ وهبه مديراً لأول مدرسة فتحت في البحرين وهي في بلدة المحرق.. وفتحت مدرسة أخرى في المنامة في زمنه..) انتهى من ذلك يتبين أن مدرسة الهداية الخليفية في المنامة كانت قد تأسست بعد عام من ظهور الهداية بالمحرق.. كان مقر هداية المنامة في منزل جمعة بن ناصر الذي كان قد أخلته مدرسة الإرسالية الأمريكية ثم مدرسة العجم التي أخلته أيضاً فحلت فيه.. من بعدهما إلا أنها أخلته أيضاً واندمجت مع المدرسة الجعفرية لتصبح المدرستان مدرسة واحدة تحت اسم (الخليفية الغربية).. ثم دُعيت فيما بعد بمدرسة أبو بكر الصديق الإبتدائية ولا تزال.. أما أول مقر

لها وهو منزل جمعه بن ناصر فأصبح عام ١٩٣٠ مقراً لمدرسة عائشة أم المؤمنين الإبتدائية للبنات بالمنامة.

(٦) الأستاذ الشيخ عبدالعزيز بن محمد العتيقي.. نجدي الأصل فقد ولد في المجمعة حاضرة منطقة سدير بنجد، وأخذ علومه الأولى عن جده إبراهيم.. كان الشيخ عبدالعزيز ذكياً لماحاً.. قصد البصرة وهو شاب فالتقى هناك بالسيد محمد رشيد رضا فشجعه على الدراسة في دار الدعوة والارشاد، فقضى فيها عامين من ١٩١٢م إلى ١٩١٤م عاد بعدها قاصداً الرياض محملاً برسالة تأييد إلى الملك عبدالعزيز آل سعود.. وكانت البصرة في طريقه هو والشيخ محب الدين الخطيب الذي كان يحمل رسالة أيضاً من الشيخ الرشيد إلى السيد طالب النقيب.. فدخلا البصرة.. وهنا وضعا تحت الإقامة الجبرية. ثم أفرج عنهما. فتنقل الشيخ العتيقي بين الإحساء والكويت التي نقل عائلته إليها.

❖ في شعبان ١٣٣٤هـ الموافق يونيو ١٩١٦م جاء إلى البحرين وحل ضيفاً على الحاج علي بن ابراهيم الزياني بالمحرق. ولما كان هذا الأخير يزمع إنشاء مدرسة حديثه فيها استعان بالشيخ العتيقي في إدارتها والتدريس بها.. وكان يغادرها لفترات يزور فيها أهله في الكويت والمجمعة.. وبقي حتى تبرع بها صاحبها لتكون المقر المبدئي الأول لمدرسة الهداية الخليفية نواة مشروع التعليم الحديث في البحرين.. وحين جاء الشيخ حافظ وهبه مدير لها عام ١٩٢٠م تحول الشيخ العتيقي إلى مدرس بها ثم لما طرد الشيخ وهبه من البحرين عام ١٩٢١ حل الشيخ العتيقي مكانه مديراً بها حيث انتقل معها إلى مبناها الجديد بشمالي المحرق كان ذلك أوائل عام ١٩٢٣ وقد بقي بها بعد الانتقال عاماً واحداً.. ثم غادر البحرين إلى سنغافورا نهاية عام ١٩٢٤.

(٧) يقول الشيخ عبدالعزيز العتيقي في مذكراته المخطوطه بيده عن التعليم في البحرين: (إن مركز الإدارة الخيرية في المحرق كان ينتقل في الصيف إلى المنامة في محل القضيبية تفادياً لشدة الحر). من المعلوم أن منطقة القضيبية كانت مصيفاً لأهل المحرق حتى سبعينات القرن العشرين.

(٨) مثل الأساتذة الشعراء: خالد محمد الفرج الدوسري، وقاسم محمد

الشيراوي ومحمد صالح يوسف خنجي حيث كانو يعملون قبل الحرب العالمية الأول وخلالها في بومبي بالهند لدى بعض التجار العرب هناك مثل محمد السديراوي وغيره.

(٩) كان معروفاً ومشهوراً في كتب وبحوث أصدرناها أنه كان لتجار اللؤلؤ والأصداف في البحرين والخليج العربي وكلاء لتصريف لؤلؤهم وأصدافهم في كل من باريس وبلجيكا وهولندا، وقد شهدا المؤلف في البحرين بعضاً من ذلك النشاط والحديث فيه يطول.

(١٠) أنظر تقارير مستر تشارلي بلكريف/ مستشار حكومة البحرين من عام ١٩٢٦ إلى ١٩٥٧ عن التعليم في البحرين.

(١١) المصدر نفسه قبله..

(١٢) لقد غادر المستشار عبدالله صدقة دحلان البحرين قبل أن تبدأ عملية التدريس الحديث في مدرسة الهداية الخليفية بمبناها المؤقت.. مبنى مدرسة علي بن ابراهيم الزياني بجنوب المحرق. لقد غادر الدحلان إلى بومبي ثم سنغافوره لكن رسائله إلى أصدقائه في البحرين وعلى رأسهم الشيخ الشاعر ابراهيم بن محمد الخليفة ظلت تترى حتى عام ١٩٣٦.

(١٣) آل طبارة عائلة كبيرة ووجيهة في لبنان.. ومطبعة وتلغراف طبارة/ مؤسسة للطباعة والنشر قديمة في بيروت.

(١٤) مثل الأساتذة المشايخ حافظ وهبه من مصر وعبدالعزيز العتيقي من الكويت، ومحمد بن عبدالله بن صولان من اليمن وعثمان الحوراني وعمر يحيى، ومحمد الفراتي من الشام.

(١٥) تأسست فرق الكشافة في البحرين ابتداء من أواخر عام - ١٩٢٧ - على يد الأستاذ عثمان الحوراني.

(❖) التجوري/ الصندوق الحديدي الذي يحفظ فيه المال.

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

أدبية المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين

احتفالية وضع حجر الأساس لنواة المشروع

المضبطة / تحقيق واستقراء / مبارك الخاطر / البحرين 2000

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

محتوى الاحتفالية

1 ـ تمهيد
2 ـ تقدمة
3 ـ نصوص تقرير الاحتفالية
4 ـ خطاب الرئيس
5 ـ خطاب/ حافظ وهبة/ مدير المدرسة
6 ـ خطاب عبدالوهاب الزياني
7 ـ خطاب/ محمد صالح يوسف خنجي
8 ـ خير المأثر/ قصيدة لمحمد صالح
9 ـ حول نصوص التقرير
10 ـ خطاب/ الرئيس
11 ـ خطاب/ حافظ وهبة
12 ـ خطاب/ محمد صالح يوسف
13 ـ خطاب/ عبدالوهاب الزياني
14 ـ الشهادة الشفهية لواضع التقرير.. تقدمة ونص
15 ـ حول الشهادة

تمهيد

يمكن القول أن البحرين كانت قد تعرفت على الإحتفاليات الحديثة الخاصة بالمشاريع التنموية في العصر الحديث بدئاً من يوم ـ ٢٠ ـ يوليه عام ١٨٨٤ ـ حين أقيم احتفال من أجل افتتاح مكتب البريد الأول في البحرين.. وكان مقره المنامه. المكتب الذي أصبح الأول من نوعه بالمنطقة العربية من الخليج حيث استفاد الجميع منه منذ افتتاحه.

ومنذ ذلك الحين بدأ الناس في البحرين التعرف على مثل هذه الفعاليات.. بما أعقبها من احتفاليات محدودة، مثل حفل افتتاح نادي إقبال أوال الليلي (١) وكذلك الحفل الصغير الذي أقامه أصحاب مطبعة البحرين الحجرية، وكلا الحفلين كانا عام ١٩١٣ (٢).

بعد ذلك تتابعت الإحتفاليات.. وكان أغلبها أدبية.. غير أن ذلك لم يكن ليضارع الإحتفاليات الأدبية التي كان قد بدأ مسلسلها باحتفالية وضع حجر الأساس لمدرسة الهداية الخليفية بالمحرق.. التي تعد نواة مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين. وما أعقبها بعد ذلك من تتابع الإحتفاليات الأدبية كالتي أقيمت بالنادي الأدبي بالمحرق ابتداءً من ـ ١٩٢٠ حتى ١٩٣٦ كاحتفالياته بزيارة أمين الريحاني للبحرين (٣) وبقدوم الزعيم عبدالعزيزالثعالبي التونسي، والمصلح محمد أمين الشنقيص المورتياني بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ (٤) وما تلى ذلك من تعاقب احتفالات المنتدى الإسلامي بالمنامة بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٦ (٥) وكذلك احتفالية إفتتاح مطبعة البحرين الآلية الحديثة عام ١٩٣٢ (٦).

لذلك فاحتفالية وضع حجر الأساس لنواة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين تعد الأولى والفريدة في وقتها من كونها أول احتفالية أدبية تعليمية كبرى على

مستوى الخليج العربي.. إذ ليس هناك شبيهاً لها البتة.. وخاصة من حيث تسجيل فعالياتها تسجيلاً وثائقياً دقيقاً يرقى الى التقرير الدقيق.. وإن كان هناك من فضل وفخر فهو معقود لأستاذنا الشيخ محمد صالح يوسف الذي وضعه عام ١٩٢٠,. ثم حاول نشره عام ١٩٢١ بمجلة الهلال المصرية.

تقدمة

هذا الملحق بالأدبية الأولى التأسسية للمشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين التي يمثل أول احتفالية عامة في مسيرة ذلك المشروع.. يعتمد أساساً على ما سجله الأستاذ الشيخ محمد صالح يوسف كتقرير عن حيثيات تلك الاحتفالية.. ويعتمد أيضاً على لقاء مطول أجريته معه من بين ما أجريته معه من لقاءآت أخرى عن بواكير التعليم وغيره في البحرين والخليج العربي..

فقد كنت من أقرب تلامذته إليه سواء في مدرسة الهداية بالمحرق أو خارجها.. ولثقته بي تلك التي استمرت عقدين من السنين حتى وفاته عام ١٩٦٧ قام بتسليمي ملف خاص باحتفالية وضع حجر الأساس لمدرسة الهداية نواة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين، ومعه ملف آخر في حجمه الصغير عن بعض رسائله وشعره.

وحين يتصفح القارئ هذا الملحق بالاحتفالية الأولى للمشروع.. سيجد أنها الأولى خلال فترة جلساته الثمان التأسيسية.. وخاصة حين بلوغه السنة الأولى من ظهوره كمشروع.. فلقد ظهر في ٣ ديسمبر ١٩١٩ وجاءت احتفاليته الأدبية التعليمية الأولى يوم ـ ١٥ـ نوفمبر ١٩٢٠ من أجل وضع حجر الأساس لمدرسة الهداية.. نواته كمشروع تعليمي كبير.. كان قد سجلت حيثياته كتقرير دقيق يعتبر نصاً موسعاً.. وان كان بمعايير متعارف عليها ذلك اليوم ولكنها تؤدي الغرض الذي من أجله وضع الشيخ محمد التقرير الذي سيجد فيه القارئ أيضاً أنه كتابة سردية لفعاليات احتفالية.. وأن ما

يميزه كونه كتابة فرد لا أكثر.. فرد كان يتمتع بخلفية واسعة في اللغة العربية وآدابها فقد عرفته عن كثب وشاركني في ذلك مئات من تلامذته.. فهو خريج الأزهر الشريف.. وقضى ردحاً من الزمن مدرساً للغة العربية والدين في مدارس البحرين من ابتدائية وثانوية.. انه كما أسلفنا استاذنا الشيخ محمد صالح يوسف كاتب أول الإدارة الخيرية للتعلم في البحرين منذ نشأتها عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٠ ـ وفيها أصبح مدرساً عادياً.

أما تقريره فيحتوي على نص الاحتفالية لذا فسنتعامل معه كما هو.. لتوفر غالب عناصر الرصد والتسجيل الدقيق والوضوح فيه وإن كان في صورة مقالة طويلة أرسلها بعد ذلك الى مجلة الهلال المصرية عام ١٩٢١ لتنشر.. ولكن ليس بين أيدينا الآن دليل على أنها نشرت.

لقد تعاملنا من قبل مع نص ديباجة التقرير وموجز عن الإحتفالية وذلك في كتابنا (الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين من ١٨٧٥ ـ ١٩٢٥) على أساس أن نص الاحتفالية ليس بتقرير.. وانما هو مقالة مشفوعة برسالة. وقد عنونها الشيخ محمد ب (الحياة الجديدة في البحرين) وذلك بعد أن وضعها كتقرير بثلاثة أشهر وقد أرسلها الى جرجي زيدان صاحب الهلال القاهرية كما أسلفنا قبل قليل.

أما نص الاحتفالية كاملاً فيتوزع الى نصوص هي خطب المسؤولين عن المشروع التعليمي الأول في البحرين بعد وضع حجر الأساس لمبنى مدرسة الهداية كنواة له.. فالاحتفالية تحتوي على ست خطب وقصيدة واحدة. فبينما يفوز من رشحوا الإلقاء تلك الخطب بواحدة لكل منهم وقد كانوا ستة ـ يفوز واضع التقرير بخطبة وقصيدة.. هي الوحيدة التي القيت في الاحتفالية وقد ناب عنه في القائها الشاب عبدالله الملا محمد.

فإلى نصوص الاحتفالية: ـ في تقرير الشيخ محمد صالح يوسف ـ

نص التقـريـر

بسم الله الرحمن الـرحيم

الحيـاة الجديدة أو النهضة العلمية العـربية

جزيرة البحرين الواقعة في الخليج العجمي مشهورة من أقدم الأزمنة بلؤلؤها الذي يضرب بجماله الأمثال فهو حلية تيجان العظماء والملوك وزينة العقود.

هذه الجزيرة المباركة الطيبة تحكمها لهذا العهد حكومة عربية وحاكمها الحالي هو جلالة الملك العادل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة جلس على عرش حكومتها أكثر من خمسين سنة وكانت قبل جلوسه كبعض الولايات العربية الخالية من التنظيمات والاصلاحات العصرية في ذلك العهد وبعد أن تبوأ جلالته أريكتها أخذت في الترقي والتقدم حتى بلغت شأناً عظيماً في التجارة والعمران والزراعة ولا سيما التجارة فقد فاقت سائر البلاد العربية في الخليج العجمي (❖) وبفضل عدالة جلالة ملكها العادل المحبوب ليتمتع جميع أهاليها وسكانها على اختلاف المذاهب والأديان بكامل الطمأنينة والرفاهية هذا الملك الجليل له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ماجعله كعبة الآمال وموئل القصاد وفي أيامه حفظه الله قام باصلاحات خطيرة أهمها تأسيس مجلس بلدي ومستشفى ومدرسة علمية وعهد برئاسة إدارة الجميع الى أحد أولاده الشاب الغيور الذكي صاحب السمو الشيخ عبدالله ونحن نزف الى القرآء الكرام خبراً عن الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس هذه المدرسة التي تُدعى (مدرسة الهداية الخليفية) أعلن حضرة صاحب السمو رئيس إدارتها المعظم أنه سيكون الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس المدرسة صباح يوم الأثنين رابع شهر ربيع الأول ١٣٣٩هـ في الساعة الثانية والنصف عربية فنصب سرداق فخيم فرشت فيه السجاجيد العجمية الثمينة ووضعت فيه المساند العربية النفيسة وقد دعا حضرته الأكابر

❖❖ يسمى الآن ولأكثر من نصف قرن بالخليج العربي -

والعظماء من العائلة المالكة والعلماء والأعيان والوجهاء الى الحضور والاشتراك في الاحتفال فما كاد الموعد يجيء حتى أقبل المدعوون وغيرهم من الأهالي وعلى وجوههم سيماء الفرح والسرور وجلسوا كل في الموضع المعدّ له وفي الساعة الثالثة وصل جلالة الملك الشيخ عيسى بن علي وفي هيئته الملوكية صاحب السمو ولي العهد الشيخ حمد ونجله الثاني الفاضل صاحب السمو الشيخ محمد فاستقبله الحضور بما يليق بجلاله من الاجلال فقابلهم حفظه الله بما عُهد به من البشر والحفاوة والترحاب وأقبل على نجله المعظم رئيس الإدارة الشيخ عبدالله وقال: سنضع الحجر الأول في أساس المدرسة أولاً وبعد ذلك نقصد السرادق للجلوس وسماع الخطب فقال له على أمركم يا مولاي فتقدم جلالة الملك الى حيث يوضع الأساس ووضع يده المباركة على الحجر الأساسي وأمر بتمكينه في الأرض وناوله البناء قليلا من الاسمنت فوضع بين الحجرين (وهذا الحجر الأثري في أساس سور المدرسة الجنوبي من الناحية الغربية على بعد ذراعين من زاوية السور) ثم قصد جلالته السرادق للجلوس وتبعه الجميع وبعد أن استراح هنيهة أديرت فناجين القهوة ثم قام حضرة رئيس الإدارة وقدم واجب الشكر لجلالة والده المعظم وشكر الحاضرين وناول خطابه لكاتبه الأول وسكرتيره الخاص حضرة الشاب النجيب الشيخ قاسم بن محمد الجيراوي ليقرأه فقام حضرته وتلا بلسان فصيح الخطاب الآتي:

خطاب الرئيس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين...

ليست الأعياد إلا أياما من السنة تحمل من أسباب السرور والفرح ما يجعل عامة

الأمم تحس بالتصافي والانشراح وهل يمكن عيد الغد من عيد اليوم اجتمع فيه الشعب من سائر طبقاته من أميره الى عامته كي يشتركوا في وضع أول حجر للعلم في هذه الجزيرة المباركة... أشعركما تشعرون بأن قلبي يطفح سرورا وآمالاً كبارا لأننا قد غرسنا أول غرس للحياة الصحيحة وسيكون سروري وسروركم مضاعفاً عندما يثمر غرسنا الثمر الشهي وهنالك يصح أن نغبط أولادنا على ما أولوا من نعمة العلم وعلى مجتمعهم الراقي الذي سيعيشون فيه ونتمنى أن لو كنا صغاراً كي نشاركهم في حياتهم السعيدة وجيلهم السعيد ولكن لا تنسوا أن أولادنا سيحبوننا من أعماق قلوبهم لأننا أورثناهم تلك النعمة العظيمة فاللهم أمدّ في أعمارنا لنرى ذلك اليوم السعيد وأمدّ في عمر والدنا المبارك ليقر عينا بما غرست يداه وأني لا يسعني إلاّ أن نشكركم جميعاً على حضوركم ومساعدتكم إيانا في أعمالنا وإن كان لا شكر على واجب نسأل الله أن يعصمنا من الزلل وأن يوفقنا جميعاً لخير الدين والوطن انه نعم المعين ثم أذن الرئيس للخطباء بالخطابة على حسب الترتيب المعين لهم فقام حضرة الاستاذ الشيخ حافظ وهبه نزيل البحرين وألقى هذه الخطبة التالية:

خطـاب حـافظ وهبه

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ذخيرة البلاد ويا ملاذ العباد وضعت اليوم أول أساس للعلم والفضيلة فهدمت حضارة حصون الجهالة وقوضت ركنا من أركان الرذيلة سيذكرك التاريخ ما بقيت أعمالك سيضم الى صحفه صحيفة بيضاء مملوءة بآرائك ومساعيك المباركة.

لقد بذرت اليوم أبرك البذور وأنفعها وستجني ثمار زرعك بعد قليل إن شاء الله ، ان عروش الملوك لا تؤيد إلا بالقلوب والمحبة الصحيحة ولا محبة أفضل من المحبة التي يحدثها العلم ويكونها العرفان.

أروني أمـــة بـــلـغـت منــاهـــا
بـغـيـر العـلـم أوحــدّ اليمــانـي

أيها الشيخ الوقور إنك ستكون نعم المثل لأمثالك من الملوك والأمراء إنك قد ذكرتنا اليوم بما كان يقوم به سلفك الصالح وأجدادك العاملون فقديما شيدوا دور الحكمة والعلم وأنشأوا المستشفيات والملاجئ فخدموا دينهم وبلادهم أفضل خدمة فأين الفقهاء الأطباء وأين المحدثون الحكماء وأين ملوك الكلام لقد درسوا ولكنهم أحياء في قلوبنا بما تركوه من الأعمال الخالدة فلعلك اليوم قد وضعت أول حجر للحياة الصحيحة المباركة.

لا يـبـلـغ الأعـــداء مـــن جـاهــل
مـــا يـبـلــغ الجـاهـل مـــن نفســه
وان مــــــن أدبـتــــــه في الصبـــا
كـــالعـود يُسقى المـاء في غـرسـه
حتى تــــراه مـورقـــاً نــــاضـراً
بعـــد الـــذي أبصـرت من يبســه

أيها النجوم الأزاهر لقد وضع والدكم هذا الأساس ليعلمكم كيف تكون قوة الإرادة وكيف يكون العزم يدفع صاحبه الى تجشم المتاعب والمشقات لا يبالي بما يلقي في طريقه مادام يقصد الخير العام فحوطوا هذا البناء بعنايتكم وأسهروا عليه بعين لا تنام فإن ذكراكم ببقائه وانتفاع الناس منه وانكم بالمحافظة عليه والقيام بمهامه ستكونون القدوة الحسنة لرعاياكم والمثال الأعلى لأبنائكم فكونوا عند ظننا بكم ويقيننا فيكم فأنكم نعم الأشبال من ذاك الأسد.

أيها العلماء المرشدون، لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فهو أول معلم لهذه الأمة وأول منقذ لها من ظلمات الجهالة لقد كان قائدها في الحروب ومرشدها الى

طرق الخير اني أذكركم بما فعله سيد الأمة في غزوة بدر حيث كان يفتدي فقراء الأسرى من المشركين بنفر يعلمونهم القراءة من المسلمين فهل ترى درساً يلقيه على الناس خيراً من هذا الدرس وهل ترى حـرصاً لتعليم الأمة القراءة أبلغ من هذا الحرص انكم أدرى بواجباتكم نحو هذه الأمة من النصح والإرشاد فلا تأخذكم في الحق لومة لائم واعلموا ان شيخكم الجليل وأميركم الـوقور لم يضع هذا الحجـر علـى الأرض بل وضعه علـى عوائقكم لأنه لا يقـوى على حمـل هـذا العبء سواكم فمن حـاول أن يتنحّى عن هذا الحمل الـواجب فعليه تبعة عملـه انكم قبلة الآمـال ونعم الأنصار ظننا بكم أنكم أعوان للحق أعداء للباطل وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ان ثقتي بكم لا تتزعزع فاللهم حقق فيكم الرجاء.

أيها العلماء أنتم مصابيح الهداية ومنار السالكين وقدوة العاملين يسروا ولا تعسروا أحيوا ما اندرس من آثار السلف وأحيوا موات القلوب بالإرشاد وان الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً أزرعوا الخير تجدوه ألفوا بين القلوب ولا تجعلوا منافذ للمفسدين ينفثون منها سمومهم ابتغوا بأعمالكم وجه الله ونصرة دينه فإنه لا بد مؤيدكم وناصركم فإن الله لا يؤيد إلا الحق ولا يمد إلا أهل الخير والنيات النقية الطاهرة فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

أيها الأعيان ظاهروا حكامكم في عمل الخير وأمدوهم بأموالكم وأفكاركم فإن لكم من التجارب والعلم بأمور الدنيا ما لايصح اغفاله لا تظنوا ان العلماء أعداء أهل الدنيا وان دينكم يحتقر التجارة والصناعة فإن كل ذي عمل شريف محترم ولقد كان الصحابة وهم أعلم الناس بالدين يشتغلون بسائر الحرف فمنهم التاجر ومنهم القصاب ومنهم العامل الى غير ذلك من أنواع المهن لأن تكون تاجراً عالماً خير من أن تكون تاجراً جاهلاً لا تعرف ما يجب لدينك ووطنك عليك إذا كنت عالماً فإنك تستطيع أن ترتب أعمالك ولا تغامر ولا تخاطر في معاملتك بل تسلك فيها السبيل والتروي. أنه

لا يزين الفتى جماله وماله. وانما يزينه عمله الصالح، وان أبواب الخيرمفتوحة كل من يريد ولوجها.

أيها الأخوان الحاضرون، اننا لا نريد بهذه المدرسة إلا ان نحيي آثار السلف الصالح وتكون كعبة كل قاصد وطالب اننا نريد ان تكون حلقة الاتصال بين العلماء والأدباء واننا نشكر كل من يؤيدها بماله وفكره واننا نتقبل بسعة الصدر كل ما يقدم الينا النصح فالحكمة ضالتنا والخير قصدنا والفضيلة غايتنا وأحياء معالم الدين غرضنا الأسمى نريد ان نربي النشء على مبادئ الفضيلة ومكارم الأخلاق.

وانمـا الأمم الأخـلاق مـا بقيت

وان همـو ذهبت أخـلاقهـم ذهبـوا

فاللهم وفقنا الى عملنا واهدنا الى سواء الصراط، لا تجعل للهوى سبيلاً الى قلوبنا، قنا شر أنفسنا لا معين غيرك ولا ناصر سواك تعلم ما انطوت عليه جوانحنا وما أسررنا وما أعلنّا ندعوك أن تمد في عمر هذا الشيخ المبارك وتوفقه لمرضاتك وأن ترعى أولاده بعنايتك وتكلأهم برعايتك وان تجعلهم للحق معينين وللعدالة مؤيدين استغفرك من الزلل ان أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ثم نهض حضرة العلاّمة الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني عضو الإدارة وألقى الكلمات الآتية:

خطـاب الـزيـاني

نص

بسـم الـلـه الـرحمن الـرحـيم

الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واصلي واسلم على سيدنا محمد وآله والمتبعين لهداه أما بعد فإن أيام السرور في هذه الحياة قليلة وان المسرات الحقيقية والسعادة الهنية لا تكون إلا في الأعمال التي يبقى أثرها دائماً

مستمرا وليس لدينا من وسائل الأعمال ما يجلب الأفراح ويسر البال واني حيثما التفت لا أرى إلا ما يفتت الأكباد ويضاعف الحسرات من فشوّ الجهل وفتكه في الأفراد والعائلات وفساد الأخلاق وسوء المعاملات أفمع بذور الجهل راحة وسرور أم مع الشقاق والخلاف تصلح الأمور كلا لقد كان التاريخ ثبت شاهد لأسلافنا الماضية وبلادنا معشر المسلمين فإنها قديماً معهد الحضارة والعرفان ومصدراً لأنوار العلوم والبيان لقد كان منا نوابغ العلماء المشرعين والنبلاء المفسرين والمحدثين ومنا الأطباء الحذاق والمهندسون ومنا الصنّاع المهرة في جميع الفنون. لقد أينعت بلاد الإسلام الغربية واخصبت خصبا كاد يفوق اختها الشرقية أما الآن فقد أجدبت بلادنا العربية من العلم والعلماء وصرنا كالأجانب عن لغتنا الشريفة حتى كادت ان تتبرأ من نسبتنا اليها لأنا ما حفظنا عهدها ولا قدرناها قدرها ولولا ما جادت به مصر ونوابغ علمائها من الكتب والمؤلفات لقضي علينا القضاء الأخير لقد ساورتني هذه الأحزان زمنا غير يسير من حياتي ولكن أراني اليوم أشعر بهزة فرح وسرور غير عادي لما منّ الله به من هذه العناية بفضل همة مليكنا المعظم وانجاله الميامين الفخام وذويه النجباء والأعيان الكرام بعد أن شعروا بحاجتهم للعلم فجادوا ببذل الأموال وجدوا لبذر بذور العلم بأحسن طريق ينال وشرفونا بحضورهم في هذا اليوم السعيد الذي سنجعله أكبر أعيادنا وأسعد أيامنا للاحتفال بوضع أول حجر في أساس معالم العلم المجيد فما أسعدني في اليوم وأبهجني إذ أرى جلالة مليكنا المعظم منح أمته التشريف بحضور شخصه لهذا المحفل المنيف وما أعظم سروري إذ أرى أسرته الملوكية والأعيان من الرعية يتسابقون مهتدين بهديه مفتخرين بتشييد مدارس العلم ومعالم الهدى فأسلك اللهم أن تلحظنا بعنايتك وتكلأنا برعايتك وأن تحفظنا من خطل الرأي وعثرات الفكر ونضرع إليك أن تديم لنا بقاء أيام جلالة ملكنا المعظم المحبوب وسعادة أنجاله المحترمين إنك حسبنا ونعم الوكيل،

وبعد أن انتهى من خطابه قام الشيخ محمد صالح بن يوسف فألقى الخطبة الآتية:

خطاب محمد صالح يوسف

ـ نص ـ

أيها السادة في هذا الشهر المبارك شهر ربيع الأول كانت ولادة سيدنا سيد المرسلين وأعظم المصلحين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بُعِث بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وأشرقت أنوار تعاليمه الحكيمة في سائر أرجاء العالم في هذا اليوم السعيد يوم الأثنين رابع هذا الشهر المبارك قد اجتمعتم هذا الاجتماع المشكور لتشتركوا في الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس مدرسة الهداية الخليفية اجابةً لدعوة صاحب السمو رئيس إدارتها الخيرية الشيخ عبدالله أطال الله بقاه وقد وضع جلالة الملك المعظم الشيخ عيسى بن علي أدام الله عزه واجلاله وحفظ وجوده ومتعه بالصحة والعافية الحجر الأول في أساسها وهو عادة من أفضل العوائد التي جرى عليها أعاظم رجال الاسلام وأكابر رجال أوروبا احتفاءً بدور العلم واعظام شأنها بوضع حجر على حجر بتكوّن ويرتفع وببناء الجدران وتوابعها يكمل البنيان ويتم هذا المعهد العلمي الذي نسميه (المدرسة) وهكذا أيها السادة كل شيء في الكون ينشأ ضعيفاً ثم يقوى ويبتدأ صغيراً ثم يعظم وإذا رأيت من الهلال بُدوّهُ أيقنت أن سيصير بدرا كاملا وأول الغيث قطر ثم ينسكب وهذه سنة عامة في الكون تشمل جميع الكائنات من مخلوقات ومصنوعات

أيها السادة الحياة في هذه الدنيا وان طالت قصيرة وانما يُثاب المرء على أعماله الصالحة قال الله تعالى: ﴿وان ليس للانسان إلا ما سعى وان سعيه سوف يُرى ثم يُجزاه الجزاء الأوفى﴾ ويعيش المرء العيشة الحميدة بآثاره الحميدة النافعة في حال حياته وبعد مماته وبها

يطيب ذكراه على لسان محبيه واصدقائه ويخلد اسمه في بطون الصحف والتواريخ.

وانـك ذكـــــرى كنت حـيـاً وميتـاً
وذكـــــرك ان زاد الفـعــال يطيب
وقال آخر: وانما المرء حديث بعده
فــــكن حـديثـاً حسنـاً لمـن وعـى

وأحسن من ذلك كله قول الله عز وجل: ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾. وقال تعالى: ﴿انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾. وأفضل الآثار والأعمال الصالحة تشييد معاهد العبادة والعلم أما معاهد العبادة من المساجد والجوامع فهي ولله الحمد على حد الكفاية والضرورة داعيه والحاجة ماسة الى تشييد دور العلم ومعاهد الدرس والتعليم وهي أهم وأوجب من غيرها من الأعمال بل الأعمال في جميع أنواعها وأحوالها لا تكون سديدة ونافعة بغير العلم حتى العبادة نفسها لا تصح ولا تجدي بدونه . قال الله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر ألو الألباب﴾ وقال تعالى: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ وقال تعالى: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ أيها السادة: العلم يصقل الأذهان ويشحذ القرائح ويغذي العقول ويفتح بصيرة الانسان فيشاهد الحقائق ويرى الأمور كما هي في الحقيقة ونفس الواقع ويرشده الى كيفية استخدام مواهبه الطبيعية فيما خلقت لأجله ويعّرفه بأنه أشرف المخلوقات وأكرمها عند الله وان جميع ما في الكون مما عداه مخلوق لأجله مسخر بتدبيره وبقوة علمه يستخدم البخار والهواء ويصنع المراكب الغواصة في البحر والطائرة في الجو ويصرفها كيف يشاء وآثار العلم في الكون آثار حياة ونشاط واصلاح وعمران فأينما يكثر العلم ويزكو تزكو آثاره ويرتفع شأن أهله وتصلح أحوالهم

ويكتسبون بها قوة ومنعة وسطوة وعزة فيكون الفوز لهم في ميادين الأعمال ومعترك الحياة والجهل سبب الضلال والشقاء والخسران والخذلان واماتة الشعور وذهول الفكر وعمى البصيرة وخراب البلاد وشقاء أهلها والجاهل عدو كل صلاح وإصلاح يتخبط في جميع أعماله غير هدى ويستسلم لعوامل الردى فيؤخذ على غرة ويكون سلاحاً لأعدائه ووبالاً على نفسه وامته وهو في أعماله عدو نفسه فكيف يكون صديقاً لغيره.

لا يبلغ الأعداء من جاهل

ما يبلغ الجاهل من نفسه

قال الله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ وقال الشاعر:

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها

إذا لم يكن للمبصرين بصائر

أيها السادة: ان أكبر وألد عدو للشرق والشرقيين عموماً وللاسلام والمسلمين خصوصاً في العالم كله هو الجهل وحده لا يشاركه في ذلك سواه هذا العدو العظيم هو الذي بّدد شمل المسلمين وفرّق جمعهم ومزّق جامعتهم وأخرهم عن المعالي وحرمهم من المصالح والمنافع وأحوجهم الى غيرهم من الأمم في كل شيء حتى في الطعام واللباس وهو الذي أذهلهم عن كل شيء حتى عن أنفسهم وهو الذي خدّر أعصابهم وشل أعضاءهم وغطّى على بصائرهم هذا العدو العظيم اللدود لا يُدفع ولا تكسر شوكته الا ببناء هذه المعاهد فبالإكثار منها في بلاد الإسلام ونشر العلم بين أبناء المسلمين تتنور أفكارهم وتحي نفوسهم ويتجدد لهم شعور واحساس فيعرفون الواجب عليهم لأنفسهم وأمتهم وأوطانهم ويميزون بين الأشياء في المنافع والمضار ويدركون

مصادر الأمور ومواردها / المدرسة محل الدرس ومعهد التعليم ولنا أن نسميه معملا صناعيا لصقل وشحذ قرائح المتعلمين وهذا المعمل بمن فيه من الأساتذة والمعلمين هو المعمل الحساس الذي يتعلم فيه أولاد اليوم ورجال الغد وصغار الوقت الحاضر الذين من الجائز أن يكون بعضهم عظماء في المستقبل هو الذي يتكفل بترقيه مداركه الناشئة وبتغذية عقولهم ان عظماء الغرب في الزمن الحاضر كانوا في مبدء أمدهم صغارا يتعلمون أحرف الهجاء في المدارس فاستمروا على التعلم واجتهدوا في تحصيل العلوم وفازوا وتقلدوا الوظائف العالية والمناصب السامية ونفعوا امتهم وأوطانهم وكان طريقهم العلم ساروا فيه وتوسلوا به فوصلوا وكل من سار على الدرب وصل ومن جدّ وجد والآمال بالأعمال لا بالتمني والله الموفق فالواجب على الهداة والمصلحين الذين تهمهم مصلحة المسلمين ان يرغبوهم في الاستضاءة بنور العلم الصحيح لكي يسيروا في طريقهم المظلم على نور وهدى وان يكثروا من تشييد المدارس ومعاهد العلم والتدريس في جميع أنحاء البلاد ففي ذلك صلاحهم وحسن مستقبلهم.

أيها السادة: ان هذه المدرسة حسنة من حسنات جلالة الملك العادل سيدنا الشيخ عيسى أيّده الله وأثر من آثاره وبركة من بركاته فبفضل وُجوده وَجوده وترغيبه ومساعدته المستمرة تؤسس هذه المدرسة وتُبنى وتقوم بواجبها وتؤدي وظيفتها وآثاره العديدة في إصلاح البلاد وراحة العباد وكُلما ينبه الرعايا ورفاهيتهم كلها شاهدة بما تنطوي عليه نفسه من حب العدل والانصاف وحب الخير لرعاياه والمستظلين بظله المديد من جميع الأصناف فنسأل الله ان يطيل لنا عمره ويمتعنا ببقاه ويؤيده بعنايته ورعايته في جميع الأحوال على الدوام واننا ننتهز هذه الفرصة لتقديم جزيل الشكر والثناء الى جلالته والى سمو الشهم الهمام المعظم ولي العهد الشيخ حمد والى سمو الشهم الغيور المحترم الشيخ محمد والى سمو الشهم المصلح الأفخم الشيخ عبدالله والى حضرة العلامة الفاضل الشيخ ابراهيم بن محمد والى جميع أفراد العائلة الخليفية. فانهم هم الذين قاموا بتشييد المدرسة وتأييد مشروعها، وجمعوا المال لها وأعانوها بالمبالغ الطائلة وقد أخذ صاحب السمو الشيخ عبدالله على عهدته القيام بإدارتها وتنظيم شؤونها فاختار لها الاكفاء الخبيرين بإدارة المدارس وترتيبها وكذلك

نقدم الشكر الجزيل الى جميع أعضاء الإدارة الخيرية والمساعدين وأخص من بينهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب المشاري والشيخ قاسم آل ابراهيم ونسأل الله أن يجزي الجميع خير الجزاء وجزاء الخير ويمتعهم بالصحة وسلامة الحياة وطول العمر ودوام التوفيق واننا نشكر جميع المدعوين والمجتمعين على حضورهم واجتماعهم للاشتراك في الاحتفال بالتأسيس وأرجوا الله ان يوفقهم للاجتماع المتواصل في المساعي الخيرية فإن الخير والسعادة في الوحدة والاتحاد والتوحيد.

أيها السادة: ما أحسن الاتحاد والاتفاق والاجتماع والوفاق والمحبة والتآلف بين سائر العناصر والأجناس وما أجمل ارتباط العالم الانساني بالمحبة المتبادلة والمودة المشتركة لتبادل المصالح والمنافع وارتباط العالم بعضه ببعض فالخير في أن يعيشوا أصدقاء ويحسبوا أنفسهم أخوة أشقاء ومع ذلك ينبغي أن لا تنسى كل أمة واجباتها الخاصة نحو أمتها ووطنها وتحرص على حفظ كرامتها والواجب يقضي بالجد والاجتهاد فما يفلح ولا يسعد إلا العاملون المجدّون.

أيها العلماء: انكم أعرف الناس بمزايا العلم وفوائده فعليكم أن تقوموا بواجبكم الديني في التعليم والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشويق الناس الى اكتساب المعارف والفضائل وترغيبهم في مساعدة الإصلاح والمصلحين فإذا قصرتم في ذلك ولا اخالكم تقصرون فعليكم المسؤولية أمام الله والناس والله ولي الهداية والتوفيق/ ثم قام الأديب الفاضل الشيخ عبدالرحيم بن حسن الخنجي وخطب خطبة بليغة مهمة استحسنها الحاضرون وتأثروا من عباراتها العذبة ومعانيها الرشيقة وتلاه حضرة الدكتور المولوي عبدالرزاق النقشبندي وارتجل خطبة مختصرة وجيزة جمعت جوامع الكلم وجواهر الحكم وبعده قدّم الشيخ محمد صالح قصيدته لجناب المطرب الشاب النجيب محمد بن الشيخ عبدالله الملا محمد فألقاها القاءً حسناً طرب له الحاضرون وأثنوا على منشئها وكانت هذه القصيدة مسك الختام وانتهى الاحتفال قريباً من الساعة السادسة والحمد لله أولاً وآخراً.

بسم الله الرحمن الرحيم قصيدة في أهمية إحراز العلم والثروة ومدح سيدي الشيخ عبدالله وجلالة الملك المعظم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وفيها الإشارة الى تأسيس مدرسة الهداية الخليفية ومدح مؤسسها لمنشئها محمد صالح يوسف في ٢٦ محرم ١٣٣٩.

خير المآثر في مدى الأزمان
أثر يُشاد لخدمة الإنسان
واجلّ بنيان وأشرف معهد
دار العلوم وصيقلِ الأذهان
والمرء في الدنيا يكون علوّه
بالمال يُحرِزُهُ وبالعرفان
والمال والعلم الصحيح وسيلة
لتقدم الإنسان والأوطان
والمال يُجمع من طريق صناعة
وتجارة وزراعة القِيعان
وحكومة تقضي بحكم عدالة
وشريعة وامانةٍ وأمان
فابذل هُدِيتَ المال في سُبل الهدى
والخير والمعروف والإحسان
واحرص على الذكر الجميل فإنه
يبقيك بعدك وهو عُمْرٌ ثاني
والفقر شر في الوجود وافة
ومسبب للعار والخسران
وهو الذي يدعو الى فعل الجرا
ئم والخنا في سائر البلدان
والعلم نور للأمور يضيئها
وينير حالكها بكل مكان

فـاحـرص عـلـى كسب العلوم فإنها
تهــدي وتكشف حيرة الحيران
وهي السبيل لنيل أسبــاب العُـلي
والمجد مع احــراز رفــع الشــأن
وهـي الحصون لمــن أراد منــاعــة
وهي الســلاح لنجدة الشجعان
والجهــل أصــل للشقــا وضــلالــة
ومخــرّب ومسلّـط العـــدوان
وهـــو المـذلّ لأهــلـه ومبيـدهــم
وهـــو المقـوض هيكل الْعُمــرانِ
لا ينفــع الجهــل الجهــول وان نُمي
لبــنـي قـــريش أو بني قحـطان
كلا ولا يجـدي الثراء مع الجها
لة والغنى في النفس لا الْهُمْيان
المـال والعلـم الصحيح كـلاهمـا
في صـالح الإنســان مشتركــان
وأعلـم بـأن الجمـع بينهمـا معـاً
يغني عـن الأجنـاد والأعــوان
بهما تنال الغايـة القصوى فجـد
بهما معاً في طـاعـة الـرّحمـان
وابذلهما في صـالح الأقــوام والأ
عمـــال والأوطـــان والإخـــوان
واعـلـم بـأن المـرء يقضي نحبـه
وجميع مـا في الكــون كلٌ فــإني

والباقيات الصالحات جزاؤها
خير وخير الذكر في القرآن
تتلى مناقب صاحب الآثار والأ
عمال في التاريخ بالبرهان
ويعيش بالذكرى ويُعرف انه
قد كان للعَلياء أفضل باني
والعلم بالتعليم يدرك كنهه
وثماره بالدرس يجني الجاني
وطريقة العصر الجديد مفيدة
في الدرس والتعليم والتبيان
ان المدارس للعلوم مناهل
وبعيدها فيها قريب داني
يرتادها من يرتجي درك العلى
ويريد ان يسمو على الأقران
قد قام بالتأسيس شهم حازم
هو أول في المكرمات وثاني
في الرأي قيس والفراسة عامر
في الحلم أحنف في حجا لقمان
في العدل فاروق وعمرو في الدَّها
بوفا السموأل مع تُقَى سلمان
كرمت خلائقه وعزّ نظيره
في الرأي والتدبير والعرفان
يبني المدارس للشبيبة والنوا
دي للفضيلة أحسن البنيان

ويـروم اسعـــاد الـبـلاد واهلهـا
بعــوامـــل التمـــدين والإيمـــان
في ظل خير الناس بـل ومليكهم
وعظيم كلّ الْعُجْم والْعُرْبـان
عيسى المعظم والممجـد في الورى
محيي المكـــارم مكـرم الضيفان
رب الفضائل والفـواضـل والمحـا
مد والمفــاخــر افــرس الفرسان
كملــت محـــاسنه وتمّ عـــلاؤه
وزهـا بـه الشرقــان والغــربـان
وازدانت الـدنيـا بفضل وجـوده
وبمـــدحـه قـــد رنّم الثقـــلان
وبعـــدلــه ووقـــاره وجـلالـــه
ملك القـــلوب كـــانـه الْعُمرَان

* * *

حـــول نص التقـــريــــر

تـقـــدمـــــه

امامي عشر أوراق من القطع الكبير هي كل التقرير الذي وضعه كاتب الإدارة الخيرية الأول الشيخ محمد صالح يوسف خنجي عن احتفالية وضع حجر الأساس لمبنى مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق الذي جرى صباح الأثنين ٤ شهر ربيع الأول ١٣٣٩هـ ـ ١٥ـ نوفمبر ١٩٢٠. وهو ما قد كان ضمن ملف الشيخ الذي أعطاني أياه أواخر خمسينيات القرن الماضي.. كما أسلفت في مقدمة الحديث عن الإحتفالية. وما سأتحدث عنه لاحقاً.

ومنذ سبعينيات القرن الماضي وأنا أشير في كتاباتي في تاريخ الثقافة والأدب في البحرين باشارات قريبة أو بعيدة الى بعض ما جاء في تاريخ التعليم فيها.. لا من خلال التقرير فحسب بل من خلال ملف المضبطة.

غير أني اضطررت أثناء وضع كتابي (الكتابات الأولى الحديثه لمثقفي البحرين) أن استشهد بنصوص من التقرير، وكذلك ببعض ما جاء في بعض أوراق ملف الشيخ محمد صالح بوضعها بفصل ما يتعلق بالرسائل المتبادلة بين مثقفي البحرين وأدباء وصحف من مصر.. كان عنوان نص التقرير (الحياة الجديدة في البحرين).. وهو ليس بنصوص حرفية للخطب والكلمات التي قيلت في الاحتفالية فحسب.. بل أنه كان مشفوعاً برسالة الى جرجى زيدان محرر الهلال المصرية من أجل نشره بالمجلة..

تقـــول الـــرســـالـــــة:ـ

(حضـرة المفضـال الأفـخـم أمين أفـنـدي زيـدان صـاحب مجلـة الـهـلال المحترم).

سـلامـاً واحترامـاً:

نخبركم أننا توفقنا الى تأسيس مدرسة ابتدائية أسميناها مدرسة الهداية الخليفية، رغبة في تعليم أبناء بلدتنا وتربيتهم على المبادئ القومية وقد احتفلنا بوضع حجر الأساس، وأرسلنا اليكم برفقة هذا الكتاب الخطب التي تُليت في الاحتفال ورجاؤنا أن تدرجوا منها ما يمكن إدراجه بمجلتكم الغراء.

وتفضلوا بقبول فائق احترامنا (٧)

بحـريـن ١٦ج ٢/ ١٣٣٩

رئيس الإدارة الخيرية

مدرسة الهداية الخليفية

ذلك كان نص الرسالة المرفقة بالتقرير.. مقدمة وخطب.. تأتي المقدمة بوصف موجز عن البحرين وعن حاكمها سمو الشيخ عيسى بن علي آل خليفة ـ الحاكم السادس من أسرة الخليفة.. وعن الإصلاحات التنموية في عهده.. منها ما ذكرته مقدمة التقرير من مجلس بلدي، ومستشفى، ومدرسة علمية. ثم تعرج مقدمة التقرير الى وصف دقيق لوصول الحاكم وولي عهده الشيخ حمد. ونجله الثاني الشيخ الشاعر محمد بن عيسى.. وتذكر أن الحضور استقبلوا حاكمهم بكل ترحاب وقد بادلهم هو بمثل ذلك.. وتتحدث المقدمة عن الحاكم فتقول انه خاطب رئيس الإدارة مبدياً رغبته بأن يضع حجر الأساس للمدرسة أولاً ثم يتحول بعد ذلك الى سرادق الإحتفالية لسماع خطب المسؤولين عن إدارة المشروع أولاً ثم من يشاركهم من الاخرين.

وتصف مقدمة التقرير كيفية وضع الحاكم لحجر الأساس بيده.. وفي لفتة مهمة تذكر أن موضع الحجر هو بالزاوية الجنوبية الغربية من سور مبنى المدرسة الجنوبي

الغربي.. وتصف المقدمة بدقة كيف أديرت فناجين القهوة بين الحضور.. وما كان من قيام رئيس الإدارة بعد ذلك بمناولة نص كلمته في الإحتفالية - كلمة الافتتاح - الى أمين سره الأستاذ الشاعر قاسم محمد الشيراوي ليتلوها على الحضور.

حول

خطاب الرئيس

ذاك مجمل ما جاء في مقدمة التقرير - أما ما يلفت نظر المستقريء لخطاب الرئيس كأول خطاب في الاحتفالية.. فهي تلك النظرة الاستشرافية المتفائلة التي بدت في خطبته وعبر عنها بقوله:.

(إننا قد غرسنا أول غرسة للحياة الجديدة.. وسيكون سروري وسروركم مضاعفاً عندما يثمر غرسنا الثمر الشهي.. ثم يؤكد ذلك في قناعة حتمية بجنيه ثمر تلك الغرسة الطيبة.. وكأنها قد تمثلت بين يديه.. الأمر الذي جعله يعبر عن تلك القناعة بالجملة التالية:.

(إني أشعر كما تشعرون بأن قلبي يطفح سروراً وآمالاً كباراً.. وهناك يصح أن نغبط أولادنا على ما أوتوا من نعمة العلم وعلى مجتمعهم الراقي الذي سيعيشون فيه، ونتمنى أن لو كنا صغاراً كي نشاركهم في حياتهم السعيدة، وجيلهم السعيد.

ولكن لا تنسوا أن أولادنا سيحبوننا من أعماق قلوبهم لأننا أورثاهم النعمة العظيمة..)

والسؤال هل حدث ذلك الذي تنبأ به أو ببعضه رئيس الإدارة الخيرية نقول: قد حدث أما قول الرئيس: ***(إن أولادنا سيحبوننا من أعماق قلوبهم..) فمسألة فيها نظر فمن لم يدر ومن لم يقرأ عن سلسلة متاعب تأسيس المشروع، وعن دخول***

مؤسيسيه في خضم معمان التضييق والتعويق الذي وضعته سلطة الحماية البريطانية ممثلة في العسكري ميجر كلايف ديلي وبطانته من الخونة ذوي القيافة الوطنية (٨)) فقبل أن يستوي المشروع على سوقه بدأ التعويق ثم التضيق. فكان أن فقد مؤسسوه من بينهم عضوين أساسيين نشطين فيه أولهم أمين سره قاسم الشيراوي ونفى الى الهند أواخر ١٩٢١ وثانهما الشيخ عبدالوهاب الزياني ونفى الى الهند أيضاً. عام ١٩٢٣ وهناك مات، وثالثهما نائب الرئيس ابراهيم بن محمد آل خليفة أذضاقت به الدنيا، فهجر مسقط رأسه المحرق وأعتزل في الجابور واكتملت حلقة النفي والتشريد بعزل الحاكم.. واجبار رئيس المشروع بتوقيع مرسوماً سلطوياً من دار الحماية يتعهد فيه بامتناعه عن التدخل في السياسة.. فلم يسلم لا هو ولا ابنه البكر من ذلك الجبروت.. حيث أجبر الابن على ترك المحرق الى الضلع بوسط البحرين وتغريمه خمسة آلاف روربية تحمل والده دفعها عنه (٩).

أجل ان أبائنا سيحبوننا من أعماق قلوبهم لأننا أورثاهم تلك النعمة العظيمة.. نكررها هنا كجملة عظيمة قالها رئيس المشروع.. ومن كان يشك في ذلك.. انه تنبؤ فيه صحة.. ولكن ليست كل الصحة.. ونحن نرى التجاهل، ربما الغير مقصود من الجهة التي لها علاقة بالتربية والتعليم.. التجاهل لحركة أوائك الرواد الأول أصحاب المشروع الأول للتعلم الحديث في البحرين ودورهم التنويري التأسيسي الأول في عملية شعبية ذاتية..أخرجوها الى الوجود لما أحسوا بحاجتهم الملحة الى ارساء نظام تعليمي حديث - آنذاك - إرساء لم يضارعهم فيه إلا إخوانهم أبناء الكويت حين أرسوا المباركية عام ١٩١٢.

لم تكن حركتهم وجاهية تكميلية.. انها الحاجة الماسة حين تفرض نفسها فتجد من يقومون بسدها واغناء شعبهم عنها.. لم يكونوا لينتظروا عوائد النفط.. إذ لم

يضعوهـا ـ في حسابهم.. فحركتهم في تأسيس مشروعهم واغنـائـه كـان قبل أكثر من عقـد من السنين من ظهـور عـوائد النفط عـام ١٩٣٢.

كم كانت ثقتهم بأنفسهم عظيمة.. وكم كان ذلك العمل جليلاً.. تماماً كحركة أخوان لهم في مبادراتهم لتأسيس الأندية الأربعة الأولى ببواكير القرن العشرين (٩).

والسؤال:ـ لماذا حين تسأل طلبة الأعدادية والثانوية.. ربما الجـامعيـة عن الـبـدايـات الأولى للتعليم والثقافة.. مؤسسات ومؤسسين.. يلوذ أولئك الطلبة بالصمت، والسر عند مسؤوليهم.. ومن قال: لا أدري.. فقد أفتى..

حـــول خطـاب حـــافظ وهـبـه

يأتي خطاب حافظ كخطبة الخطب الأولى في التقرير ونحن نصفها بذلك لطولها وبلاغتها.. أما خطبة الخطب الثانية في التقرير فهي للشيخ محمد صالح يوسف التي هي أطول من خطبة حافظ.. التي نحن هنا بصدد الحدث عنها وبالمناسبة فلسنا هنا بسبيل المقارنة بينهما.. فكلاهما يصدران عن منهج واحد.. فثقافتهما اسلامية اصلاحية، إلا أنهما يختلفان في ممارستهما للعمل ضمن ذلك المنهج.. فحافظ اصلاحي سياسي، ومحمد صالح اصلاحي اجتماعي.. يكره السياسة كما عرفت ذلك عنه .

وحين تحاول استقراء خطبة حافظ نجده يستفتحها بمخاطبة سمو الحاكم الجليل الذي كان يحلو لكثير من متعلمي أهل البحرين أن يدعونه بالملك في رسائلهم إليه ومخاطبتهم له.. ويصفه حافظ بأنه ذخيرة البلاد، وملاذ العباد ـ بعد الله.. ويذكره بحقيقة واقعه فيقول:ـ

(..إن عروش الملوك لا تؤيد إلا بالقلوب والمحبة الصحيحة.. ولا محبة أفضل من

المحبة التي يحدثها العلـم وبكـونهـا العـرفـان..) ولا ينسـى حـافظ أن يعزز خطابه الى الحاكم بالاستشهـاد بالشعر فيقـول:

(أرونـي أمـةً بلـغـت مُنـاهـا

بغير العلــم.. أوحـــد اليمـاني)

ثم ينهي حـديثه بتحـولـه من مخـاطبة الحـاكـم الى مخـاطبة الحضور واصفاً اياهم بالنجوم الزواهر.. ثم الى العلماء فيصفهم بالمرشدين.. فهم المسؤولون الأول عن إرشاد الناس وتعليمهم.. وتمثل لهم بثقل الوزن المعنوي للحجر الأساسي الذي أرسه الحاكم في أساس مدرسة الهداية.. وقال:

(.. إن شيخكم الجليل وأميركم الموقر لم يضع هذا الحجر على الأرض.. بل وضعه على عواتقكم، لأنه لا يقوى على حمل هذا العبء سواكم فمن حاول أن يتنحى عن هذا الحمل الواجب فعليه تبعة عمله).

وخاطب حافظ أعيان الأمة.. وشجب المقولة التي كانت شائعة آنذاك من أن العلماء ـ علماء الدين ـ أعداء أهل الدنيا، وأن دينهم يحتقر التجارة والصناعة. فإن كل ذي عمل شريف محترم.

واستشهد ـ حافظ ـ بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فقال:

(.. ولقد كان الصحابة وهم أعلم الناس بالدين يشتغلون بسائر الحرف.. فمنهم التاجر ومنهم القصاب، ومنهم العامل..).

ولقد غاب عن حافظ هنا الإستشهاد بأي من الذكر الحكيم ـ دستور الأمة الإسلامية ـ ففي آيتين اثنتين من سورة الجمعة فصل الخطاب كله بما يفرض العمل ويعزه في قوله تعالى بسورة الجمعة:

(.. يا أيها الذين آمنوا.. إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، فإسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. وإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. الآيتان: ٩ و ١٠ . أما إذا حان وقت الصلاة المكتوبة فلا عمل ولا تجارة حتى تقضى، إذ يقول تعالى: (وإذا أروا تجارة أو لهواً أنفضوا إليها.. وتركوك قائماً..) أي قائماً تصلي..

من ذلك يتبين ان بآخر سورة الجمعة ثلاث آيات هي قمة التنظيم القرآني للعمل. أما بقية ذلك التنظيم فتتكفل به آيات من القرآن كثيرة، ومن هنا يتضح أن يوم الجمعة ليس يوماً لتعطيل العمل، وتأجيل انجاز مصالح الأمة الى يوم آخر فإن الآية الثالثة من خاتمة سورة الجمعة صريحة في ذلك.

وحين يهم حافظ بانهاء خطابه في الاحتفالية يتحفنا بتعبير غاية في التعريف برسالة المدرسة.. أي مدرسة في مد جسور الاتصال بينها وبين علماء الأمة وأدبائها ومفكريها. إن الفراق المطنب أركانه عندنا بين المدرسة وبين من ذكرناهم من علماء وأدباء ومفكرون لحري بمسؤولي التربية والتعليم أن يخفضوا من غلواء هذا الفراق.. وعلى رجال العلم والفكر والأدب أن يمدوا جسور الاتصال بينهم وبين المدرسة ويهتموا بصيانتها.. الفكرية.

حــــول

خطــاب محمـــد صــالـح يـوسـف

ذاك ما استوقفني من خطاب حافظ وهبه في احتفالية التأسيس للهداية. أما حين نأتي الى خطاب الشيخ محمد صالح.. الذي أطلقنا عليه - في مبتدى خطاب حافظ - لقب خطبة الخطب الثانية في الاحتفالية فسوف لن نتعامل في الحديث معه كتعاملنا مع خطاب حافظ إلا بعد أن نحاول أن نوفي صاحب الخطاب - أي محمد صالح - بعض

حقه في الكلام على اتجاهه الفكري وحركته الأدبية المتواضعة.

وحين جئنا الى خطابه في الإحتفالية وجدنا أنه لا يفصح فيه عن اتجاهه الفكري.. ربما الفلسفي.

وقد لمست بعض ذلك الفكر عند الشيخ محمد من خلال لقاءآتي به.. وفيه وعن صاحبه كتب أمين الريحاني في سياق حديثه عن حفلة تكريمه بالنادي الأدبي بالمحرق.

قال: (.. وفي نادي البحرين كما رأيت نهضة [10] سياسية هي قرينة النهضة الأدبية.. أجل ان في البحرين من ينشدون الوحدة العربية، وفي نادي البحرين - أي النادي الأدبي - من يرفعون النهضتين الى مستوى الفلسفة العالي ومستوى الانسانية الأعلى. فقد سمعت في تلك الليلة أديب من أدباء الفرس.. والفرس مهد الفلسفة والحرية الروحية يذكر الشاعرين الصنوين عمر الخيام وأبي العلاء المعري): قال: محمد صالح الخانجي، إني أحب المعري والخيام واني شغف بأشعارهما. وقد سرني بنوع خاص ما بلغني من ميلك اليهما وغرامك بأفكارهما.. إذن، البشر لم يزالوا كما كانوا ما سلف من الزمان، وكما وصفهم المعري والخيام.. إن الأديان الحنيفة روحها واحد وانما تختلف الشرائع التي تتضمن أحكام المرافعات وفصل الخصومات.. فالأديان بروحها ومغزاها تدعو للاجتماع والاتحاد.. الشرقيون كلهم عائلة واحدة.. خلاصهم وسعادتهم في أن يسود النظام بينهم والوفاق والتضامن.. مرحى.. مرحى) [11].

إنه من الممكن الحديث عن الشيخ محمد صالح كمفكر وأديب فهناك بعض ما كتبه والقاه من خطب وكلمات وشعر في نادي أقبال أوال والنادي الأدبي واحتفاليات التعليم على مدى بضع سنين عاشها في الإدارة الخيرية.. غير أننا هنا لسنا معنيين بذلك. فإن حياة الشيخ ارتبطت بالتعليم إدارياً ومعلماً، وحتى حين عين معاوناً لرئيس بلدية

المحرق أواخر ثلاثينيات القرت العشرين.. فلم ينزع عنه عباءة التعليم، وعاد إليه خلال الحرب العالمية الثانية.

هذا موجز ترجمة أدبية عن الشيخ محمد صالح أما هو في خطابه الذي تلاه في الاحتفالية.. فلا يخرج في سياقه عن تمجيد العلم والحث على اكتسابه، وهو يقول عن وضع حجر الأساس للمدرسة: (.. الحجر الأول في أساسها، وهو عادة من أفضل العوائد التي جرى عليها أعاظم رجال الإسلام، وأكابر رجال أوروبا احتفاء بدور العلم واعظام شأنها..).

هذا في الفقرة الأولى من خطاب الشيخ محمد صالح.. أما الفقرة الثانية فيبدؤها بالحديث المعتاد عن الحياة الدنيا.. وقصر عمر الإنسان بها ويقرر أن الإنسان يقوم بآثاره الحميدة النافعة في حال حياته وبعد مماته.. ويستشهد ببيت ابن دريد القائل:

(وإنمـا المـرء حــديث بعــده

فكـن حـديثاً حسناً لمن وعـى) (١٢)

وفي الفقرة الثالثة من خطابه يتجاوز الشيخ محمد صالح الأفق التقليدي في الحث على بناء المساجد الى الحث على دور العلم ومعاهد التعليم.. ويؤكد أنها أوجب من غيرها من الأعمال. ويذكر بالآيات القرآنية الكثيرة تمجيد العلم وأهله.. منها قوله تعالى: (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.. وقوله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أتو العلم درجات).

وفي الفقرة الرابعة من الخطاب ينبه الشيخ محمد الى نقطة هامة جداً في حياة الإنسان، فيقول: (أيها السادة: العلم يصقل الأذهان، ويشحذ القرائح ويغذي ويفتح بصيرة الإنسان فيشاهد الحقائق، ويرى الأمور كما في الحقيقة والواقع..).

الى أن يقول عن الإنسان: (.. ويستخدم البخار والهواء ويصنع المراكب والغواصة في البحر والطائرة في الجو، ويصرفها كيف يشاء. وآثار العلم في السكون آثار حياة ونشاط واصلاح وثمرات..).

تلك إشارة يذكر بها محمد صالح جمهور الإجتفالية.. مفادها أن الناس الأصحاء تظهر مواهبهم العقلية باستخدام العلم من ذلك أن الملايين من البشر تعيش وتموت ولا تستطيع اكتشاف تلك المواهب الا بالعلم. لذلك فدور التعلم والتعليم أساسي في إيقاظ المواهب العقلية من رقادها وجعلها منتجة لصالح الإنسان والحياة.

وحين نصل مع الشيخ محمد الى نهاية الفقرة الخامسة في خطابه نجده يهاجم الجهل ويخلص الى أنه هو الذي يوسع الطريق لرفيقيه.. الفقر والمرض وينشرهما أمامه وخلفه.. وهو الذي يسبب ذهول الفكر وعمى البصيرة، ويجعله يتخبط في جميع أعماله ويستشهد بالشعر فيقول:

(لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها

إذا لم يكن للمبصرين بصائر)

كذلك فإن الشيخ يذكر في سياق الفقرة الخامسة أيضاً بالعدو الأكبر للشرق والشرقيين وللإسلام والمسلمين.. الذي هو الجهل ويتحدث في لفته صائبة ودقيقة مشيراً الى أن مما يسببه الجهل في المسلمين يومها ربما حتى الآن أن بعض مناطقهم تأكل ما لا تزرع، وتلبس ما لا تنسج وتتنقل بما لا تصنع (١٣).

ثم يدخل الشيخ في معمعة أخرى مع الجهل ويصفه بأنه العدو الأوحد ويحث على الإكثار من المدارس ومعاهد التعليم فيقول: (المدرسة محل الدرس ومعهد التعليم، فيه من الأساتذة والمعلمين هو المعمل الخاص الذي يتعلم فيه أبناء اليوم ورجال الغد..).

أما في الفقرة السادسة من خطاب الشيخ فلا يخرج فيه عما مر بنا من حظه على التعلم والتعليم ونشر المدارس في البلاد.. ويركز على ذكر التعاون لا يجابي من الحاكم

وتهيئته الأسباب لنشر العلم في البلاد. ويقدم شكره واحترامه لكل من حضر من الجمهور لإحتفالية وضع حجر الأساس للمدرسة نواة المشروع الأول الحديث للتعليم في البحرين مثنياً على رموز ذلك الجمهور في بلورة تأييدهم للمشروع بإجتماعهم ويذكرهم بأن الخير والسعادة في الوحدة.. أو الاتحاد.

وفي نهاية خطابه نصل معه الى الفقرة السابعة منه لنرى أن ما كنا نبحث عنه في تعزيز ما كنا نعرفه قبلاً عن الاتجاه الفكري للشيخ محمد قد برز شيء منه ضمن سياق هذه الفقرة في قوله:.

(.. أيها السادة ما أحسن الاتحاد والاتفاق والاجتماع والوفاق والمحبة والتآلف بين سائر العناصر والأجناس، وما أجمل ارتباط العالم الانساني بالمحبة المتبادلة والمودة المشتركة لتبادل المصالح والمنافع وارتباط العالم بعضه ببعض. فالخير أن يعيشوا أصدقاء ويحسبوا أنفسهم أخوة أشقاء).

إذن فالشيخ هنا يفصح عن شيء من فلسفة الحياة عنده.. ويود أن تعيش البشرية في مدينة فاضلة. ولكنه يؤطر ذلك فيقول: (.. ومع ذلك ينبغي أن لا تنسى كل أمة واجباتها الخاصة نحو أمنها ووطنها وتحرص على حفظ كرامتها..) لذلك فالشيخ هنا يؤمن بأن لكل أمة الحق في العيش بخصوصيتها في حرية وكرامة.

ثم يلتفت الشيخ الى علماء الأمة الإسلامية وينحى باللائمة عليهم.. حيث لا يبرئ الشيخ ولا يخلي ساحتهم من أن يقودوا أممهم الى العلم والخير والقوة.

ولقد تميزت البحرين على مدى العصور بعلماء دين أجلاء خدموا أمتهم الإسلامية.. ويحضرني هنا أسماء سأورد وأهمها ضمن هوامش الملف من تلك التي كانت حاضرة في الإحتفالية[١٤].

حــول خطــاب الــزيــاني

يتميز خطاب الشيخ عبدالوهاب الزياني نائب الرئيس الثاني للمشروع بقصر ذلك الخطاب بين خطبتي الاحتفالية لكل من حافظ وهبه والشيخ محمد صالح.. وهو جاء ثاني خطاب بين الخطب ولكن لقصره وإيجازه جعلناه مسك خطب الإحتفالية الأساسية.

والخطاب يحمل في مفتتحه طرحاً تشاؤمياً ربما يكون في أكثره حقيقياً.. فالسرور عنده في الحياة قليل ومن السعادة ما يأتي في الأعمال الخيرية الجليلة التي يجب أن تكون دائمة.

وهو حين ينظر حسب معاناته كرمز من رموز الأمة العربية والإسلامية في البحرين.. لا يرى كما يقول تلك الأعمال التي تسر باله.. لا يرى إلا ما يفتت الاكباد ويضاعف الحسرات.. من فشو الجهل وفتكه في الأفراد والعائلات.. وفساد الأخلاق وسوء المعاملات.

هذه كانت حصيلة رؤية الشيخ عبدالوهاب في مفتتح خطبته في الاحتفالية.. ولربما نسمع هذا الرأي منه في بعض سياقها ربما يتكرر ذلك منه.. وهي رؤية حقيقة أقر بها مجلس المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين، وأثبتها في نص محضر جلسته الأولى في ديسمبر - ١٩١٩ - وقد أشار إليها أيضاً خطباء الإحتفالية من قريب أو بعيد.

وبعد أن يسترسل الشيخ عبدالوهاب في خطابه حول تأثير رؤيته الفاحصة لمجتمعه التي دائماً ما كانت مخيبة للآمال - على حد قوله: (لقد ساورتني هذه الأحزان زمناً غير يسير من حياتي ولكني اليوم أشعر بهزة فرح وسرور غير عادي..).

ولكن هل انتهى تأثير تلك الأحزان التي كانت في الصميم.. منها التي جاءت عام

١٩١١ حين أغلقت سلطة الحماية المجلس الإستشاري باجبار الحاكم على ذلك(١٥) وكان الزياني بين قائمة أعضائه.. بل إنه لم تمر شهور على الإحتفالية الأولى للهداية حتى تجددت أحزان عبدالوهاب ورفاقه أعضاء مجلس المشروع بانتزاع قاسم الشيراوي من بينهم ونفيه الى الهند.

وتستمر المنقصات باستمرار العمل في المشروع.. وتتفاقم الأحزان كما عبر عنها آنذاك شعراء من الخليج العربي كخالد الفرج وعبدالعزيز بن حمد آل مبارك، وعبدالله الزائد. وكذلك صحف وكتب عربية معروفة ولتفتعل السلطة حادث باب البحرين في أيار عام ١٩٢٣ من أجل عزل الحاكم الجليل عيسى بن علي ونفى عبدالوهاب ورفيقه أحمد بن لاحق البوفلاسه الى الهند.

ونحن هنا لسنا معنيين بالكتابة عن الشيخ عبدالوهاب ولكن حين يقوم معنيون بالكتابة عن حياته وحركته بين البحرين والعراق والهند.. وعن جهاده الوطني وتضحيته بماله ونفسه في سبيل وطنه.. حين تجمع الوثائق الخاصة بذلك سواء في البحرين أو الهند أو العراق أو بريطانيا سيأسف كثيرون على اضاعة أكثر من ثلاثة أرباع قرن حتى الآن في تغييب تاريخ حركة وطن لم يغفل أبناؤه عن حقه في الحرية والتقدم..

لقد أشرنا الى بعض ذلك ما وسعتنا الإشارة الى حركة الرجل.. وكتبنا عنها منذ سبعينات القرن الماضي من خلال ما أصدرنا من كتب في التاريخ الأدبي والثقافي الخاص بالبحرين.. والخليج العربي،(١٦).

الشهـــادة الشفـهيـــة

لـــواضـع التقـــريـــر

تلك كانت نصوص التقرير المعنون بـ (الحياة الجديدة في البحرين) كما جاء بقلم واضعه الشيخ محمد صالح.. وتعزيزاً لذلك أثبت هنا شهادة شفاهية بهذا الصدد.. كنت قد سجلتها عنه في نوفمبر من عام ١٩٥٨ , . فكم كان الباحث مثلي منذ خمسينيات القرن العشرين حتى الآن في أمس الحاجة الى مثل هذه الشهادة الشفاهية التي هي من الوسائل التي تعين على اكتشاف بعض ذلك الكم الهائل من المذخرات التي تعج بها البحرين منذ العهد الدلموني حتى الآن.. والتي من ضمنها الشهادات الفردية.. تلك التي إذا ما أريد مصداقيتها فلا بد في رأيي أن تخضع لأساسيات تعزز موضوعيتها ووثوقيتها مثل:

١. مستوى المسؤولية الكبير للمدلي بها أمام الله والناس.

٢. المستوى الثقافي الرفيع التي يتمتع به الشاهد.

٣. الثقة العالية بين الشاهد والمتقبل لشهادته.

٤. اخضاعها للمقارنة مع شبيهتها في الحدث بزمانه ومكانه من حيث التوافق والإختلاف في رواية الحدث الواحد.

أما الشهادة وحدها وخاصة في مثل شهادة الأستاذ محمد صالح عن احتفالية وضع حجر الأساس لمدرسة الهداية.. التي ستأتي بنصها واستقرائها لاحقاً.. فلن نقدمها هنا لتعزيز تقريره عن الاحتفالية فحسب وانما أيضاً لتعزيز ذلك من شاهد وضع ذلك التقرير بقلمه. وفي مثل حالة الشيخ محمد صالح في شهادته عبر تقريره.. وسواء كان هو أو غيره فلا بد أنه لم يتمكن من أن يعطى انطباعه كاملاً عن الحدث الذي كتب تقريره عنه.. أو ربما أسف أنه لم يستطع أن يسجل في تقريره كل أو بعض ما لفت نظره

من تصرفات من له علاقة بالحدث.. أو أنه لم يستطع أيضاً أن يسجل حركة ما حول موقع الحدث من الناس أو وسائط النقل أو المؤثرات الأخرى الايجابية أو السلبية التي أفرزها الحدث.

وحين رجعت لما سجلته حرفياً عن الشيخ محمد صالح من شهادة عن حدث الإحتفالية ـ كما سيراه القارئ ـ لاحقاً وجدت أن هذا التسجيل يمثل شهادة تعزيزية لتقرير الشيخ. لقد كان من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف في السياق بين التقرير والشهادة.. ولكن ذلك لا يخرج عن الإطار العام لحدث الإحتفالية.. فإن شهادة الشيخ تميزت بمصداقية مقارنتها بما جاء في التقرير.. فقد تميزت أيضاً بأنها أدليت بحرية كاملة لمن يثق به الشيخ ويأتمنه.. ربما لم يكن بمقدور غير الموثوق به أن يحصل عليها أو مثلها.. وهكذا كان حظي وافراً مع جميع رواتي الذين سجلت عنهم شهادات شفاهية عما عايشوه من حركة أحداث الثقافة والأدب والفن والاجتماع والسياسة في البحرين والخليج العربي خلال الربع الأخير من القرت التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين (١٧).

أما بالنسبة للاستاذ الشيخ محمد صالح فقد كان ثقافةً وأدباً وعلماً على مستوى عصره.. وربما أوسع.. كما عرفت ذلك عن قرب حين تتلمذي عليه في مدرسة الهداية بالمحرق، ومن بعدها في ثانوية المنامة.. ثم أثناء عمله في المكتبة العامة لوزارة التربية والتعليم.. لقد كان الإداري الثاني.. ثم الأول لتأسيس المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين كما اسلفت. وحين دفع الى ملفه الذي احتوى في أهم محتوياته ذلك التقرير الذي وضعه عن فعاليات احتفالية المشروع بوضع حجر مبناه الأساسي.. وكان التقرير بعنوان (الحياة الجديدة في البحرين)، وكانت محتوياته نصوص خطب وكلمات الإحتفالية التي جرت لوضع حجر أساس مدرسة الهداية نواة المشروع كما قلنا مسبقاً.

وحين استلمت الملف من الشيخ واطلعت عليه.. وأذكر أني فعلت ذلك ثلاث مرات

آنذاك عدت الى الشيخ بعد أيام قليلة وأشعرته اني قد أطلعت على الملف.. ولكن انطباعي عنه سيكون ناقصاً ما لم يحدثني شخصياً بمجمل حركته ومعاناته أثناء الإعداد للإحتفالية التأسيسية الأولى للمشروع.

ورغم تقدمه في السن.. وكان ذلك أواخر ١٩٥٨. كما أسلفت لم يبخل رحمه الله بمخزون ذاكرته عن حدث الإحتفالية.. بل وبعض ما يتعلق به.. فإلى نص الشهادة:.

قال الشيخ محمد صالح يوسف:.

كان الوقت ـ وقت الإحتفالية ـ أواخر خريف عام ١٣٣٩ ـ حين قرر المجلس ـ مجلس المشروع ـ أن يؤسس مدرسة الهداية في الطرف الشمالي الغربي من مدينة المحرق، بناء على اقتراح من حافظ وهبه قرر المجلس أن يكون يوم الاثنين ٤ ربيع الأول من تلك السنة هو موعد الاحتفال لوضع حجر الأساس للمدرسة. فقمنا أنا وقاسم الشيرواي مدير المشروع وهو أمين سر الشيخ عبدالله بن عيسى رئيس المشروع، قمنا بكتابة الدعوات الى شيوخ البحرين وعليه القوم والتجار والأدباء، والشعراء، وقام آخرون ومنهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب المشاري، وقاسم بن محمد آل ابراهيم بتوزيع تلك الدعوات.. وقد شكرهم المجلس بصفتهما من مساعدي الإدارة الخيرية الدائمين. والشاهد أنه لم يتخلف أي مدعو عن الحضور للذلك الإحتفال، لدرجة أن سفن (العبرات) بين المحرق والمنامة شحت في ذلك اليوم، فقد حجز أكثرها لكبار القوم القادمين من المنامة للحضور [١٨] أما السرادق المكون من الخيام فقد أقيم غربي المدرسة مقابلاً (لجدف العمامره) وقد وضعت في مقدمته عشرات من كراسي الخيزران أمامها كرسي طويل من الخشب خصص للحاكم وولي عهده. وكان أمام هذا الكرسي منصة من الخشب وضعت لخطباء الاحتفال. أما بقية وصف الاحتفال فهو موجود في مقدمة وصفى له المكتوب في الملف.

وهنا توقف الشيخ محمد وقد بدت على وجهه الأبيض المشرب بحمرة

انطباعات توحي بتداعي طيوف حثيثة من ذكريات أثارها ما تحدث عنه عن مجلس المشروع وعن تأسيس الهداية ودعوة الناس لحضور احتفال التأسيس. وحين بدأت محاولة اخراجه من سرحانه استبقني وسألني:.

هل من سؤال آخر.. أجبته:.

وما تأثير ذلك الحدث على المحرق كعاصمة.. وأهلها..؟

أجاب: لم يكن الأمر شيئاً مألوفاً فلأول مرة يقام احتفال في المحرق، أوقل في البحرين كلها بهذه الصورة من حيث أنه كان الافتتاح العملي لمشروع تعليمي خيري لم يشبهه مثيل بهذا الشمول والأهمية لدرجة أن أسواق المحرق أغلقت يومها وجاء أصحابها من جملة الناس ضحى يوم الاثنين وتجمعوا بفريق العمامرة وأحاطوا بموقع الاحتفال، وبعضهم امتطى سفن الغوص التي على « المجدف[19] ينظر منها فعاليات الاحتفال.

ويستطرد الشيخ في هياج من الذكريات فيقول:.

والشاهد إني لاحظت أن كثير من نساء المحرق جئن لمشاهدة الاحتفال وبعضهن كان (يلولش ويُيبب) وبعضهن جئن بأطفالهن، وكاد أن يختلط الحابل بالنابل. وكان أن جاء قبل مجئ الحاكم رجال من الفداوية وعملوا من أنفسهم حاجزاً بين الناس وموقع الاحتفالية، وحين دخل الحاكم في السرادق كان خلفه أبناؤه وولي عهده وكلهم بزيهم العربي الرسمي المألوف ثم جلسوا على مقاعد وثيرة.. ولكن أكثر المقاعد كانت كراسي من الخيزران. وكانت من القلة بحيث جلس كثير منهم على الزل(*) والبسط العجمية.

(*) الزل: جمع زولّية، وتعني السجاجيد الصوفية سواء العجمية أو التركية أو غيرهما.

وكذلك أذكر أن أعضاء الإدارة الخيرية كانو جالسين خلف الحاكم وأسرته سوى الرئيس الشيخ عبدالله ونائبه الشيخ ابراهيم ومعهم الشيخ عبدالوهاب الزياني فانهم جلسوا في الصف الأول أما مدراء المدرسة حافظ وهبه وقاسم الشيرواي وأنا فوقفنا قرب المنصة. ثم أن قاسم الشيرواي نادى على الشاب عبدالله الملا محمد وقال له: اقرأ ما تيسر من القرآن.. ولكني لا أذكر أي الأيات قرأها. وأن قاسم الشيراوي هو كان عريف الحفل..

ثم توقف الشيخ هنهة عن الحديث ثم استأنفة قائلاً: **(ماذا تريد بعد وعندك ما كتبته في موضوع الحياة الجديدة).**

فقلت أجل: أغلب ذلك موجود ولكني هنا أريد أن أنقل عنك انطباعك عما لم كتبته في (الحياة الجديدة) فقال:.

وما ذلك..؟

فقلت هناك بعض أسئلة مهمة تلح على خاطري مما يتعلق بالحفل وحوله.. وانها لفرصة يا شيخ ما أظنها تسنح مرة أخرى.. (قال سل.. اني أظنك ستكتب تاريخاً.. لا أسئلة عن حفلة الهداية).. وهنا تجرأت وطرحت السؤال التالي:.

هل كانت هناك آلة تصوير صورت الحفل؟!

أجاب قائلاً:. **(نعم كانت هناك آلة كبيرة للتصوير وصاحبها كان أجنبياً لا أعرف جنسيته ولا أذكر أني شاهدت فيما بعد صور ما صورته تلك الآله).**

هنا توقف الشيخ عن الحديث ولم يضف شيئاً على اجابته السابقة ولم يسترسل كعادته فتجرأت وطرحت عليه السؤال التالي:.

هل شاهدت يا شيخ أو طرق سمعك بعد ذلك أن قد أقيمت عروض فنية مصاحبة للحفل ابتهاجاً به كالرزيف مثلاً.

فصمت الشيخ قليلاً ورد علي قائلاً: **(نعم رأيت شيئاً من ذلك.. كانت هناك مجموعة من البدو ويرزفون، وهناك أيضاً جماعة من السود يضربون الطبنوره ويغنون.. وقد تجمع الناس حول هؤلاء وأولئك).**

وهنا تجرأت مرة أخرى وقلت للشيخ وأنا على مضض خوفاً أن يوقف استفساراتي الملحة عن مشروع التعليم نظراً لطول المقابلة:.

وبهذه المناسبة يا شيخ هل تتكرم على أن تفيدني عما عايشته وواكبته عن نشأة مدرسة الهداية وبدء التعليم فيها؟

ولكن الشيخ بقي صامتاً ولم يرد علي بالسرعة التي كان يرد بها على أسئلتي السابقة.. وبقي يفكر وهو يتلمظ بلسانه محركاً أسنانه الصناعية التي كان قد استبدل بها أسنانه الطبيعية في أربعينات القرن العشرين ثم انتبه الي وقال:.

(ما أكثر أسئلتك يا لحوح، إعلم أن الكلام عن مدرسة الهداية ونشاطها يطول لكنه باختصار شديد أقول: (إن مدرسة علي بن ابراهيم الزياني بجنوب المحرق هي الأصل لمدرسة الهداية وقصتها أن صاحبها الذي أنشأها خلال الحرب الأولى كان غني وكريم وله مجلس يستقبل فيه كعادة أغنياء البحرين - الزوار وخاصة الأدباء والشعراء والعلماء الذين يزورون شيوخ البحرين فيضفهم ويكرمهم وبعضهم يقيمون عنده أياماً كما هو متعارف عليه.. وأنت تدري أن البحرين منذ القدم كانت يقصدها الزوار من جميع البلدان، وحدث أن زار الشيخ عبدالعزيز العتيقي وكان شاباً الحاج علي الزياني فأقترح عليه أن يبني مدرسة للعلم مثل المباركية في الكويت.. ولكن يجعل فيها مأوى لطلبة العلم الفقراء.. أو بما يشبه الأربطة العلمية. فوافق الحاج علي وكلف العتيقي. بالاشراف على بناء المدرسة.

وبعد أن كملت قال علي للعتيقي أنت لازم تكون شيخ المدرسة.. وشوف اثنين من المدرسين من البحرين يعاونوك، وكله على حسابي. رد عليه العتيقي انه يسابل نجد والكويت والهند للتكسب لكنه سيترك ذلك من أجل العلم وقد بقى في المدرسة وجعلها مدرسة حديثة.

ولما ظهر مشروع التعليم.. كانت المدرسة تعمل بإدارة العتيقي، ثم أن صاحبها سجلها وقفاً خيرياً على الغرض الذي انشئت من أجله وهو التعليم وايواء العلماء الفقراء. ولما تحدث مجلس المشروع عن مدير جديد للهداية أقترح عضوا المجلس عبدالرحمن الزياني وعبدالوهاب الزياني اسم حافظ وهبة مديراً لها لأنهم يعرفونه، وهكذا أوصوا العتيقى أن يبلغه وكان في الكويت فتم ذلك وجاء حافظ وعمل مؤقتاً تحت إدارة العتيقي الذي لما غادر البحرين جعل حافظاً مكانه فبقى الأخير حوالي عام يدير المدرسة وكان يشارك في بعض جلسات المشروع وله اقتراحات وآراء جيدة.. ولما طُرد من البحرين عام ١٩٢١ عاد الى الكويت فجاء العتيقي مكانه وتولى إدارة المدرسة وفي عهده انتقلت الهداية من مدرسة الزياني الى مبناها الحالي، ثم أن العتيقي تولى أيضاً إدارة مدرسة الهداية بالمنامة. وبقى في البحرين حتى نهاية عام ١٩٢٤).

وهنا تململ الشيخ وتمايل في كرسيه مبدياً تعبه من طول المقابلة.. فبدأت أصدِّف ورقي.. فلما رأى ذلك قال لي منهياً المقابلة :.

(مرة أخرى يا أبني أكمل لك.. روح الآن وتعال بعدين أكمل لك). فسلمت وخرجت من منزله بالمنامة الذي كان قد تحول إليه بعد ما باع بيته بفريق المري من المحرق على نادي البحرين.. كان ذلك منتصف أربعينات القرن العشرين ولقد عدت إليه مرات في زورات متفرقة، وأملى علي من مخزون ذكرياته ما يكون بعضه شهادات محددة عن أحداث أخرى جرت في البحرين ولفتت نظره.. قال عنها لي أنه سجل بعضها في دفتر يحتفظ به.

حــول الشهــادة

ذلك كان نص شهادة الأستاذ الشيخ محمد صالح يوسف عن احتفالية وضع حجر الأساس لمدرسة الهداية ـ نواة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين، وعما يتعلق بنشأتها وترعرها بمبنى مدرسة الحاج علي بن ابراهيم الزياني، وبقائها في محضن ذلك المبنى ثلاث سنوات.. كانت تودي رسالتها فيه تحت لافتة (مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق) حتى انتقلت الى مبناها الجديد.. الذي صار قديماً الآن وتحول الى متحف.. لقد وفق الله الحاج علي أن يقدم مدرسته ذات المبنى الجديد آنذاك هدية الى المشروع حين طلب مجلسه منه ذلك.. لم يتوان أو يتلكأ.. قدمها جديدة المبنى عامرة بطلابها.. نزع لافتة عنوانها الذي يشير الى أنها مدرسة علي بن ابراهيم الزياني.. وتركها عارية العنوان ليأت مجلس المشروع حالاً ويضع عليها لافتة مدرسته النواة (الهداية الخليفية) ثم ماذا فعل أبو محمد بعد ذلك.. آلى على نفسه ـ بعد انتقال الهداية منها الى مبناها الجديد آنذاك ـ أن تبقى تحت تصرف الإدارة الخيرية للمشروع.. فأغلقت أربع سنوات وفي الخامسة تكررت المعجزة..

فتأهلت مدرسة أبي محمد للتكريم الكبير بأن أصبحت عام ١٩٢٨ أول محضن حديث لتعليم الإناث في البحرين والخليج تحت لافتة (مدرسة خديجة الكبرى للبنات بالمحرق) طار صيتها.. كتبت عنها الصحف العربية الفتح والشورى.. الفيحاء السجل.. صور مبناها.. انتشرت صوره لا في الخليج العربي فحسب كأول مبنى لمدرسة حديثة للإناث ليس في البحرين بل في بعض الدول العربية آنذاك..

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كالآتي:

مدرسة علي بن ابراهيم الزياني بجنوب المحرق.. والهداية الخليفية بشمالها هما نواتا المشروع الأول للتعلم الوطني الحديث في البحرين.. حينما يتنازعان شرف

البدايات كمحضنين وطنيين للتعليم الحديث في الخليج العربي وبعض البلاد العربية.. أيهما يفوز..؟

وإن قيل والمدارس الأجنبية في البحرين التي لها سبق في ذلك.. قلنا أننا هنا نتحدث عن التعليم الوطني والمدارس الوطنية.. وإن أفصحوا وقالوا: وجوزة البلوط التنصيرية.. ومدرسة العجم.. قلنا: أصحابهما أجابوا عن ذلك بوضع لافتاتهم على مدارسهم معنونة بأسمائهم التي يحبون...!

يحضرني هنا قول أول مؤسس لهذه المدارس الأجنبية وهو قول من تلك الأقوال التي يحبها من يدعون بأنجلو عرب أوالفرنكو عرب فلقد كتب صموئيل زويمر عام ١٩١٢ رسالة الى المفكر المُتَصِر الفرنسي آل شاتيليه يقول له فيها أنه من الممكن أن تنصر البحرين كلها خلال ربع قرن فهي صغيرة وسنتخذها كتجربة.. فرد عليه (شاتيليه) بما معناه إنك لا تستطيع ذلك. كل ما يجب أن يطلب منك هو أن تخرج أهلها من الإسلام.. يكفي ذلك فلا نحب أن يدخل الى المسيحية مثل هؤلاء. ذكر ذلك بنصه الاستاذ محب الدين الخطيب في كتابه (الغارة على العالم الاسلامي).

نعود الى نص شهادة الشيخ محمد صالح يوسف التي نحن الآن بصدد الحديث حولها لنجد أنها تذكر بعض أسماء تحمَّل أصحابها مسؤولية المشروع حتى أرسوه على قواعده مشروعاً حضارياً.. من تلك الأسماء من تكرر ورودها في محاضر المضبطه ولكنها لم تحظ بذكر في شهادات شفهية تُعزز أعمالها التي ذكرت في تلك المحاضر.

إن ما عثرنا عليه من وثائق ومراجع تخص أو تتعلق بالمشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين.. كانت موزعة إما في صور رسائل أو مذكرات قصيرة، أو خطب احتفالية. وفي غياب الشهادات الشفهية لم تنجح محاولات الباحثين في هذا المجال في اعطاء صورة كاملة مستوفية لشروط الرؤية الكاملة الواضحة لأعمال أصحاب تلك الأسماء. في خدمة المشروع.

فالشيخ عبدالعزيز محمد العتيقي أول مدير لمدرسة الحاج علي بن ابراهيم الزياني.. التي أصبحت مدرسة الهداية في عهده يقول واضع مذكراته:.

(.. أنه قام بزيارة البحرين في شعبان عام ١٣٣٤ - ١٩١٥ - ونزل ضيفاً على السيد علي بن ابراهيم الزياني.. وكان عبدالعزيز يريد آنذاك أن يُنشئ مدرسة في البحرين.. وفعلاً كلف الشيخ العتيقي بكتابة النظام الأساسي للمدرسة والإشراف عليها فقام بذلك، وأشرف أيضاً على بنائها: ثم انتقل الى الكويت والمجمعة لزيارة والدته وتولى السيد حافظ وهبة إدارة المدرسة في المحرق، وبعدها فتحت مدرسة ثانية في المنامة، وكان أن منع السيد حافظ من دخول البحرين سنة ١٣٣٩ لأسباب سياسية بعد قضاء اجازته في الكويت فتولى الشيخ العتيقي الإشراف على معارف البحرين لمدة أربع سنوات من ١٣٣٩ الى ١٣٤٢ ,.) ويضيف كاتب مذكرات الشيخ العتيقي قائلاً في استخلاص نتيجة كلامه السابق: (أنه باعتبار أن مدرسة البحرين هي أول مدرسة تنشأ في الخليج على النظام العصري، فإن الشيخ عبدالعزيز يعتبر بحق رائد التعليم الحديث في منطقة الخليج).

تلك جملة من الواقع المصحف الذي أوردها السيد إحسان صدقي العمر كاتب مذكرات الشيخ عبدالعزيز العتيقي.. التي ربما لم تكن للعتيقي يد في ذلك التصحيف الذي يُظهر أن العتيقي هو الذي أنشأ مدرسة علي بن ابراهيم الزياني.. لا صاحبها الذي أوقفها وقفاً أهلياً خيرياً [٢٠].

وتنقل الشيخة مي في كتابها (مائة عام من التعليم النظامي في البحرين) نص ذلك التصحيف الواضح.. ليظهر أن العتيقي هو الذي بنى مدرسة علي بن ابراهيم الزياني.

واشارة الى ما يقرره المثل أن (أهل مكة أدرى بشعابها) فإن شهادة الشيخ محمد صالح

يوسف التي نحن بصدد استقرائها.. وصاحبها من أهل المحرق.. وقد أدار الإدارة الخيرية للتعليم الحديث بضع سنين تلك الشهادة هي أوضح وأدق مما كتبه السيد إحسان صدقي العمر صاحب مذكرات الشيخ العتيقي.. فإنظر الفقرة ـ٧ـ من الشهادة ماذا يقول فيها الشيخ محمد عن نشأة مدرسة الزياني وعلاقتها بالشيخ عبدالعزيز العتيقي الذي استضافه الزياني وأبقاه عنده من أجل التخطيط لإنشاء مدرسة بجنوب المحرق.. الى آخر ما أثبتته شهادة الشيخ محمد. وهو مخالف لما ذكره إحسان صدقي العمر فيما أملاه عليه الشيخ العتيقي من مذكراته حيث جاء إحسان بالجملة المصحفة الاتية:

(في تلك الفترة قام عبدالعزيز ـ أي العتيقي ـ بزيارة البحرين في شعبان ١٣٣٤هـ ـ ١٩١٥، ونزل ضيفاً على السيد بن ابراهيم الزياني ـ وكان الشيخ عبدالعزيز يريد أن ينشئ مدرسة في البحرين، وبالفعل كلف الشيخ العتيقي بكتابة النظام الأساسي للمدرسة والإشراف عليها..).. كل هذا التصحيف يشير أن الذي بنى المدرسة هو عبدالعزيز العتيقي.. الذي جاء من نجد فاستضافه الزياني فبنى الأول مدرسة ودعاها باسم مضيفة وأدارها لعام واحد وعاد الى نجد أو الكويت.. فعل ذلك تبرعاً كريماً منه ورداً على استضافته من قبل الزياني !! وهو أمر مخالف للواقع المعزز بالوثائق الكتابيه مثل محاضر الجلسات التأسيسية الثمان للمشروع، وكذلك بالشهادات الشخصية كشهادة الشيخ محمد صالح يوسف التي وضعنا نصها سلفاً.

وتجاوزاً لما نصت عليه تلك الوثائق والشهادات الشفهية من رواة عايشوا الحدث التعليمي الأول في البحرين وعملوا فيه.. فإن الهدف المؤدي الى محاولة غمط حق مؤسس المدرسة النظامية الأولى التي كانت مقراً وحيداً لمدرسة الهداية الخليفية منذ عام ١٩٢٠ لغاية ١٩٢٣م. والتي أصبحت بعد ذلك أول مدرسة للإناث في الخليج العربي بدئاً من عام ١٩٢٨ أقول أن ذلك الغمط لن يتحقق وتقف دون تحقيقه الوثيقة الوقفية للمدرسة، معززة بنصوص محاضر الجلسات التأسيسية للمشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين.

أما قول السيد إحسان صدقى العمر:.

(.. أن الشيخ عبدالعزيز . أي العتيقي . يعتبر بحق رائد التعليم الحديث في الخليج).. ففيه تصحيف أيضاً فإن مشاريع التعليم الحديثة في الخليج العربي لم تعط ريادتها التعليمية الأولى لفرد واحد انما وزعتها على جميع رواده الأول في ذلك التعليم آنذاك، وإن كانت الريادة الأولى فيه لمؤسسي المدرسة المباركية في الكويت التي تأسست عام ١٩١٢ . أما في البحرين فالريادة معقودة لمؤسسي المشروع التعلمي العظيم.

ذلك بعض تداعيات الحديث حول شهادة الشيخ محمد صالح وأغلبها عن احتفالية وضع حجر الأساس لمدرسة الهداية نواة مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين.. وعما يتعلق بتكوين تلك النواة من تفاصيل لم تنشر قبلا.

ففي الفقرة الأولى للشهادة لم يضف الشيخ محمد شيئاً جديداً على ما جاء في تقريره بقلمه المثبتة نصوصه في هذا الفصل بسوى ما أضافه من أنه هو والاستاذ قاسم الشيراوي كانا قد قاما بكتابه رقاع الدعوات للإحتفالية وقام بتوزيعها كل من محمد عبدالوهاب المشاري وقاسم بن محمد الإبراهيم. وان مجلس المشروع قدم لهما الشكر والإحترام لأنهما من مساعدي الإدارة الخيرية. إلا أن مما هو معروف أن الرجليين المشاري والإبراهيم هما من عليه القوم في الكويت.. فكيف يقومان بتوزيع الدعوات في البحرين.. ولنفرض أنهما كانا موجودين في البحرين أثناء الإحتفالية ليشاركا بحضورهما فيها.. فإنه ليس مما يعنيهما توزيع الدعوات فقد يحط ذلك من قدرهما.. ليس هناك مبرر واحد يجعلهما يقوما بمثل هذا العمل الذي ذكره الشيخ محمد سوى أنهما أخذا على عاتقهما الإشراف على توزيع الدعوات لا القيام بذلك شخصياً..

لقد عرف عن مثل هؤلاء الأخوة الكويتيين قيامهما بفعل الخير.. ومنه ما كانوا

يدعمون به المشروع بين الفنية والأخرى، ولقد أشار الشيخ حافظ وهبه بوجه عام الى هذين الرجلين وشكرهما ووصفهما أنهما مساعدي الإدارة الخيرية.. جاء ذلك في خاتمة خطبته في الإحتفالية.

هذا حول ما جاء في الفقرة الأولى من نص شهادة الشيخ محمد صالح.. أما في الفقرة الثانية منها فقد أضاف الشيخ فيها شيئاً جديداً ومفصلاً عن بعض وسائط النقل البحري الصغيرة العاملة بين جزيرتي أوال والمحرق.. كانت من أهم تلك الوسائط.. تلك القوارب الشراعية، التي تنقل الناس والدواب والبضائع قبل أن تتصل الجزيرتان بجسر المحرق الذي افتتح للتشغيل في ديسمبر ١٩٤١ ـ وعلى ذلك فإن جزيرة المحرق كانت باستمرار عرضة وهدفاً لمجيء هذه القوارب إليها.. تصل إليها من المنامة، ومن سترة، وجزيرة النبيه صالح، وأم الحصم والقضيبية.. ومع تحمل جسر المحرق منذ إفتتاحه مباشرة لأهم حركة نقل بين أوال وثغرها المنامة وبين المحرق إلا أن دور القوارب كواسطة نقل ظل مستمراً حتى خمسينيات القرن العشرين حيث بدأ ذلك الدور يضمحل وتوزعت قواربه بين العمل في صيد السمك واستجلاب الرمل والحجارة من البحر.. أما الكبيرة منها فقد طور بعضها الى سفن تجارية للعمل بين المنامة ومدينة الخبر بالمملكة العربية السعودية حيث كان لها دور كبير في نقل الركاب والبضائع. وقد تنامى دورها في توفير غالب مستلزمات تطوير مدن المنطقة الشرقية بالسعودية مثل الخبر والدمام ورأس تنورة. ولا يفوتنا هنا أن نذكر ما كان لقلة من هذه السفن التجارية من دور في نقل المياه الحلوة من البحرين الى بعض مناطق الخليج العربي من أجل تغذية المشاريع النفطية مثل التي كانت في قطر وأبو ظبي.

وبظهور جسر الملك فهد واستخدامه طريقاً يابساً بين البحرين والمملكة العربية السعودية انتهى دور تلك القوارب البخارية وتحولت الى سفن صيد سمك حيث بيع

أكثرها بأثمان زهيدة الى بحارة من الامارات العربية المتحدة وساحل ايران المجاور.

أما الفقرة الثالثة من شهادة الشيخ محمد صالح فتذكر شيئاً عن اغلاق أسواق المحرق يوم الإحتفالية ومجيئ أصحابها وكثير من روادها لمشاهدة ذلك الحدث..

وعلى ذكر أسواق المحرق فإنه كان للمدينة سوقها الرئيسي الذي كان يقع بوسطها ويدعى سوق (مُحيش) والعامة تنطقه (إمحيش) مثلما تقول: (محمد) (أمحمد). وذلك أن رجلاً بدوياً كان يقيم في الاحساء.. ويشتوبير الظهران وكان يتاجر في المواشي والأبل والحمير، ولما عمرت مدينة المحرق أوائل القرن التاسع عشر.. على زمن حاكم البحرين الثالث الشيخ عبدالله بن أحمد آل خليفة جاءها كثير من الناس المتعاملين في المواشي، وكان منهم ذلك الرجل (أمحيش) واتخذ من وسطها موقعاً لبيع مواشيه.. وبدأ الناس يطلقون على ذلك الموقع (سوق إمحيش).

أما السوق الآخر بالمحرق آنذاك فإنه كان يُدعى (سوق الخارو) وسبب تسميته أنه نشأ على زمن سوق (أمحيش) ولكنه كان ضعيف الحركة وأكثر أوقاته يكون خالياً من السلع والمرتادين.. فأطلق عليه الناس اسم (سوق الخارو) أي كالعظم الخاوي.

ونتيجة لتعاظم ورود السلع الى مدينة المحرق بسبب إزدهارها وكونها المدينة الأولى في البحرين منذ مطلع القرن التاسع عشر نشأ بغربها الجنوبي في المنطقة الساحلية التي تقع غرب شارع التجار الحالي سوق من السعف والجريد دعى بسوق المحرق حيث تميز بسعته واطلالته الرحبة على ساحل المحرق الأوسط مما هيأه لاستقبال سفن النقل الشراعية القادمة ببضائعها من المنامة، وسترة والجزيرة، وكذلك التي تأتي من خارج البحرين.

ونتيجة لذلك أزدهر هذا السوق ازدهاراً كبيراً، وتأسس فيه مسلخ المحرق الأساسي وقد أبصرته وقت ازدهاره فرأيته مقسماً الى أسواق أخرى صغيرة مثل سوق الجزارين، وسوق (الجزازيف) السماكين، وسوق الخضار والفاكهة، وسوق الحلوى،

وسوق الخردوات.. وكانت تندس بين هذه الأسواق قليل من المقاهي الصغيرة، ومثلها بعض المطاعم. وبعض تنانير شي اللحوم وأشهرها كان تنور الحاج غلوم.

وحين ألقت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأت تظهر بعض المباني الحجرية بشرقي هذا السوق وكان أكثرها دكاكين صغيرة وبعض الحوطات التي استعملت بعد ذلك زرائب لمواشي الجزارين.

ومما أبصرته في سوق الأسواق هذا وربما سينطبق ما سأقوله على جميع أسواق البحرين.. أنه كان لفئتي جزازيف وقصابي المحرق شأن وشنئان وكانت لهم طرقهم في احتكار المواشي وموارد الأسماك والسيطرة على هاتين المادتين اللحوم والأسماك والتحكم في مستوى أسعارها لصالحهم.

هذا حول ما أسلمتنا إليه الفقرة الثالثة من شهادة الشيخ محمد صالح.. أما في فقرتها الرابعة فيروي الشيخ ما شاهده من خروج نساء المحرق وتجمعهن بحي (العمامرة) هن وأطفالهن حيث أبصرهن يزغردن.. وهنا تبرز قيمة هذه الشهادة من كون صاحبها رصد بدقة ذهنية تفاصيل دقيقة عن الإحتفالية وما رافقها من حركة اجتماعية..

أما الفقرة الخامسة من شهادته فتعلن عن وجود بعض فرق الأفراح المحرقية التي شاركت في الإحتفالية.

***

هـوامش الإحتفـاليـة

كان مقر المكتب بدار الاعتماد البريطاني لمراقبة الخارج منه والداخل إيه من الخارج وكان يديره رجل هندي يدعى (أرشيا).

(١) أنظر من ص ـ ١٣٦ الى ١٣٨ من كتابنا القاضي الرئيسي قاسم بن مهزع/ مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٦.

(٢) أنظر ص ٦٧ و ٦٨ من كتابنا نابغة البحرين/ عبدالله الزائد/ ج٢/مطبعة حكومةالبحرين ١٩٨٨.

(٣) المصدر نفسه أعلاه من ص ٧٢ الى ٩٠.

(٤) انظر من ص ٢٠٨ الى ٢٩٣ ـ من مجمل زيارة أمين الريحـاني الى البحـرين عام ١٩٢٢ ـ الريحاني/ ملوك العرب ج٢/ ١٩٦٧ دار الريحاني بيروت، ونابغة البحـرين من ص ٧٢ الى ٩٥.

(٥) أنظر ص ١١٧ من كتابنا/ نابغة البحرين/عبدالله الزائد/ ط٢/ مطبعة حكومـة البحرين ١٩٨٨.

(٦) أنظر/ أنشطة المنتدى الإسلامي الثقافية من ص ٦٣/ الى ١٢٠ من كتابنا المنتدى الإسلامي بالمنامة ط/١ مطبعة حكومة البحرين ١٩٨١.

(٧) أنظر/ الحياة الجديدة في البحرين/من ص ٣٥ الى ٣٨ من كتابنا (الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين) ط/١ مطبعة المختار الإسلامي القاهرة ١٩٧٨.

(٨) أنظر/ ملوك العرب للريحاني ج٢ ص٢ ٢٨ط/بيروت ١٩٦٧.

(٩) أنـظـر/ الأنـديـة الأربـعـة وهـي: نـادي اقبـال أوال، الـنـادي الأدبـي، الـنـادي الإسلامي، المنتدى الإسلامي/ص من ١/ الى ٥٣/ من كتاب المسرح التاريخي ط/١ ١٩٨٥.

(١٠) أنظر/ص ٢١٩/ج٢/ ملوك العرب للريحاني ط/٥/ بيروت ١٩٦٧ . ونادي البحرين هنا هو النادي الأدبي بالمحرق.. المؤسس عام . ١٩٢٠ . وليس نادي البحرين المؤسس عام ١٩٣٨.

(١١) أنظر الفقرة الرابعة من ص/ ٢١٩ والأولى من ص ٢٢٠ من ملوك العرب ج٢ لأمين الريحاني/ ط٥/بيروت ١٩٦٧.

(١٢) أبـن دريـد/ هـو الشـاعـر المصـري مُهـلب بـن الحسـن بـن بـركـات بـن عـلـي البهنسي.. صاحب المقصورة التي مطلعها: ياظبية أشبه شيء بالمها رائعة بين العقيق واللوى توفي بمصر عام ٥٧٢هـ وقيل ٥٧٥ هـ.

(١٣).. وليس معنى ذلك أن تنغلق كل أمة على مصالحها الذاتية.. فإن تبادل المصالح ضروري لحياة الناس والأمم والشاعر يقول:

الـنـاس للنـاس مـن بـدو ومـن حـضـر

بعض لبعض.. وان لم يشعـروا خـَدمُ

(١٤).. وكما أنبأني الشيخ محمد صالح يوسف ما قد أشار إليه في تقريره.. أنه لم يتخلف عن حضور الإحتفالية أي من علماء البحرين وقضاتها.. ومشايخ المدارس الدينية. وهنا لا يسعني إلا ذكر بعض رموزهم وهم القضاة:

الشيخ الرئيس قاسم بن مهزع، والشيخ خلف بن أحمد العصفور، والشيخ عبداللطيف بن علي الجودر والشيخ عبداللطيف بن محمد سعد السعد، والشيخ عبدالله بن محمد صالح، والشيخ عبدالله بن ابراهيم الصحاف، والشيخ عبداللطيف بن محمود المحمود والشيخ علي الحميدان، والشيخ أحمد شرف اليماني والشيخ عيسى بن راشد بن أحمد.

كذلك فإن بين حضور الإحتفالية أهم مشايخ المدارس الدينية وأهمهم الشيخ عبدالعزيز بن جامع، والشيخ أحمد بن جامع والشيخ عبدالله بن شمس، والشيخ ابراهيم بن شمس، والشيخ عبدالرحمن بن حسين الجودر، والشيخ محمد صالح العباسي.. وآخرون..

ولقد أبصرتُ جل هؤلاء في مواقع مدارسهم أو مواقع قضائهم من أولئك الذين كانوا أحياء منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

(١٥) أنظر/ النبهاني محمد بن خليفة بن حمد في التحفة ص ٢٥٠ و ٢٥١ من الجزء الخاص بالبحرين /طبع القاهرة ـ ١٩٢٤ والقاضي قاسم بن مهزع لمبارك الخاطر/ حاشية ص ٥٢ ـ الفقرات ٥ـ الأخيرة.

(١٦) أنظر/ نابغة البحرين.. عبدالله الزائد/ الحواشي من ١٩٨ الى ٢٠٠ ـ ط/٢ مطبعة حكومة البحرين ١٩٨٨.

(١٧) إن قائمة رواتي الذين سجلت معايشتهم لأحداث اجتماعية وثقافية وسياسية حدثت أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.. كانت كبيرة وواسعة.. وجل أصحابها رحلوا الى الأخرى.

كانوا يتركزون في المنامة والمحرق.. فليس بغريب إذ أنهما المدينتان

الرئيستان في البحرين.. وقد تحدثت عن أهمهم نشاطاً وحركة من خلال كتبي السابقة.. وهم نماذج من شرائح متعددة في المجتمع البحراني، ومجتمعات أخرى في الخليج العربي. وكنت أركز فيهم على مثقفين وأدباء بدأت مساحة حياتهم منذ أواخر القرن التاسع عشر لغاية خمسينيات القرن العشرين وسبعيناته في مرات قليلة. وقد كان لعملي في محاكم البحرين لربع قرن دور أساسي في التقاط أنباء الأحداث سواء التي أعايشها أو التي أستشفها عن رواتي وهم قضاة ومحامون، وتجار وسأغطي شيئاً من تفاصيل ذلك في كتابة أخرى.

(١٨) العبرات/ أو لعبرات بالدارجة = واحدها (عبره) من عَبَر.. يعبُر/ وهو مُصطلح كان يطلق في الخليج العربي على كل سفينة شراعية صغيرة أو متوسطة الحجم، أو مثلها من الزوارق البخارية.. وكلا النوعين كان يستعمل وسائط نقل للناس والأمتعة والدواب بين شاطئ المنامة والمحرق وقد بقيت الحال هذه قروناً عديدة حتى ثم إفتتاح جسر المحرق المنامة في ديسمبر من عام ١٩٤١ وقد تحدثت عن هذه الزوارق بتوسع في نهايات الحديث حول شهادة الشيخ محمد صالح يوسف.

(١٩) (المُجَدّف) مساحة من سيف البحر أو مطلة عليه يعدها أصحاب سفن الغوص لجر سفنهم عليها وإبقائها حتى موسم غوص آخر حين ينزلونها من المجدف الى البحر للابحار بها الى مغاصات اللؤلؤ كما هو مفهوم عند أهل منطقة الخليج.

(٢٠) أنظر نص وقفية مدرسة علي بن ابراهيم الزياني بالجلسة الرابعة من المضبطة من مؤلفنا هذا.

خــاتمـــة

تلك كانت المضبطة في جلساتها التأسيسية الثمان مرفقاً بها أدبيتها الإحتفالية لوضع حجر الأساس لمبنى مدرسة الهداية نواة مشروع التعليم الحديث الأول في البحرين..

وما نود أن نقوله هنا بإيجاز أننا وضعنا المضبطة من خلال محاضرها في جلساتها التأسيسية: وما رافقها من تحقيق واستقراء بين يدي القارئ. وعمل كهذا يتميز بالخصوصية التعليمية.. لذلك فالقراء أمامه صنفان.. صنف متخصص وآخر عام.. ولهؤلاء الأعزة جميعاً نقول يجب النظر الى مثل هذا العمل كعمل وثائقي يضيف لبنة جديدة الى لبنات وضعت.. أو ستوضع تأسيساً وتشييداً في جدار التوثيق التاريخي في الخليج والبلاد العربية.. والحديث عن ذلك يطول، وتغطيه دائماً وسائط اعلامية متعددة، لا يمكن الحديث عنها وعن نشاطها المتعدد الجوانب في هذه العجاله.

ما أود أن أشير إيه أيضاً هو ما سأدعوه الآن بالتوثيق الفردي كرافد للتوثيق العام. الذي هو مسؤولية وطنية فردية كما هي رسمية.. لقد واجهتني منذ خمسينيات القرن العشرين إبان بفاعتي صعاب ربما لا قبل لكثير من الباحثين الخليجيين بها على ندرتهم آنذاك.. من أجل محاولة تذخير ما كنت أعثر عليه من مخطوطات أهلية بقصد حفظها.. وكذلك ما كان من روايات شفهية إذا أنها تقع كلها تحت مسمى مذخرات تراثية. إن تلك الصعاب التي واجهتني كما قلت نتجت أولاً عن قلة تجربتي البدائية آنذاك. وثانياً لقلة وعي الناس بقيمة ما يوجد عندهم أو ما يعثرون عليه بالصدفة من مذخرات خطية أو أدوات منزلية أو تجارية. من تلك التي تنم عن بيئتها التي وجدت فيها.. سواء حضرية أو بدوية. مما خلفه الماضون في مختلف الحقب الزمنية ككتابات شعرية أو روائيه، أو بحثية.. أو كالتشكيل والتخزيف، والتفخير.

وحين نقترب من تحديد صنف أي مذخر كتابي مهم نجد أن أهم ما يتوكأ عليه ذلك المذخر هي مثلاً تلك المذكرات الرسمية أو الشخصية ومثلها الرسائل المتبادلة كالتي كتبها أصحابها واستبطنوها همومهم بوصف أحداث مرت بهم.

إن هناك من المذخرات الكتابية المهملة أو الضائعة.. أو التي في الطريق الى ما لا يعلم من وجدت عنده بقيمتها.. ربما المهمة جداً في وصل حلقات فصل أو فصول في تاريخ الثقافة والفن والأدب ، أو مثل ذلك في السياسة والاجتماع، مما قد تكونه تلك الحلقات من سلسلة متينة متساوقة تعين الباحث في هذا المجال في تكوين صورة حقيقية أو قريبة من ذلك الذي يسعى في تحقيقه.

إن من المذخرات الكتابية الفردية ما تكون فيما كتبته رأياً محلياً يمثل الصوت المحلي أو الأهلي أو جزء منه.. وهو وإن جاء مغايراً في تعبيره عن الصوت الرسمي وخاصة في الدول المستعمرة أو المحمية بغض النظر عما تعنيه المصطلحات قديماً أو حديثاً.. ولكن ذلك الصوت المحلي أو الأهلي هو صوت آخر يصدر عن أولئك المستعمَرون أو المحميون الواقعون تحت سلطة أجنبية استغلالية تجبي خيرات بلادهم وترمي لهم بالفتات مثلما كانت تفعله الدول الاستعمارية الغربية وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا. والكلام في هذا الشأن يطول وقد سبقنا الى مثله كثيرون من كتاب التاريخ السياسي.

كذلك فإن من مكونات ذلك الصوت مذخرات الحجج والصكوك والعقود، والمذكرات إن وجدت وكلها تساعد إذا ما استقرئت على معرفة حركة ونمط الحياة التي عاشها من خلفها كمذخرات من تلك التي سجلت فيها أحداث أسعدت أصحابها أو أرهقهم.

ومن مكونات ذلك الصوت ما تكون من الشعر.. والشعر ديوان العرب، ولا يزال.. فمثلاً ما يتعلق ببعض قضايانا المحلية ذات الأحداث المهمة كان للشعر دوره ربما كأول

إشارة إليها في مساحة الحقبة التي نتحدث عنها في الخليج العربي.. والتي لم يهتم أهلها إلا قليلاً في تدوين الأحداث التي مرت بهم في حياتهم.. ولم يقيموا وزناً لمذخرات كتابية إذا ما وجدت عندهم.

إذن فدور الشعر أيضاً كوسيلة إبانة عن الأحداث التي أشار إليها دور مهم.. ففي حقبتنا هذه التي نتحدث عنها كان لشعر شعراء خليجيين دور مهم أيضاً في الكشف عن بعض الأحداث المهمة التي عاصروها.. مثل شعر أبو مسلم الرواحي صاحب المقصورة الشعرية في العصر الحديث.. ومثل شعر العويس الكبير، والمعاودة، وسلطان بن سليم، وخالد محمد الفرج ومحمد بن ابراهيم الخليفة.. وهذا الأخير أبان لنا عن بعض أحداث مهمه وقعت في البحرين والخليج العربي وجدناها في بعض مضامين شعره مثل قوله في اعتقال الاستاذ الشاعر قاسم بن محمد الشيراوي عام ١٩٢١ ونفيه من قبل سلطة الحماية البريطانية الى الهند:

أقاسم إن القوم ماتت قلوبهم

فلم يفهموا في السِفر ما أنت كاتبه

الى الآن لم يرفع ظلام حجابهم

فمنذا تناديه ومنذا تخاطبه

كذلك فإن في مذخراتنا الأهلية اضافات شعرية غنية جاءت في شعر شعراء مجيدين حملوا فيما حملوا من هموم شؤونا وشجوناً خليجية وفي مقدمتهم سوريين وعراقيين وكمثال على ذلك في قصيدة قالها الشاعر العراقي المعروف محمد صالح النحفي (بحر العلوم) في رثاء سمو الشيخ الجليل عيسى على الخليفة عام ١٩٣٢ بحفل المنتدى الإسلامي التأبيني الذي انعقد في المنامة.

الأرض تـــرجـف والسمـــاء تمـــور

والـــريـح تنسف والخـــليــج يفـــور

والجـــو ينحب والطبيعـــة شـــاعـرُ

ينـعــى وشعـــر دمـــــوعـه منشـــور

وبحديثنا هذا عن المذخرات شؤونها وشجونها، وذلك في اطلالة سريعة نكون قد أوجزنا الحديث عن المضبطة واحتفاليتها كمذخر كنا تحملنا به ورعيناه منذ سبعينيات القرن العشرين حيث أشرنا بشيء قليل عنه في كتابنا (القاضي الرئيس قاسم بن مهزع).

والله من وراء القصد،

مبــارك الخـــاطر

آب/ ٢٠٠٠

* دراسات خليجية ـ 11
* مضبطة المشروع الأول
للتعليم الحديث في البحرين
* 1919 ـ 1930
* الجزء التأسيسيّ

ملحق

بالصور والوثائق المهمة

المضبطة / تحقيق واستقراء / مبارك الخاطر / البحرين 2000

— نص التحرير —

بسم الله الرحمن الرحيم

الحيئة الحميدة أم النهضة العلمية العربية

جزيرة البحرين الواقعة في الخليج العجمي مشهورة من أقدم الأزمنة بلؤلؤها الذي يضرب بجماله الأمثال فهو حلية تيجان العظماء والملوك وزينة العقود .

هذه الجزيرة المباركة الطيبة تحكمها لهذه العهد حكومة عربية وحاكمها الحالي هو جلالة الملك العادل الشيخ عيسى بن علي آل خليفة جلس على عرش حكومتها أكثر من خمسين سنة وكانت قبل جلوسه كبعض الولايات العربية الخالية من التنظيمات والاصلاحات العصرية في ذلك العهد وبعد أن تبوأ جلالته أريكتها أخذت في الترقي والتقدم حتى بلغت شأواً عظيماً في التجارة والعمران والزراعة ولاسيما التجارة فقد فاقت سائر البلاد العربية في الخليج العجمي وبفضل عدالة جلالة ملكها العادل المحبوب يتمتع جميع أهاليها وسكانها على اختلاف المذاهب والأديان بكامل الطمأنينة والرفاهية هذا الملك الجليل له من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ما جعله كعبة الآمال ومؤئل القصاد وفي أيامه حفظه الله قام باصلاحات خطيرة أهمها تأسيس مجلس بلدي ومستشفى ومدرسة علمية وعهد برئاسة ادارة الجميع الى أحد أولاده الشاب الغيور الذكي صاحب السمو الشيخ عبدالله ونحن نزف الى القرآء الكرام خبراً عن الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس هذه المدرسة التي تُدعى (مدرسة الهداية الخليفية) أعلن حضرة صاحب السمو رئيس ادارتها المعظم انه سيكون الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس المدرسة صباح يوم الاثنين رابع شهر ربيع الأول ١٣٢٩ م في الساعة الثانية والنصف عربية فنُصب سرادق فخيم فرشت فيه السجاجيد العجمية الثمينة وَوُضعت فيه المساند العربية النفيسة وقد دعا حضرته الأكابر والعظماء من العائلة المالكة والعلماء والأعيان والوجهاء الى الحضور والاشتراك في الاحتفال فما كاد الموعد يجيء حتى أقبل المدعوون وغيرهم من الأهالي وعلى وجوههم سيماء الفرح والسرور وجلسوا كل في الموضع المعد له وفي الساعة الثالثة وصل جلالة الملك الشيخ عيسى بن علي وفي معيته الملوكية صاحب السمو ولي العهد الشيخ حمد ونجله الثاني الفاضل صاحب السمو الشيخ محمد حفظه الله بهما فاستقبله الحضور بما يليق بجلاله من الاجلال فقابلهم حفظه الله بما عُهد به من البشر والحفاوة والترحاب

وأقبل على نجله المعظم رئيس الادارة الشيخ عبدالله وقال له ستضع الحجر الأول في أساس المدرسة أولا وبعد ذلك نقصد السرادق للجلوس وسماع الخطب فقال له على امركم يامولاي فتقدم جلالة الملك الرحيم بوضع الأساس ووضع يده المباركة على الحجر الأساسي وأمر بتمكينه في الأرض وناوله البناء قليلا من الاسمنت فوضعه بين الحجرين (وهذا الحجر الأولي في أساس سور المدرسة الجنوبي من ناحيته الغربية على بعد ذراعين من زاوية السور) ثم قصد جلالته السرادق للجلوس وتبعه الجميع وبعد ان استراح هنيهة أديرت فنا جين القهوة ثم قام حضرة رئيس الادارة وقدم واجب الشكر لجلالة والده المعظم وشكر الحاضرين وناول خطابه لكاتبه الأول وسكرتيره الخاص حضرة الشاب النجيب الشيخ قاسم بن محمد الجيلاني ليقرأه ~~فقام حضرته وتلا بلسان فصيح الخطاب الآتي~~ حضرته وتلا بلسان فصيح الخطاب الآتي

خطاب الرئيس / نص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين

ليست الأعياد الا أياما من السنة تحل من اسباب السرور والفرح ما يجعل عامة الأمم تحتفي بالتهاني والانشراح وهل يكون عيد اسعد من عيد اليوم اجتمع فيه الشعب من سائر طبقاته من امير الدولة كي يشتركوا في وضع اول حجر للعلم في هذه الجزيرة المباركة اني اشكركم شعوره بأن ذلك يبلغ سرورنا وآمالا كبارا لأننا قد غرسنا أول غرس الحياة الصحيحة وسيكون سروري وسروركم مضاعفا عندما يثمر غرسنا الثمر الشهي وهنالك يصح أن نغبط أولادنا على ما أولوا من نعمة العلم في مجتمعهم الراقي الذي سيعيشون فيه ونتمنى أن لو كنا صغارا كي نشاركهم في حياتهم السعيدة وجيلهم السعيد ولكن لاتنسوا أن اولادنا سيحبوننا من أعماق قلوبهم لأننا أورثناهم تلك النعمة العظيمة فاللهم أمد في أعمارنا لنرى ذلك اليوم السعيد وامد في عمر والدنا المبارك ليقر عينا بما غرست يداه واني لا يسعني الآن الا شكركم جميعا على حضوركم ومساعدتكم ايانا في أعمالنا وان كان لاشكر على واجب فنسأل الله ان يعصمنا من الزلل وأن يوفقنا جميعا لخير الدين والدنيا انه نعم المعين ثم أذن الرئيس للخطباء بالخطابة على حسب الترتيب المعين لهم فقام حضرة الاستاذ الشيخ حافظ وهبه نزيل البحرين وألقى هذه الخطبة التالية :—

خطاب حافظ وهبه —

بسم الله الرحمن الرحيم

← يا أزاهرة

يا ذخيرة البلاد ويا ملاذ العباد وضعت اليوم اول أساس للعلم والفضيلة فهدمت حصنا من حصون الجهالة وقوضت ركنا من اركان الرذيلة سيذكرك التاريخ ما بقيت اعمالك سيضم الى صحفه صحيفة بيضاء مملوءة بآثارك ومساعيك المباركة

لقد بذرت اليوم أبرك البذور وأنفعها وستجني ثمار زرعك بعد قليل ان شاء الله ان عرش الملوك لا تؤيده الا بالقلوب والمحبة الصحيحة ولا محبة أفضل من المحبة التي يجددها العلم ويكونها العرفان أروني أمة بلغت مناها بغير العلم أو حد اليماني

ايها الشيخ الوقور انك ستكون نعم المثل لأمثالك من الملوك والأمراء انك قد ذكرتنا اليوم بما كان يقوم به سلفك الصالح واجدادك العاملون فقديما شيدوا دور الحكمة والعلم وانشأوا المستشفيات والملاجئ فخدموا دينهم وبلادهم أفضل خدمة فأين الفقهاء الأطباء واين المحدثون الحكماء واين ملوك الكلام لقد درسوا ولكنهم أحياء في قلوبنا بما نذكره من الأعمال الخالدة فلعلك اليوم قد وضعت اول حجر للحياة الصحيحة المباركة

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

وان من أدبته في الصبا كالعود يسقى الماء في غرسه

حتى تراه مورقا ناضرا بعد الذي أبصرت من يبسه

ايها النجوم الازاهر لقد وضع والدكم هذا الأساس ليعلمكم كيف تكون قوة الارادة وكيف يكون العزم يدفع صاحبه الى تجشم المتاعب والمشقات لايبالي بما يلقى في طريقه مادام يقصد الخير العام فحوطوا هذا البناء بعنايتكم واسهروا عليه بعين لا تنام فان ذكراكم ببقائه وانتفاع الناس منه وانكم بالمحافظة عليه والقيام بمهامه ستكونون القدوة الحسنة لرعاياكم والمثال الأعلى لأبنائكم فكونوا عند ظننا بكم ويقيننا فيكم فانكم نعم الأشبال من ذاك الأسد .

ايها العلماء المرشدون لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فهو اول معلم لهذه الأمة واول منقذ لها من ظلمات الجهالة لقد كان قائدها في الحروب ومرشدها الى طرق الخير اني اذكركم بما فعله سيد الأمة في غزوة بدر حيث كان يفتدي فقراء الأسرى من المشركين بنفر

يعلمونهم القراءة من المسلمين فهل ترى درسا يلقيه على الناس خيرا من هذا الدرس وهل ترى حرصا لتعليم الأمة القراءة ~~من المسلمين~~ ابلغ من هذا الحرص انكم أدرى بواجباتكم نحو هذه الأمة من النصح والارشاد فلا تأخذكم في الحق لومة لائم واعلموا ان شيخكم الجليل وأميركم الوقور لم يضع هذا الحجر على الأرض بل وضعه على عواتقكم لأنه لا يقوى على حمل هذا العبء سواكم فمن حاول ان يتنحى عن هذا الحمل الواجب فعليه تبعة عمله انكم قبلة الآمال ونعم الأنصار ظننا بكم انكم اعوان للحق اعداء للباطل وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ان ثقتي بكم لا تتزعزع فالامر حقق فيكم الرجاء.

ايها العلماء أنتم مصابيح الهداية ومنار السالكين وقدوة العاملين يسروا ولا تعسروا أحيوا ما اندرس من آثار السلف وأحيوا موات القلوب بالارشاد وان الله لا يضيع اجر من أحسن عملا ازرعوا الخير تجدوه ألفوا بين القلوب ولا تجعلوا منافذ للمفسدين ينفثون منها سمومهم ابتغوا بأعمالكم وجه الله ونصرة دينه فانه لابد مؤيدكم وناصركم فان الله لا يؤيد الا الحق ولا يمد الا اهل الخير والنيات النقية الطاهرة فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض

ايها الأعيان ظاهروا حكامكم في عمل الخير وأمدوهم بأموالكم وافكاركم فان لكم من التجارب والعلم بامور الدنيا ما لا يصح اغفاله لا تظنوا ان العلماء اعداء اهل الدنيا وان دينكم يحتقر التجارة والصناعة فان كل ذي عمل شريف محترم ولقد كان الصحابة وهم اعلم الناس بالدين يشتغلون بسائر الحرف فمنهم التاجر ومنهم القصاب ومنهم العامل الى غير ذلك من أنواع المهن لأن تكون تاجرا عالما خير من ان تكون تاجرا جاهلا لا تعرف ما يجب لدينك ووطنك عليك اذا كنت عالما فانك تستطيع أن ترتب أعمالك ولا تغامر ولا تخاطر في معاملتك بل تسلك فيها سبيل العقل والتروي انه لا يزين الغني جماله وماله وانما يزينه عمله الصالح وان ابواب الخير كثيرة وهي مفتوحة لكل من يريد ولوجها

ايها الاخوان الحاضرون اننا لا نريد بهذه المدرسة الان نحيي آثار السلف الصالح وتكون

كعبة كل قاصد وطالب انما نريد ان تكون حلقة الاتصال بين العلماء والأدباء وانما نشكر كل
من يؤيدها بماله وفكره وانما نتقبل بسعة الصدر كل ما يقدم الينا من النصح فالحكمة ضالتنا والخير
قصدنا والفضيلة غايتنا واحياء معالم الدين غرضنا الأسمى نريد ان نربي النشئ على مبادئ
الفضيلة ومكارم الاخلاق وانما الامم الأخلاق ما بقيت وان همو ذهبت اخلاقهم ذهبوا
فاللهم وفقنا الى عملنا واهدنا الى سواء الصراط لا تجعل للهوى سبيلاً الى قلوبنا وقنا
شر أنفسنا لا معين غيرك ولا ناصر سواك تعلم ما انطوت عليه جوانحنا وما أسررنا وما أعلنا
ندعوك أن تمد في عمر هذا الشيخ المبارك وتوفقه لرضائك وأن ترعى أولاده بعنايتك وتكلأهم
برعايتك وان تجعلهم للحق معينين وللعدالة مؤيدين استغفرك من الزلل إن اريد الا
الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ثم نهض حضرة
العلامة الشيخ عبدالوهاب بن حجي الزياني عضو الادارة وألقى الكلمات الآتية
خطاب الزياني/نص
بسم الله الرحمن الرحيم /
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله واصلي واسلم على سيدنا محمد
وآله والمتبعين لهداه اما بعد فان أيام السرور في هذه الحياة قليلة وان المسرات الحقيقية
والسعادة الهنية لا تكون الا في الأعمال التي يبقى اثرها دائما مستمرا وليس لدينا من وسائل
الأعمال ما يجلب الافراح ويسر البال واني حيثما التفت لا ارى الا ما يفتت الاكباد ويضاعف
الحسرات من فشو الجهل وفتكه في الأفراد والعائلات وفساد الأخلاق وسوء المعاملات
أفي بذور الجهل راحة وسرور ام مع الشقاق والخلاف تصلح الأمور كلا لقد كان التاريخ
اثبت شاهد لأسلافنا الماضين وبلادنا معشر المسلمين فانها كانت قديما معهد الحضارة والعرفان
ومصدراً لأنوار العلوم والبيان لقد كان منا نوابغ العلماء المشرعين والنبلاء المفسرين
والمحدثين ومنا الأطباء الحذاق والمهندسون ومنا الصناع المهرة في جميع الفنون لقد
اينعت بلاد الاسلام الغربية واخصبت خصبا كاد يفوق اخصاب الشرقية اما الآن فقد اجدبت
بلادنا العربية من العلم والعلماء وصرنا كالأجانب عن لغتنا الشريفة حتى كادت ان تبرأ من نسبتنا

إليها لأنا ما حفظنا عهدها ولا قدرناها قدرها ولولا ما جادت به مصر ونوابغ علمائها من الكتب والمؤلفات
لقضي علينا القضاء الأخير لقد ساورتني هذه الأحزان زمناً غير يسير من حياتي ولكن أراني
اليوم أشعر بهزة فرح وسرور غير عادي لما منّ الله به من هذه العناية بفضل همة مليكنا المعظم وانجاله
الميامين الفخام وذويه النجباء والأعيان الكرام بعد أن شعروا بحاجتهم للعلم فجادوا ببذل الأموال
وهيأوا لبذر بذور العلم بأحسن طريق ينال وشرفونا بحضورهم في هذا اليوم السعيد الذي سنجعله
أكبر أعيادنا وأسعد أيامنا للاحتفال بوضع أول حجر في أساس معالم العلم المجيد فما أسعدني اليوم وأبهجني
إذ أرى جلالة مليكنا المعظم مع أنجاله الكرام يتشرف بحضور شخصه لهذا المحفل المنيف وما أعظم سروري إذ
أرى أسرته الملوكية والأعيان من الرعية يتسابقون مهتدين بهديه مفتخرين بتشييد مدارس
العلم ومعالم الهدى فأسألك اللهم أن تلحظنا بعنايتك وتكلأنا برعايتك وأن تحفظنا من خطل
الرأي وعثرات الفكر ونضرع إليك أن تديم لنا بقاء أيام جلالة ملكنا المعظم المحبوب وسعادة أنجاله
المحترمين أنك حسبنا ونعم الوكيل وبعد أن انتهى من خطابه قام الشيخ محمد صالح بن يوسف فألقى
الخطبة الآتية بسم الله الرحمن الرحيم خطاب / محمد صالح يوسف

أيها السادة في هذا الشهر المبارك شهر ربيع الأول كانت ولادة سيدنا سيد المرسلين وأعظم المصلحين
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بُعث بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم وأشرقت أنوار تعاليمه الحكيمة
في سائر أرجاء العالم في هذا اليوم السعيد يوم الاثنين رابع هذا الشهر المبارك قد اجتمعتم هذا الاجتماع
المشكور لتشتركوا في الاحتفال بوضع الحجر الأول في أساس مدرسة الهداية الخليفية اجابةً لدعوة صاحب
السمو رئيس إدارتها الخيرية الشيخ عبدالله أطال الله بقاه وقد وضع جلالة الملك المعظم الشيخ
عيسى بن علي أدام الله عزه وإجلاله وحفظ وجوده ومتعه بالصحة والعافية الحجر الأول في أساسها
وهو عادة من أفضل العوائد التي جرى عليها أعاظم رجال الإسلام وأكابر رجال أوروبا احتفاءً
ببذور العلم وإعظام شأنها بوضع حجر على حجر يتكون ويرتفع ويبناء الجدران وتوابعها يكمل البناء
ويتم هذا المعهد العلمي الذي نسميه (المدرسة) وهكذا أيها السادة كل شيء في الكون ينشأ
ضعيفاً ثم يقوى ويبتدأ صغيراً ثم يعظم وإذا رأيت من الهلال بدوه أيقنت أن سيصير بدراً كاملا

وأول الغيث قطر ثم ينسكب وهذه سنة عامة في الكون تشمل جميع الكائنات من مخلوقات ومصنوعات

ايها السادة الحياة في هذه الدنيا وإن طالت قصيرة وانما يثاب المرء على أعماله الصالحة

قال الله تعالى: وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى

ويعيش المرء العيشة الحميدة بآثاره الحميدة النافعة في حال حياته وبعد مماته وبها يطيب ذكراه على لسان محبيه واصدقائه ويخلد اسمه في بطون الصحف والتواريخ

وانك فكري كنت حياً وميتاً وذكرك إن زان الفعال يطيب

وقال آخر: وانما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن وعى

واحسن من ذلك كله قول الله عز وجل: أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وقال تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين. وافضل الآثار والأعمال الصالحة تشييد معاهد العبادة والعلم أما معاهد العبادة من المساجد والجوامع فهي ولله الحمد على حد الكفاية والضرورة داعية والحاجة ماسة الى تشييد دور العلم ومعاهد الدرس والتعليم وهي أهم وأوجب من غيرها من الأعمال بل الأعمال في جميع أنواعها وأحوالها لا تكون سديدة ونافعة بغير العلم حتى العبادة نفسها لا تصح ولا تجدي بدونه قال الله تعالى: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الالباب وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء ايها السادة: العلم يصقل الأذهان ويشحذ القرائح ويغذي العقول ويفتح بصيرة الانسان فيشاهد الحقائق ويرى الأمور كما هي في الحقيقة ونفس الواقع ويرشده الى كيفية استخدام مواهبه الطبيعية فيما خلقت لأجله ويعرفه بأنه أشرف المخلوقات وأكرمها عند الله وان جميع ما في الكون ما عداه مخلوق لأجله مسخر بتدبيره وبقوة علمه يستخدم البخار والهواء ويصنع المراكب الغواصة في البحر والطائرة في الجو ويصرفها كيف يشاء وآثار العلم في الكون آثار حياة ونشاط واصلاح وعمران فأينما يكثر العلم ويذكو تذكو آثاره

ويرتفع شأن أهله وتصلح أحوالهم ويكتسبون بها قوة ومنعة وسطوة وعزة فيكون الفوز لهم في ميادين الأعمال ومعترك الحياة والجهل سبب الضلال والشقاء والخسران والخذلان وإماتة الشعور وذهول الفكر وعمى البصيرة وخراب البلاد وشقاء أهلها والجاهل عدو كل صلاح وإصلاح يتخبط في جميع أعماله على غير هدى ويستسلم لعوامل الردى فيؤخذ على غرة ويكون سلاحها الأعداء ووبالاً على نفسه وأمته وهو في أعماله عدو نفسه فكيف يكون صديقاً لغيره

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

قال الله تعالى:- أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال الشاعر:

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم يكن للمبصرين بصائر

أيها السادة: ان أكبر والد عدو للشرق والشرقيين عموماً وللإسلام والمسلمين خصوصاً في العالم كله هو الجهل وحده لا يشاركه في ذلك سواه هذا العدو العظيم هو الذي بدد شمل المسلمين وفرق جمعهم ومزق جامعتهم وأخرهم عن المعالي وحرمهم من المصالح والمنافع وأحوجهم لغيرهم من الأمم في كل شيء حتى في الطعام واللباس وهو الذي أذهلهم عن كل شيء حتى عن أنفسهم وهو الذي خدر أعصابهم وشل أعضاءهم وغطى على بصائرهم هذا العدو العظيم اللدود لا يدفع ولا تكسر شوكته إلا ببناء هذه المعاهد فبالإكثار منها في بلاد الإسلام ونشر العلم بين أبناء المسلمين تتنور أفكارهم وتحيى نفوسهم ويتجدد لهم شعور وإحساس فيعرفون الواجب عليهم لأنفسهم وأمتهم وأوطانهم ويميزون بين الأشياء في المنافع والمضار ويدركون مصادر الأمور ومواردها المدرسة محل الدرس ومعهد التعليم ولنا أن نسميه معملاً صناعياً لصقل وشحذ قرائح المتعلمين وهذا المعمل بمن فيه من الأساتذة والمعلمين هو المعمل الحساس الذي يتعلم فيه أولاد اليوم ورجال الغد وصغار الوقت الحاضر الذين من الجائز أن يكون بعضهم عظماء في المستقبل هو الذي يتكفل بترقية مدارك الناشئة وبتغذية عقولهم ان عظماء الغرب في الزمن الحاضر كانوا في مبدء أمرهم صغاراً يتعلمون أحرف الهجاء في المدارس

ويرتفع شأنه أهله وتصلح أحوالهم ويكتسبون بها قوة ومنعة وسطوة وعزة فيكون الفوز لهم في ميادين الأعمال ومعترك الحياة والجهل سبب الضلال والشقاء والخسران والخذلان وامانة الشعور وذهول الفكر وعمى البصيرة وخراب البلاد وشقاء أهلها والجاهل عدو كل صلاح واصلاح يتخبط في جميع أعماله على غير هدى ويستسلم لعوامل الردى فيؤخذ على غرة ويكون سلاحا للأعداء ووبالاً على نفسه وامته وهو في أعماله عدو نفسه فكيف يكون صديقاً لغيره

لا يبلغ الأعداء من جاهل ما يبلغ الجاهل من نفسه

قال الله تعالى — أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقال الشاعر :

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها اذا لم يكن للمبصرين بصائر

ايها السادة : ان اكبر والد عدو للشرق والشرقيين عموما وللاسلام والمسلمين خصوصا في العالم كله هو الجهل وحده لايشاركه في ذلك سواه هذا العدو العظيم هو الذي بدد شمل المسلمين وفرق جمعهم ومزق جامعتهم وأخرهم عن المعالي وحرمهم من المصالح والمنافع وأحوجهم الى غيرهم من الأمم في كل شيئ حتى في الطعام واللباس وهو الذي أذهلهم عن كل شيئ حتى عن انفسهم وهو الذي خدر اعصابهم وشل اعضاءهم وغطى على بصائرهم هذا العدو العظيم اللدود لا يدفع ولا تنكسر شوكته الا ببناء هذه المعاهد فبالاكثار منها في بلاد الاسلام ونشر العلم بين ابناء المسلمين تتنور افكارهم وتحيى نفوسهم ويتجدد لهم شعور واحساس فيعرفون الواجب عليهم لأنفسهم وأمتهم وأوطانهم ويميزون بين الأشياء في المنافع والمضار ويدركون مصادر الأمور ومواردها المدرسة محل الدرس ومعهد التعليم ولنا ان نسميه معملا صناعيا لصقل وشحذ قرائح المتعلمين وهذا المعمل بمن فيه من الأساتذة والمعلمين هو المعمل الحساس الذي يتعلم فيه أولاد اليوم ورجال الغد وصغار الوقت الحاضر الذين من الجائز أن يكون بعضهم عظماء في المستقبل هو الذي يتكفل بترقية مدارك الناشئة وبتغذية عقولهم ان عظماء الغرب في الزمن الحاضر كانوا في مبدء أمرهم صغارا يتعلمون أحرف الهجاء في المدارس

فاستمروا على التعلم واجتهدوا في تحصيل العلوم وفازوا وتقلدوا الوظائف العالية والمناصب السامية
ونفعوا امتهم واوطانهم وكان طريقهم العلم ساروا فيه وتوسلوا به فوصلوا وكل من سار على الدرب
وصل ومن جد وجد والآمال بالأعمال لا بالتمني والله الموفق فالواجب على الهداة والمصلحين
الذين تهمهم مصلحة المسلمين ان يرغبوهم في الاستضاءة بنور العلم الصحيح لكي يسيروا في طريقهم
المظلم على نور وهدى وان يكثروا من تشييد المدارس ومعاهد العلم والتدريس في جميع انحاء البلاد
ففي ذلك صلاحهم وحسن مستقبلهم
أيها السادة : ان هذه المدرسة حسنة من حسنات جلالة الملك العادل سيدنا الشيخ عيسى أيده
الله وأثر من آثاره وبركة من بركاته فبفضل وجوده وجوده وترغيبه ومساعدته المستمرة تؤسس
هذه المدرسة وتبنى وتقوم بواجبها وتؤدي وظيفتها وآثاره العديدة في اصلاح البلاد وراحة العباد
وطمأنينة الرعايا ورفاهيتهم كلها شاهدة بما تنطوي عليه نفسه من حب العدل والانصاف وحب الخير
لرعاياه والمستظلين بظله المديد من جميع الأصناف فنسأل الله ان يطيل لنا عمره ويمتعنا ببقاه
ويؤيده بعنايته ورعايته في جميع الأحوال على الدوام وانا ننتهز هذه الفرصة لتقديم جزيل
الشكر والثناء الى جلالته والى سمو الشهم الهمام المعظم ولي العهد الشيخ حمد والى سمو الشهم
الغيور المحترم الشيخ محمد والى سمو الشهم المصلح الأفخم الشيخ عبدالله والى حضرة العلامة الفاضل
الشيخ ابراهيم بن محمد والى جميع أفراد العائلة الخليفية فانهم هم الذين قاموا بتشييد هذه المدرسة
وتأييد مشروعها وجمعوا المال لها وأعانوها بالمبالغ الطائلة وقد أخذ صاحب السمو الشيخ عبدالله
على عهدته القيام بادارتها وتنظيم شؤونها فاختار لها الاكفاء الخبيرين بادارة المدارس وترتيبها
وكذلك نقدم الشكر الجزيل الى جميع اعضاء الادارة الخيرية والمساعدين وأخص من بينهم
الشيخ محمد بن عبدالوهاب المشاري والشيخ قاسم آل ابراهيم ونسأل الله أن يجزي الجميع خير
الجزاء وجزاء الخير ويمتعهم بالصحة وسلامة الحياة وطول العمر ودوام التوفيق وانا نشكر جميع
المدعوين والمجتمعين على حضورهم واجتماعهم للاشتراك في الاحتفال بالتأسيس وارجو الله ان
يوفقهم للاجتماع المتواصل في المساعي الخيرية فان الخير والسعادة في الوحدة والاتحاد والتوحيد

أيها السادة : ما أحسن الاتحاد والاتفاق والاجتماع والوفاق والتحبب والتآلف بين سائر العناصر والأجناس وما أجمل ارتباط العالم الإنساني بالمحبة المتبادلة والمودة المشتركة لتبادل المصالح والمنافع وارتباط العالم بعضه ببعض فالخير في أن يعيشوا أصدقاء ويحسبوا أنفسهم أخوة أشقاء ومع ذلك ينبغي أن لا تنسى كل أمة واجباتها الخاصة نحو أمتها ووطنها وتحرص على حفظ كرامتها والواجب يقضي بالجد والاجتهاد فما يفلح ولا يسعد إلا العاملون المجدون

أيها العلماء : أنتم أعرف الناس بمزايا العلم وفوائده فعليكم أن تقوموا بواجبكم الديني في التعليم والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشويق الناس إلى اكتساب المعارف والفضائل وترغيبهم في مساعدة الاصلاح والمصلحين فإذا قصرتم في ذلك ولا أخالكم تقصرون فعليكم المسؤولية أمام الله والناس والله ولي الهداية والتوفيق / ثم قام الأديب الفاضل الشيخ عبدالرحيم بن حسن الخنجي وخطب خطبة بليغة مهمة استحسنها الحاضرون وتأثروا من عباراتها العذبة ومعانيها الرشيقة وتلاه حضرة الدكتور المولوي عبدالرزاق النقشبندي وارتجل خطبة مختصرة وجيزة جمعت جوامع الكلم وجواهر الحكم وبعده قدم الشيخ محمد صالح قصيدته لجناب المطرب الشاب النجيب محمد بن الشيخ عبدالله الملا أحمد فألقاها إلقاءً حسناً طرب له الحاضرون وأثنوا على منشئها وكانت هذه القصيدة مسك الختام وانتهى الاحتفال قريباً من الساعة السادسة والحمد لله أولاً وآخراً

بسم الله الرحمن الرحيم قصيدة في اهمية احراز العلم والثروة ومدح سيدي الشيخ عبدالله وجلالة الملك المعظم الشيخ عيسى بن علي آل خليفة وفيها الإشارة الى تأسيس مدرسة الهداية الخليفية ومدح مؤسسها لمنشئها محمد صالح يوسف في ٢٦ محرم ١٣٤٩

خير المآثر في مدى الأزمان   اثر يُشاد لخدمة الإنسان

واجلّ بنيان وأشرف معهد   دار العلوم وصيقل الأذهان

والمرء في الدنيا يكون علوّه   بالمال يُحرِزُهُ وبالعرفان

والمال والعلم الصحيح وسيلة   لتقدم الإنسان والأوطان

والمال يجمع من طريق صناعة   وتجارة وزراعة القيعان

وحكومة تقضي بحكم عدالة   وشريعة واهانة وأمان

فابذل هُديتَ المال في سبل الهدى   والخير والمعروف والإحسان

واحرص على الذكر الجميل فانه   يبقيك بعدك وهو عُمْرٌ ثاني

والفقر شر في الوجود وآفة   وسبب للعار والخسران

وهو الذي يدعو الى الفعل الجرا   ثم والخنا في سائر البلدان

والعلم نور للأمور يضيئها   وينير حالكها بكل مكان

فاحرص على كسب العلوم فانها   تهدي وتكشف حيرة الحيران

وهي السبيل لنيل اسباب العلى   والمجد مع احراز رفع الشأن

وهي الحصون لمن اراد مناعة   وهي السلاح لنجدة الشجعان

والجهل اصل للشقا وضلالة   ومخرّب ومسلّط العدوان

وهو المذل لأهله وعبيدهم   وهو المقوض هيكل العمران

لا ينفع الجهل الجهول وان يمي   لبني قريش أو بني قحطان

كلا ولا يجدي الثراء مع الجها   لة والغنى في النفس لا الهميان

المال والعلم الصحيح كلاهما   في صالح الإنسان مشتركان

واعلم بأن الجمع بينهما معاً   يغني عن الأجناد والأعوان .

بها تنال الغاية القصوى فجد … بها معاً في طاعة الرحمان

وابذلها في صالح الأقوام والـ … اعمال والأوطان والاخوان

واعلم بأن المرء يقضي نحبه … وجميع ما في الكون كل فاني

والباقيات الصالحات جزاؤها … خير وخير الذكر في القرآن

تتلى مناقب صاحب الآثار والـ … أعمال في التاريخ بالبرهان

ويعيش بالذكرى ويُعرف انه … قد كان للعلياء افضل باني

والعلم بالتعليم يدرك كنهه … وثماره بالدرس يجني الجاني

وطريقة العصر الجديد مفيدة … في الدرس والتعليم والتبيان

ان المدارس للعلوم مناهل … وبعيدها فيها قريب داني

يرتادها من يرتجي درك العلى … ويريد ان يسمو على الأقران

قد قام بالتأسيس شهم حازم … هو اول في المكرمات وثاني

في الرأي قيس والفروسة عامر … في الحلم احنف في هجا لقمان

في العدل فاروق وعمرو في الدها … بوفا السموءل مع تقى سلمان

كرمت خلائقه وعز نظيره … في الرأي والتدبير والعرفان

يبني المدارس للشبيبة والنوا … دي للفضيلة احسن البنيان

ويروم اسعاد البلاد واهلها … بعوامل التهذيب والايمان

في ظل خير الناس بل ومليكهم … وعظيم كل العُجْم والعُرْبان

عيسى المعظم والمجيد في الورى … محيي المكارم مكرم الضيفان

رب الفضائل والفواضل والمحا … مد والمفاخر افرس الفرسان

كملت محاسنه وتم علاؤه … وزها به الشيبان والفتيان

وازدانت الدنيا بفضل وجوده … وبمدحه قد رنم الثقلان

وبعدله ووقاره وجلاله … ملك القلوب كأنه العمران

ملاحظات

بتاريخ ٢٠ شعبان سنة [illegible]
نحيث أن البيت المذكور هو بيت سكنا الموقف وقدمت فيه ولم يخله ولم يحوزه الجميع ذلك لأن الشروط المختلة وبناء على ذلك فوقفيته غير صحيحة لفسخ ذلك
صحيح قضاة محكمة الشرع بالبحرين

عليه حسب [illegible] علي بن إبراهيم الزياني بالوقف

بسم الله الرحمن الرحيم

ثبت لدي ما ذكر في هذه الحجة بإقرار الواقف وأنا الأقل عيسى بن راشد في ربيع الأول ١٢٢٧

ثبت لدي ما ذكر في هذه الورقة وأنا حسين بن علي آل خليفة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين فالداعي لتحرير هذه الورقة الشرعية المعتبرة المرعية هو أن جناب الأجل الأكرم الحاج علي بن إبراهيم الزياني قد أوقف وحبس لله الكريم المدرسة المعلومة التي بناها في المحرق أحد أعمال البحرين على أن يدرس فيها العلوم ويعلم فيها القرآن وتكون مأوى للفقراء والضعفاء وطلبة العلم ويجري عليهم من الإطعام والإنفاق وصب الماء للشرب على حسب الإمكان واستطاعة الولد محمد حفظه الله يبذل ما أمكنه من الطعام لمن يسكن المدرسة المذكورة وللفقراء والمساكين الذين لا مسكن لهم الجلوس في المدرسة إن لم يكن بها مدرس ومعلم للقرآن وقفاً صحيحاً صريحاً شرعياً معتبراً مرعياً مشتملاً على جميع مصححات الوقف ولوازمه الشرعية من الصيغة والتخلية الشرعية والقبض لوقفه المذكور مع اختصاصها إلى الله تعالى وصار الحق من حقوق الباري جل وعلا كما أنه أوقف وحبس البيت الغربي الذي في المحرق المعلوم المجالس بجميع ما يليها من الحدود والحيطان والجدران والأبواب وقفاً مؤبداً على ذريته وذرية ذريته مهما تناسلوا يستوي فيها الذكور والإناث وقفاً لا يباع ولا يوهب ولا يرهن وقد جعل النظر في الوقفين المذكورين إلى ابنه الأكرم محمد وأوصيه بتقوى الله تعالى والعمل بما يرضي الله وكما رقم فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه والحمد لله رب العالمين حرر في اليوم الحادي عشر من ربيع الأول ١٢٢٨

صحيح علي بن إبراهيم الزياني وقد أذنت لمن يشهد علي في هذه الورقة

شهد لله على إقرار المذكور حسبما هو مزبور عبد الرحيم بن حسن الخنجي



سمو الشيخ عيسى بن علي الخليفة في عهده تأسيس مشروع التعليم الحديث
حاكم البحرين ١٨٦٩ ـ ١٩٢٣

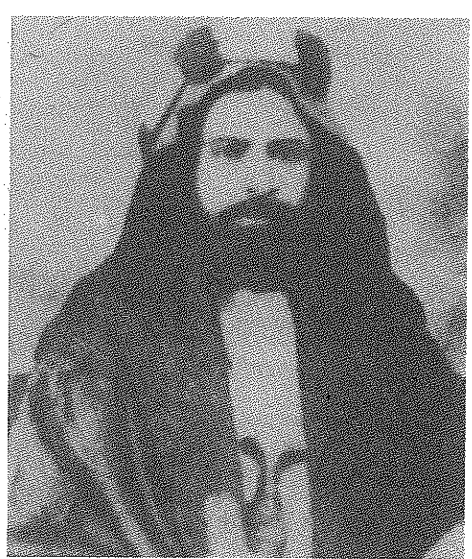


صاحب السمو الشيخ حمد بن عيسى بن علي حاكم البحرين ١٩٢٣ ـ ١٩٤٢

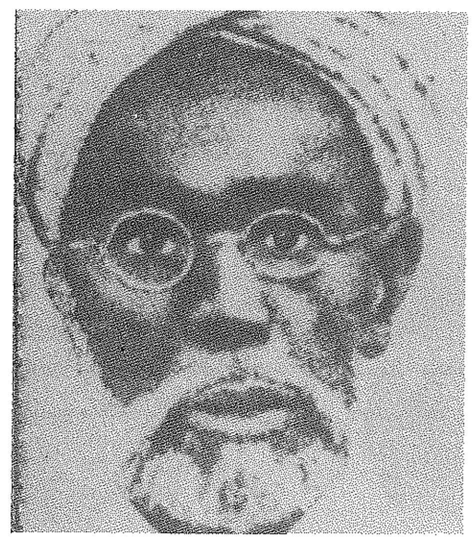
رئيس وأعضاء الإدارة الخيرية لمشروع التعليم الحديث في البحرين



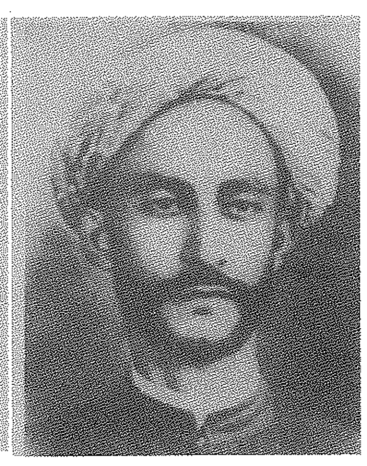
الشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة رئيس الإدارة الخيرية للتعليم



الشاعر الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة
نائب رئيس الإدارة الخيرية للتعليم

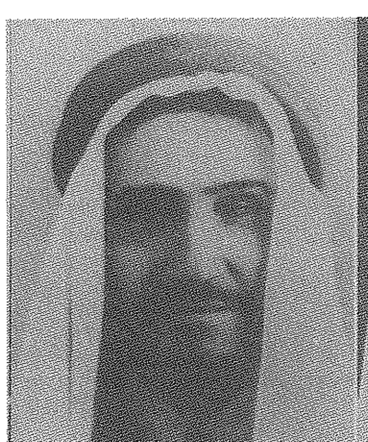


السيد عبدالوهاب بن حجي بن احمد
الزياني النائب الثاني لرئيس الإدارة الخيرية
للتعليم

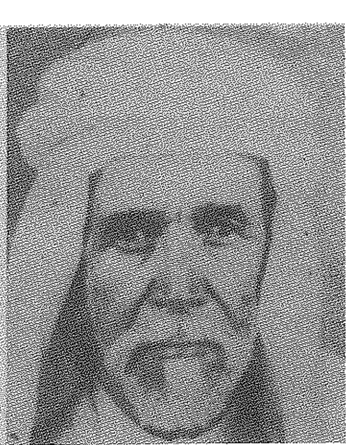


السيد محمد صالح يوسف خنجي كاتب الإدارة الخيرية للتعليم

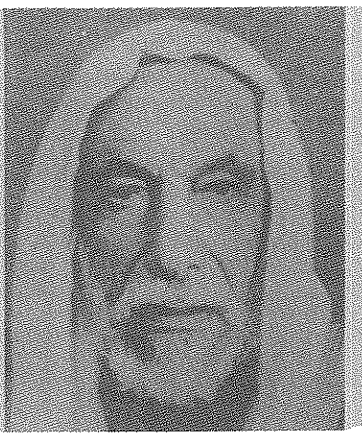
السيد يوسف عبدالرحمن فخرو امين صندوق الإدارة الخيرية للتعليم



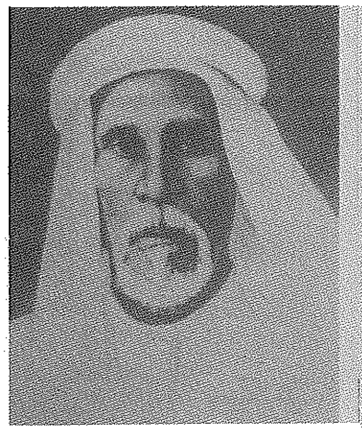
السيد عبدالعزيز القصيبي عضو مجلس الإدارة الخيرية للتعليم



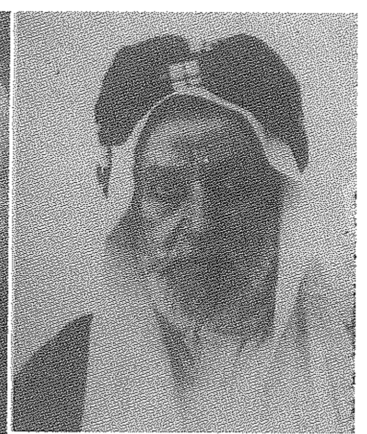
السيد محمد بن صباح البنعلي عضو مجلس الإدارة الخيرية للتعليم



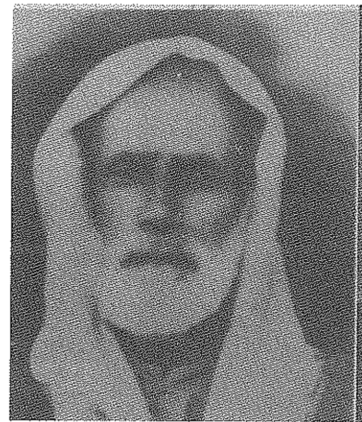
السيد سلمـان بن حسين بن مطر عضـو مجـلس الإدارة الخـيرية للتعليـم



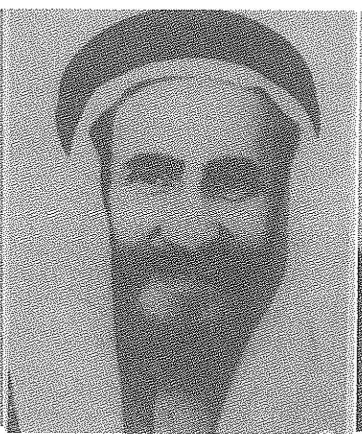
السيد عبدالرحمن بن محمد الزياني عضو مجلس الإدارة الخيرية للتعليم

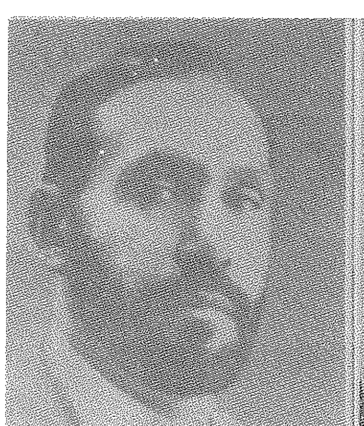

السيد عبدالرحمن بن احمد الوزان عضو مجلس الادارة الخيرية للتعليم

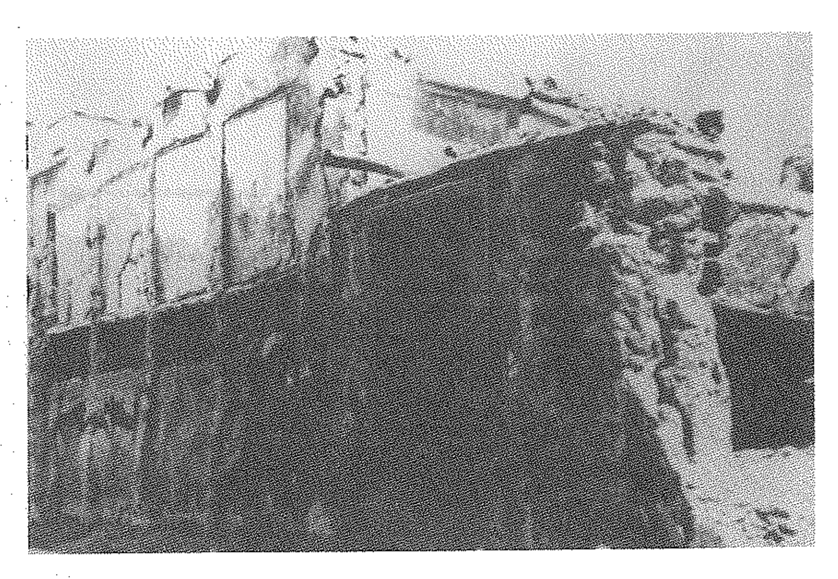

السيد أحمد بن حسن بن إبراهيم عضو مجلس الادارة الخيرية للتعليم


السيد محمد بن راشد بن هندي عضو مجلس الادارة الخيرية للتعليم

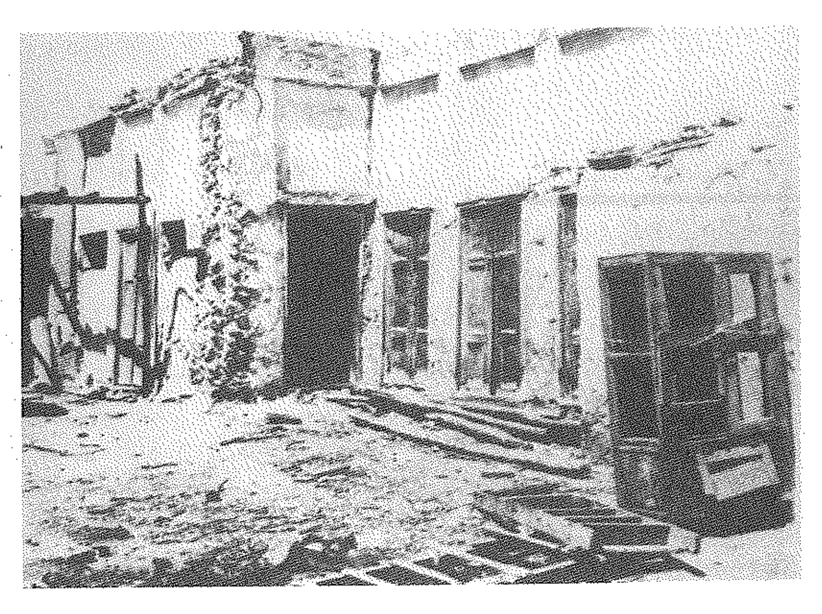

السيد علي بن عبدالله العبيدلي عضو مجلس الإدارة الخيرية للتعليم


السيد عبدالرحمن بن عبدالوهاب الزياني عضو مجلس الإدارة الخيرية للتعليم

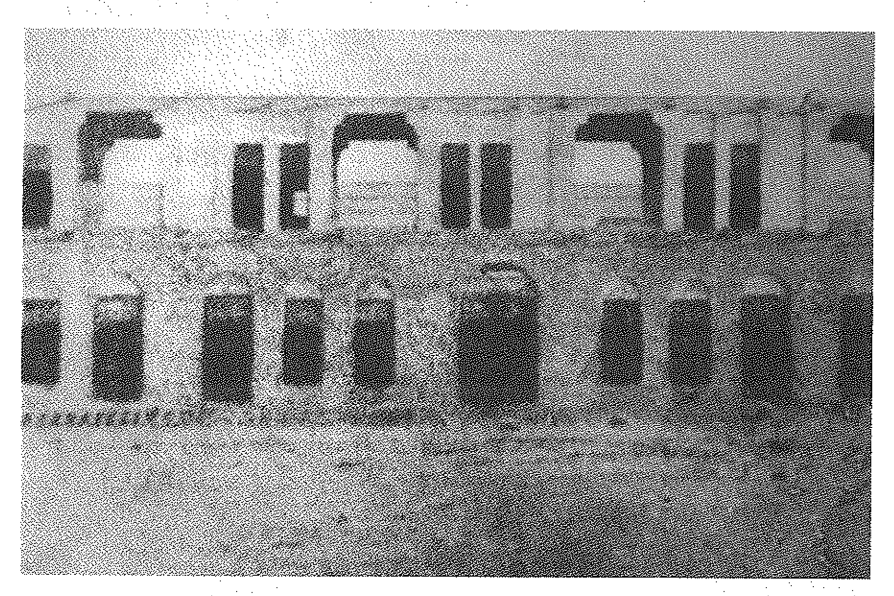

جاسم محمد الشيراوي ضابط محاضر جلسات المجلس



بقايا مدرسة علي بن إبراهيم الزياني الذي بدأت فيه مدرسة الهداية

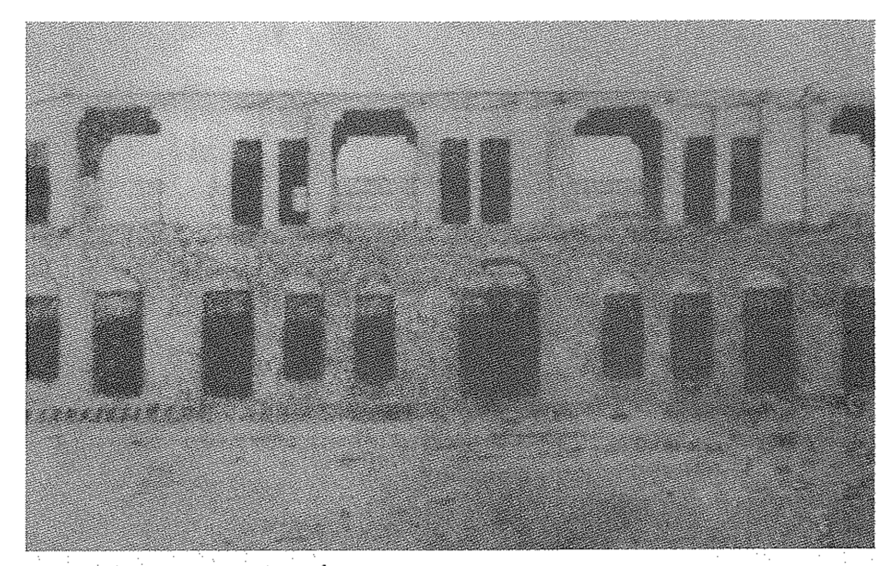


بقايا الصفوف من داخل المدرسة

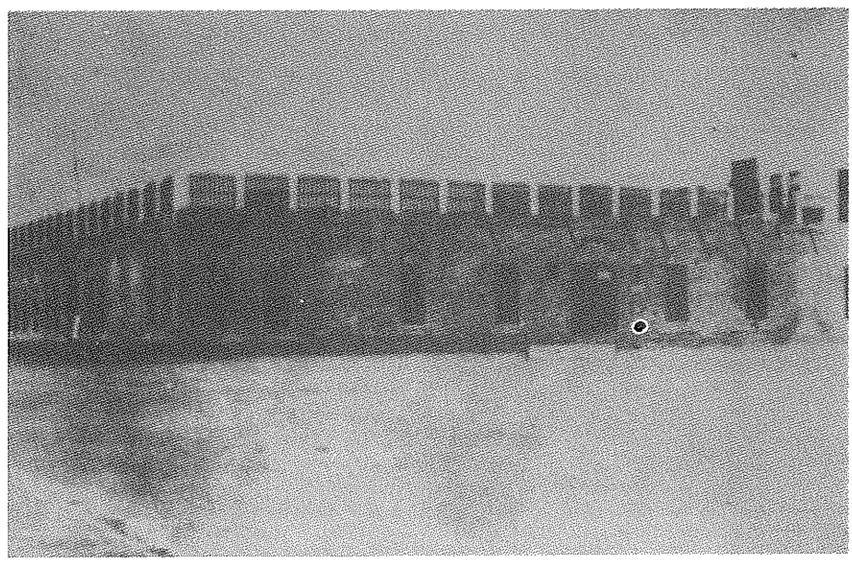


مبنى مدرسة الهداية في أول نشأته

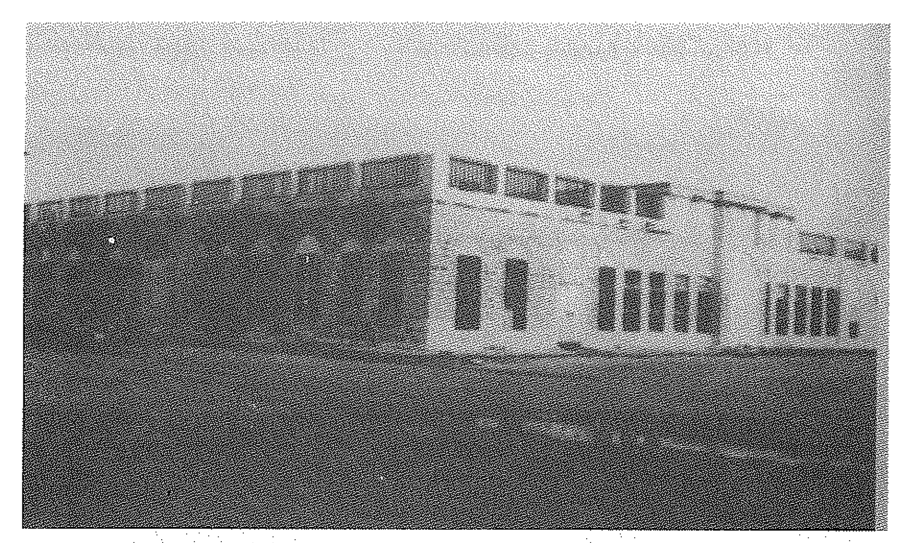
تطور مبنى مدرسة الهداية



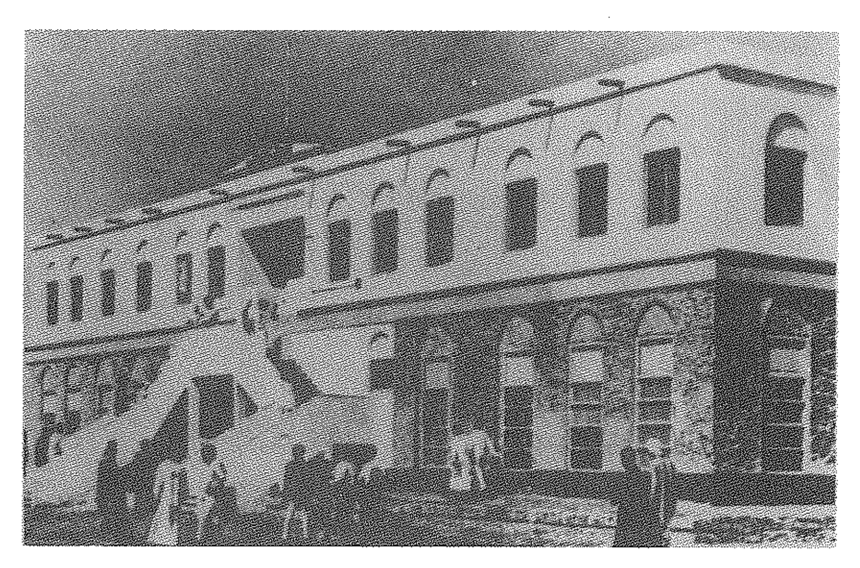
مدرسة الهداية في بنائها الأول



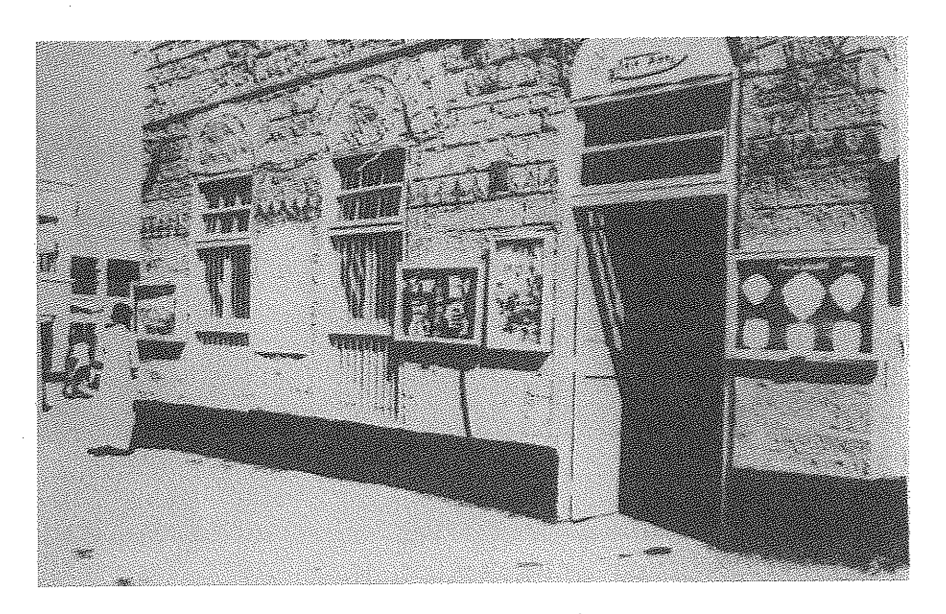
مدرسة الهداية ـ٢



مدرسة الهداية ـ ٣



مدرسة الهداية ـ٤



جانب من مدرسة الهداية

ايصالات التبرعات الأولى لمدرسة الهداية



بسم الله الرحمن الرحيم

إعلام



بسم الله الرحمن الرحيم

إعلام

بعض ايصالات التبرعات الأولى لمدرسة الهداية



بسم الله الرحمن الرحيم

إعلام



((وسام الإتقان))

وهو الدرجة الثانية

الحائز لهذا الوسام هو الفائز بالسبق على أكثر

أفراد فرقته وقد حازه الأديب عبد العزيز الملا

في الفرقة الثانية من القسم التحضيري فهو في الدرجة

[illegible]

وسام من أوسمة الهداية للطلبة المتميزين

بسم الله الرحمن الرحيم

مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

(اعلام)

عن القدر المتبرع به لمدرسة الهداية الخليفية

استلمنا من المحترم ... ... قدام مجنا القدر المشروح اعلاه وهو ...

تبرعا للمدرسة المذكورة فجزاه الله الجزاء المحسن عن دينه وامته والوطن حرر في يوم ١٩ شهر ... ١٣٢٨

صحيح امين الصندوق



أحد صفوف الطلاب بمدرسة الهداية الخليفية بالمحرق في أواخر العشرينات ويظهر في الصورة من الامام السيد محمد جاسم الشيراوي ثم السيد عبداللطيف محمد ثم السيد حسين الشوملي



من اليمين مدير مدرسة المنامة ثم الاستاذ عثمان الحوراني مدير مدرسة الهداية الخليفية
ثم الاستاذ زكريا مدرس الموسيقى ١٩٢٦



مدرسة الهداية الخليفية بالمحرق في احدى المسرحيات وفي الصورة المغفور له الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة والشيخ راشد بن محمد آل خليفة وفي اقصى اليمين السيد علي بن صقر الجلاهمة والشيخ دعيج بن حمد آل خليفة والشيخ عبدالله بن عيسى آل خليفة والشيخ ابراهيم بن خالد بن علي آل خليفة عام ١٩٢٩



أساتذة مدرسة الهداية بالمنامة عام ١٩٢٦



سوق المحرق في عشرينات القرن العشرين

مضبطة المشروع الأول للتعليم الحديث في البحرين

تحقيق واستقراء

مبارك الخاطر

الطبعة الأولى ٢٠٠١

***

تحية وتقدير وشكر وثناء

لسعادة الشيخ عبدالله بن خالد الخليفة

وزير العدل والشئون الإسلامية رئيس مركز الوثائق التاريخية في البحرين لدعمه الاساسي في إخراج هذا المؤلف.

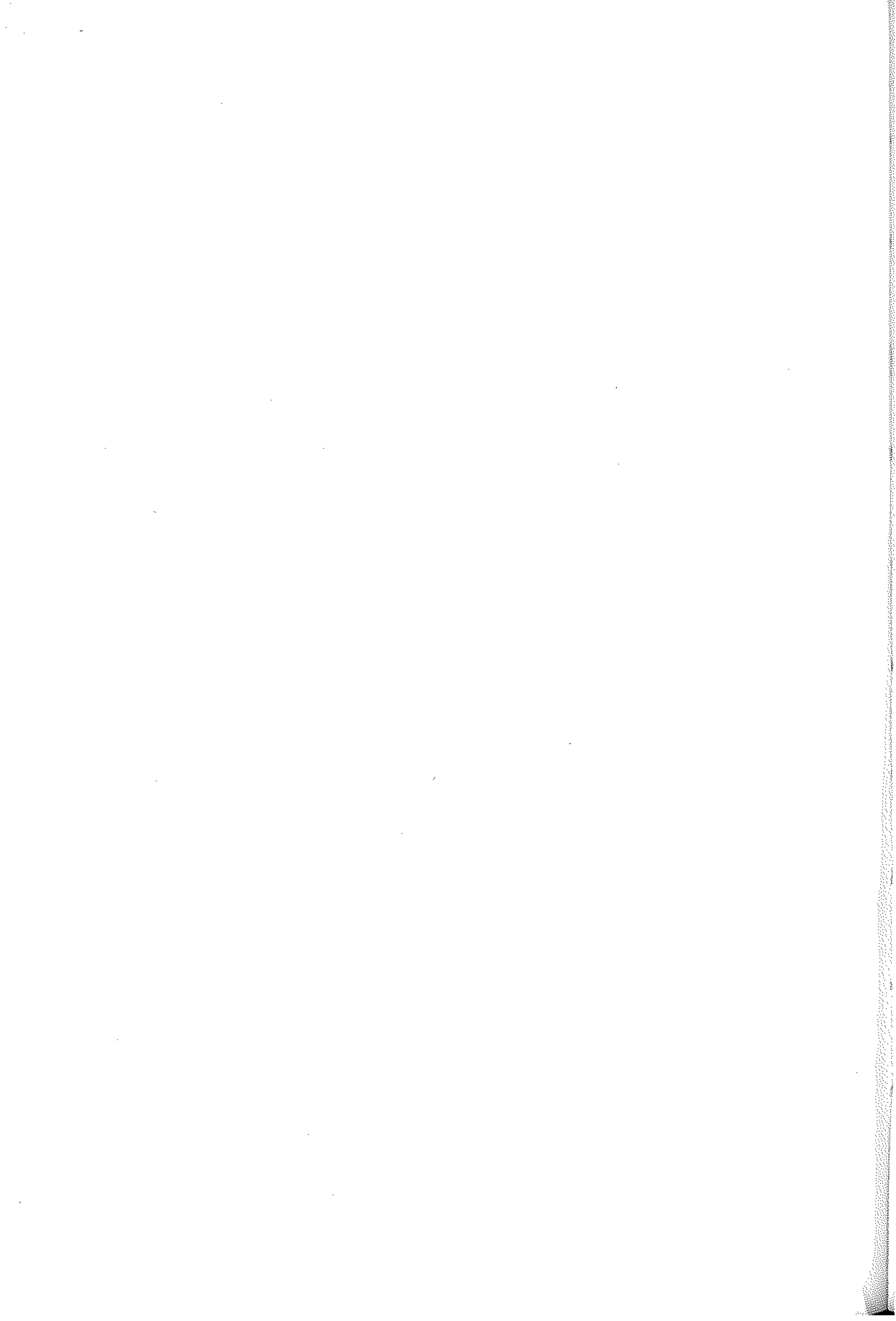
ثم الشكر موصول للاستاذ أ. د. إبراهيم عبدالله غلوم لمعاونته في إخراج هذا الكتاب.

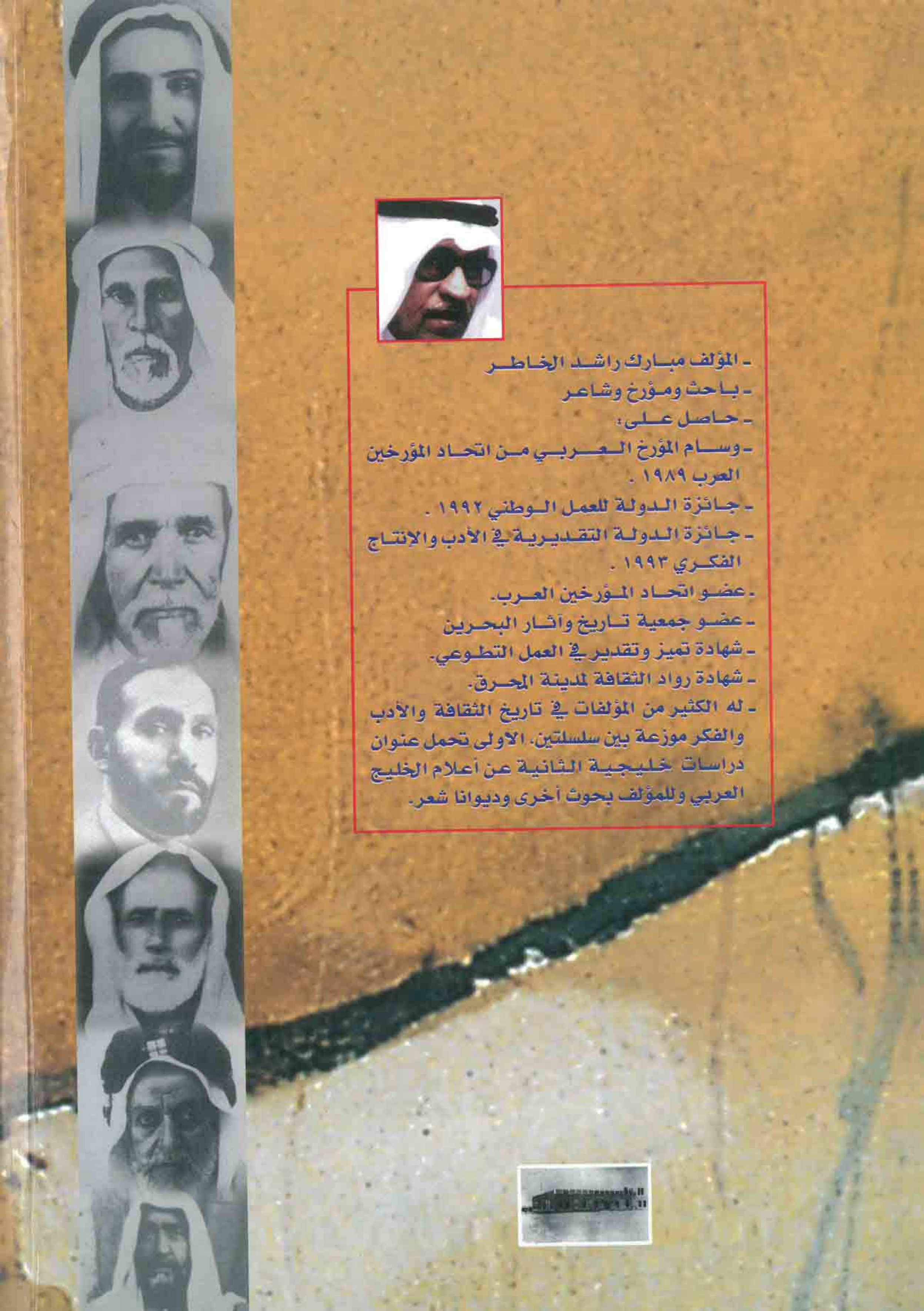
***

رقم الإيداع بمكتب حماية حقوق المؤلف: ٦٢٦ / ٢٠٠١م
رقم الايداع في إدارة المكتبات العامة: ٣٠١٦ / ٢٠٠١ م
رقم الناشر الدولي ISBN: 7_10_04_99901

الموضـــوع	الصفحة

طبع بمطابع المؤسسة العربية للطباعة والنشر ذ. م. م. - البحرين





- المؤلف مبارك راشد الخاطر
- باحث ومؤرخ وشاعر
- حاصل على:
- وسام المؤرخ العربي من اتحاد المؤرخين العرب ١٩٨٩ .
- جائزة الدولة للعمل الوطني ١٩٩٢ .
- جائزة الدولة التقديرية في الأدب والإنتاج الفكري ١٩٩٣ .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب.
- عضو جمعية تاريخ وآثار البحرين
- شهادة تميز وتقدير في العمل التطوعي.
- شهادة رواد الثقافة لمدينة المحرق.
- له الكثير من المؤلفات في تاريخ الثقافة والأدب والفكر موزعة بين سلسلتين. الاولى تحمل عنوان دراسات خليجية الثانية عن أعلام الخليج العربي وللمؤلف بحوث أخرى وديوانا شعر.